ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق
(٤٣١-٥١١هـ/١٠٣٩-١١١٩م)

إعداد

عبدالهادي نايف علي القعايدة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر خريسات

قدمت هذه الأطروحة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آذار، ٢٠١٣

ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق

(٤٣١-٥١١هـ/١٠٣٩-١١١٩م)

إعداد

عبدالهادي نايف علي القعايدة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر خريسات

قدمت هذه الأطروحة إستكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آذار، ٢٠١٣

نموذج ترخيص

أنا الطالب: عبد الهادي نايف علي القعايدة أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

صورة العهد عند السلاجقة العظام سلاطين فارس من العام ٤٣١ - ٥١١هـ / ١٠٣٩ - ١١١٩م

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: عبد الهادي نايف علي القعايدة

التوقيع:

التاريخ: ٢٥/ ٣/ ٢٠١٣م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/الأطروحة (ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق (٤٣١-٥١١هـ /١٠٣٩-١١١٩م) وأجيزت بتاريخ ٢١/٠٢/٢٠١٣ م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
أ.د. محمد عبد القادر خريسات، مشرفا أستاذ التاريخ الاسلامي/ الجامعة الاردنية	....
أ.د. فالح صالح حسين، عضواً أستاذ التاريخ الاسلامي/ الجامعة الاردنية	....
د. عصام مصطفى عقلة، عضواً أستاذ مشارك التاريخ الاسلامي/ الجامعة الاردنية	....
أ.د. سليمان الخرابشة، عضواً أستاذ التاريخ الاسلامي/ جامعة اليرموك	....

د. يوسف بني ياسين
رئيس قسم التاريخ

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع...... التاريخ ٢٥/٢/...

الإهداء

إلى من أحسن إليّ قبل ميلادي بإختياره أماً صالحةً لي

إلى من رباني صغيراً ورعاني كبيراً

إلى رمز الكبرياء والشموخ وعزة النفس

والدي العزيز قُبّلةً على جبينك الوضاء.

إلى فخر النساء ، صبراً ، حناناً ، رحمة ، عزيمةً، إصراراً

إلى من غرست في نفسي حب العلم وطلبه

إلى من جانبت الراحة ولازمت الحرمان من أجلي

أمي الحنون قُبّلة على يديكِ الطاهرتين.

إلى سندي وعزوتي ومصدر قوتي

إلى فخري وإعتزازي

إلى هدب عيوني

إخوتي الأعزاء.

إلى وحيدتنا ، الفريدة في المحبة والرفعة

أختي الحنون .

إلى حُلمي الذي تحقق بفضل الله وتيسيره فغدت حياتي معها فردوساً أحمدُ اللهَ عليها

إلى حسنة الدنيا ، ورفيقتي الوفية

إلى رفيعة الخلق طيبة النفس

زوجتي الغالية وفاءً وعرفاناً.

إلى أم الجامعات الأردنية المكان المفضل والأعز إلى قلبي

الجامعة الأردنية

عبدالهادي

شكر وتقدير

"وما توفيقي إلا بالله"

الحمد لله الذي تتم بحمده النعم، والصلاة والسلام على نبينا محمد منقذ الأمم ومُنجيها من الظُلَم إلى سبل الهداية والعلم والقلم وبعد.

بعد أن تمكنت بحمدالله وتوفيقه ورضاه ودعاء والديّ الكريمين من إتمام هذا العمل الذي إستغرق من الوقت قرابة الثلاثين شهراً بين جمع المادة من مصادرها ومراجعها المتناثرة، وكتابتها وصياغتها لتخرج بشكلها الحالي، أجد لزاماً عليّ أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور محمد عبدالقادر خريسات الذي تشرفت بالتتلمذ على يديه في مرحلتي الماجستير والدكتوراة فكان لي نعم الموجّه والمرشد والأب الرؤوف والعالم الجليل الحريص على غرس أسس المنهج العلمي في فكر طلبته ليكونوا رسلاً للمنهج التاريخي الأصيل، أمِلاً أن أكون أحد أُولئك الذين أثمرت جهوده وتوجيهاته فيهم فكانوا على قدر الأمل.

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى الأخوة والأخوات الذين خصّني الله بهم بأن أسبغ عليّ فضل معرفتهم فكانوا لي نعم العون والسند وهم:

الأستاذ الدكتور عصام عقلة الذي يعجز لساني عن شكره ووفائه حقه من الثناء فقد رعاني منذ كنت طالباً في مرحلة البكالوريوس فغرس في نفسي حب البحث عن الحقيقة والصبر في طلبها من مصادرها الأصيلة باذلاً كلّ ما في وسعه لدعمي ومساندتي أمِلاً أن أكون بمستوى طموحه فجزاه الله عني خير الجزاء وأمدّ الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية.

والشكر موصول للأستاذ الدكتور يوسف بني ياسين – رئيس قسم التاريخ – الذي كان إنساناً راقياً في تعامله وطرحه، دقيقاً في توجيهاته، مسانداً لي بكل ما أُوتي من وسيله، متّعه الله بالصحة وأمدّ في عمره.

كما أشكر الدكتور عيسى الوخيان الذي كان خير داعم ومساند لي – خاصة في الأوقات الحرجة - فكان مثالاً للصديق الصدوق.

وأتوجه بالشكر الجزيل للعم الغالي الحاج حمود الفاضل الفاعوري وعائلته الكريمة وأخصّ منهم الدكتورة عريب والدكتورة ناديا الفاعوري على الدعم والمساندة المستمرة، والشكر موصول للأخ الدكتور أمجد الفاعوري.

كما أخص بالشكر كل من: الدكتور أيوب المشاعلة، والأخوات ناديا سلام وعروب الشوابكة الذين كانوا على الدوام مساندين لي بإستشاراتهم اللغوية، وعطوفة الخال العزيز الأستاذ الدكتور علي الهروط، وأخي العزيز صائب المعايعة، والأخ العزيز الصحفي إبراهيم قبيلات، والأستاذ محمد زعل قبيلات، وأسرة دائرة المدرسة النموذجية على دعمهم المتواصل ومساندتهم، إليهم جميعاً أجمل عبارات الشكر والثناء والتقدير المقرونة بالدعاء إلى الله أن يحفظكم ويمتعكم بالصحة والعافية.

عبدالهادي

فهرس المحتويات

قائمة الاختصارات

ت : توفي

ج : جزء

د.ت : دون تاريخ طبع

د.ن : دون تاريخ نشر

ص : صفحة

ط : طبعة

ع : عدد

ق : ورقة للمخطوط

م : ميلادي

مج : مجلّد

هـ : هجري

ولاية العهد عند السلاجقة العظام وسلاطين فارس والعراق (٤٣١-٥١١ هـ/١٠٣٩-١١١٩م)

إعداد

عبدالهادي نايف علي القعايدة

المشرف

الأستاذ الدكتور محمد عبدالقادر خريسات

ملخـــــص

تتناول هذه الدراسة موضوع ولاية العهد عند السلاجقة منذ تأسيس دولتهم حتى سنة ٥١١ هـ /١١١٩م، وتهدف إلى تتبع نشأة ولاية العهد عندهم، والطريقة التي اتبعوها من أجل الوصول إلى هذا المنصب الذي شهد تنافساً شديداً بين الأمراء السلاجقة، وأحدث شرخاً في الدولة في مرحلة مبكرة من عمرها في الفترة (٤٤٠-٤٥٠ هـ / ١٠٤٨- ١٠٥٨م) وظل يرافقها حتى نهاية فترة الدراسة، بإعتبار ولي العهد الوريث لمنصب السلطنة -على الأقل نظرياً- في حال شغورها بوفاة السلطان أو مرضه.

وبعد البحث المتعمّق في مسألة ولاية العهد، أظهرت الدراسة أنّ السلاجقة استطاعوا تأسيس دولة مترامية الأطراف بفضل شجاعتهم العسكرية، وضعف الدول التي جاوروها، لكنّهم فشلوا في إرساء قواعد الحكم للسلطنة وولاية العهد، مما سرّع في نهاية هذه الدولة وإبتعادها عن المسرح السياسي؛ نتيجة للمعارك والنزاعات التي قامت بين الأمراء السلاجقة المتطلعين إلى الظفر بهذا المنصب، إذ بدأ التنافس على ولاية العهد من داخل الأسرة السلجوقية الحاكمة ابتداء من إبراهيم ينال الأخ غير الشقيق للسلطان طغرلبك. كما بينت الدراسة أنّ ولاية العهد قد شكّلت من الناحية النظرية المدخل الطبيعي لترؤس السلطنة أو الخلافة؛ ولهذا كانت مطمعاً ومغنماً سعى إليه المتطلعون للرئاسة وزعامة الدولة، لكنها من الناحية العملية لم تكن كذلك، فلم يصل إلى رئاسة السلطنة في الدولة السلجوقية من أولياء العهد إلاّ السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، أمّا أغلب السلاطين الذين تولوا رئاسة الدولة السلجوقية خلال فترة الدراسة فقد

قاموا بإقصاء أولياء العهد الذين تم تعيينهم. وأنّ ولاية العهد كانت الشرارة التي إنطلقت منها أغلب الثورات في الدولة السلجوقية والتي لم تقتصر على فترة معينة وإنما بدأت علامتها في الفترة (٤٤١-٥١١ هـ / ١٠٤٩-١١١٧م) وظلت تتزايد حتى أصبحت سمة ترافق تعيين ولي العهد وإنتقال السلطة. وأظهرت الدراسة أيضا أنّ كلاً من الوزراء والخواتين قد لعبوا دوراً بارزاً في ولاية العهد وتعيين السلطان، لكنّ هذا الدور ضَعُفَ أمام دور أمراء الجيش العسكريين. كما أنّ بعض الوزراء وأُمراء الجيش والخواتين وجدوا في تنافس أُمراء السلاجقة على ولاية العهد والسلطنة فرصةً للتخلص من خصومهم السياسيين والعسكريين ممن يؤيدون أحد الأمراء ضدهم. وأظهرت الدراسة أيضا أنّ السلاطين السلاجقة الذين جاؤوا بعد السلطان ملكشاه لم يستفيدوا من التجربة الناجحة للسلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) الذي استطاع إيصال ولي عهده ابنه ملكشاه إلى رئاسة السلطنة ليكون بذلك أول ولي للعهد يصل إلى رئاسة الدولة السلجوقية من خلال ولاية العهد، فحقق بذلك سابقة بين السلاطين السلاجقة وأولياء عهدهم.

مقدمة

تأتي ولاية العهد في المرتبة الثانية في سلم الهرم السياسي لأي دولة بعد مرتبة رئيس الدولة، وذلك انطلاقا من حاجة رئيس الدولة الى شخص يشاركه في إدارة شؤونها، وتحمل المسؤولية، وليكون مهيئاً لتسلم زمام الحكم عندما تنتقل السلطة إليه في حال شغور منصب رئيس الدولة، فولاية العهد بذلك تمثل الطريق الأنسب لضمان بقاء السلطة في عائلة، أو فرع معين، وعدم خروجها إلى فرع آخر.

و تعدً تسمية ولي العهد واختياره الخطوة الأبرز في مسألة ولاية العهد، والتي تتم من قبل رئيس الدولة. لقد بين ابن خلدون مصدر هذا الحق الذي يتمتع به رئيس الدولة من خلال ما أورده في مقدمته حيث قال: (... فهو وليّهم – أي رئيس الدولة – والأمين عليهم، ينظر لهم ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان يتولاها، ويثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل ...)[١]

يبين هذا النص أنّ ابن خلدون سوّغ مصدر الحق الممنوح لرئيس الدولة من أجل اختيار ولي العهد الذي سيرثه بعد وفاته باعتباره جزء من البيعة التي منحتها الرعية للحاكم عند بيعته، وكأنها بيعة مطلقة سواء من ناحية المدة أو من ناحية الصلاحيات، وهذا يتوافق مع التبرير الذي وجدت من أجله ولاية العهد أصلا عندما أبتكرها معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٩هـ /٦٦٩ م، متذرعا بحجة درء الفتنة، وحقن دماء المسلمين، والحفاظ على وحدة صفهم. وعادة ما يسبق إعلان تعيين ولي العهد نوع من الدعاية السياسية التي تتمثل ببيان فضائل وسجايا ولي العهد لتصنع له رصيداً من الشعبية والشرعية لدى العامة.

كان من الطبيعي أن يتأثر السلاجقة بالنظم السياسية والإدارية الموجودة عند العباسيين، وذلك بحكم مجاورتهم لهم وتعاملهم معهم، ودخولهم معهم في مصاهرات وسفارات، ومن أبرز هذه النظم: نظام ولاية العهد، فقد أوجد السلاجقة منصب ولاية العهد في دولتهم الناشئة التي غلب على إدارتها الطريقة القبلية، ودخلوا نتيجة لذلك في صراعات وانقسامات فيما بينهم كانت سببا في انقسام الدولة وضعفها.

---

[١] ابن خلدون، عبدالرحمن (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر،ط١، وزارة الثقافة، عمان ٢٠٠٩، ص ٢٣٢-٢٣٥، وسيشار اليه لاحقا هكذا، ابن خلدون، المقدمة.

وقد انفردت ولاية العهد عند السلاجقة بكونها كانت تمثّل مدخلا للصراع بين أفراد الأسرة السلجوقية، حيث دار الصراع بين الأبناء والأخوة والأعمام، كل يرى لنفسه الحق في أن يكون ولياً للعهد ليتربع على عرش السلطنة بعد شغور منصب السلطنة بوفاة السلطان؛ مما عرّض الدولة السلجوقية لهزات عنيفة تفاوتت في قوتها منذ عهد السلطان طغرلبك سنة ٤٤١هـ /١٠٤٩م وسنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م على يد أخيه إبراهيم ينال - الذي قاده الطموح والرغبة السريعة في الوصول إلى منصب ولاية العهد- إلى إحداث شرخ في العلاقة بينه وبين السلطان طغرلبك، أدى في النهاية إلى مقتله سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م وانتصار السلطان طغرلبك.

وتركزت سلطة الدولة ممثلة بالسلطان طغرلبك واستمرت إلى حوالي سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م عندما بدأت أعراض مرض الموت تظهرعليه، فعادت مطامح الأسرة السلجوقية تظهر إلى حيز الوجود من جديد، وتزعّمها الملك ألب أرسلان بن جغربك داؤد الذي كان دبلوماسيا في إظهار طموحه في أواخر حياة السلطان طغرلبك وقبيل مرضه الأخير.

إلا أنه بعد أن تأكدت لديه وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م سار مطالبا بالسلطنة حتى تمكن من الظفر بها، وأقصى ولي العهد الذي أصبح سلطاناً سليمان بن جغربك داؤد - الذي عينه السلطان طغرلبك قبيل وفاته- وبذلك يكون السلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ / ١٠٦٣- ١٠٧٣م قد وصل إلى عرش السلطنة دون أن يكون وليا للعهد.

وحتى لا تكرر هذه التجربة مع أعقابه، لجأ السلطان ألب أرسلان إلى تعيين ابنه ملكشاه وليا للعهد في فترة مبكرة من حكمه في سنة ٤٥٨هـ /١٠٦٧م - والذي تولى منصب السلطنة بعد وفاة والده السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦٥هـ /١٠٧٣م- ليكون أول ولي للعهد يصل إلى عرش السلطنة. لكنه أخفق في ضمان وصول أولاده إلى عرش السلطنة من خلال ولاية العهد، بل إن تعامله مع ولاية العهد كان سببا في دخول أبنائه – بركيارق ومحمود ومحمد طبر- في صراع إبتداءً من سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م، مما أدّى إلى انقسام الدولة السلجوقية، وضعفها، وانصرافها، عن مشروعها التوسعي الذي توقف نتيجة الصراعات التي عصفت به واستنزفت ميزانيتها، وأرهقت جيوشها، مما سهّل على أعدائها - وخاصة الصليبيين- السيطرة على عدد من المناطق الخاضعة للسلاجقة، بينما هم غارقون في التنافس والتصارع على منصب ولاية العهد ورئاسة السلطنة.

تتناول هذه الدراسة موضوع ولاية العهد عند السلاجقة العظام خلال الفترة الممتدة من ٤٣١-٥١١هـ / ١٠٣٩-١١١٧م من خلال أربعة فصول، ومقدمة، وخاتمة، وثبت لقائمة المصادر والمراجع التي كانت معينا للدراسة.

تناول الفصل الأول: أصل السلاجقة والمناطق التي سكنوها والعلاقات التي أقامها السلاجقة مع القوى المحيطة، وخاصة الغزنويين الذين أقام السلاجقة لديهم كقبائل متنقلة تبحث عن مرعى لمواشيها ومأوى لأفرادها، ثم مالبثوا أن سيطروا على عدد من الولايات مثل (نسا، فراوة، و باورد) وأخذوا بعد ذلك يحاولون توسعة المناطق التي حصلوا عليها من الغزنويين مما حدا بالغزنويين إلى التفكير في القضاء على السلاجقة والحد من توسعهم في أراضي الدولة الغزنوية، فدخلوا في معارك معهم أدّت في النهاية إلى إنتصار السلاجقة في معركة داندنقان سنة ٤٣١هـ / ١٠٣٩م وبروز السلاجقة كقوة مهمة على المسرح الدولي، وتراجع الدولة الغزنوية وضعفها، وإنطلاق السلاجقة في مشروع توسّعي أفضى إلى إقامة دولة كبرى بعد أن اتصلوا بالخلافة العباسية وتصاهروا معها.

وتناول الفصل الثاني: مفهوم ولاية العهد عند السلاجقة مما اقتضى العودة إلى أصل ولاية العهد التي تعد إبتكارا أمويا بإمتياز أحدثه معاوية بن أبي سفيان لضمان بقاء السلطة في الأسرة السفيانية الأموية، وتناقله الخلفاء والسلاطين من بعده وتتبع ظهور ولاية العهد عند السلاجقة وبداية التنافس عليها في فترة مبكرة من عمر الدولة السلجوقية ابتداء من سنة ٤٤١هـ /١٠٤٩م على يد إبراهيم ينال الذي لقي حتفه على يد أخيه السلطان طغرلبك مؤسس الدولة السلجوقية سنة٤٥١هـ /١٠٥٩م الذي أراد بقتله أن يفرض سلطة الدولة، وتناول الموروث الغزي المستند على فكرة تَزّعمْ أكبر أفراد آل سلجوق للقبائل، وبيان أثر وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م وتعيينه ابن أخيه سليمان بن جغربك داؤد وليا للعهد على مسألة ولاية العهد .

حيث قوبل هذا التعيين بالرفض ووصول أول سلطان للسلاجقة بعد طغرلبك متغلبا على السلطنة من خلال إقصائه لولي العهد سليمان ابن جغربك داؤد المعين من قبل السلطان طغرلبك وهو ألب أرسلان بن جغربك داؤد الذي أراد عدم تكرار طريقة وصوله للسلطة وضمان وصولها لابنه ملكشاه وبقائها في أسرته، فعمد إلى تعيين ابنه ملكشاه وليا للعهد في حياته في فترة مبكرة من حكمه سنة ٤٥٨هـ /١٠٦٦م وإخضاعه للتدريب بإخراجه في الحملات العسكرية وفتح المناطق والمدن من أجل جلب الشرعية والشعبية له لدى الرعية وقادة الجند، ولإكسابه الخبرة باعتباره سيصبح سلطان الدولة السلجوقية بعد وفاة والده السلطان ألب أرسلان الذي نجح

في إيصال ولي عهده ملكشاه إلى عرش السلطنة بعد مقتله سنة ٤٦٥هـ / ١٠٦٣م وكان بذلك اول سلطان يصل إلى عرش السلطنة من خلال ولاية العهد .

لكنّ السلطان ملكشاه أخفق في مسألة ولاية العهد ولم يستفد من حنكة وحكمة والده السلطان ألب أرسلان الذي عيّن ملكشاه وليا لعهده ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣- ١٠٧٣م حيث أذعن لتأثير زوجته تركان خاتون ووزيرها تاج الملك أبو الغنائم، ونصّب بنه محمود وليا للعهد على الرغم من صغر سنه متجاهلا حق ابنه الأكبر بركيارق، ومتناسيا الميزة التي جعلت والده -السلطان ملكشاه- يختاره وليا للعهد بإعتباره أكبر إخوته سناً.

وبوفاته بدأت أول مراحل إنقسام الدولة السلجوقية - التي قامت بين أبنائه وإخوته على رئاسة الدولة- واستطاع ابنه بركيارق - بعد صراع وتنافس مع أخيه محمود بن ملكشاه ووالدته تركان خاتون ووزيرها تاج الملك أبو الغنائم- أن يتربع على عرش السلطنة سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٥م حتى سنة ٤٩٣ هـ /١١٠١م حيث دخل في حروب مع أخيه - محمد طبر بن ملكشاه- استمرت قرابة الخمس سنوات ٤٩٣- ٤٩٨ هـ/١١٠١-١١٠٥م وإنتهت إلى عقد تصالح أفضى إلى تقسيم الدولة بينهما.

ولم يكد يمضي عام واحد على عقد التصالح حتى توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة ٤٩٨هـ /١١٠٥م ليتولى السلطنة بعده أخوه محمد طبر بعد أن أقصى ولي العهد المعيّن من قبل السلطان بركيارق، وهو ابنه ملكشاه الثاني، الذي عينه السلطان بركيارق في أواخر عهده، وكان صغير السن.

وشرع السلطان محمد طبر في تثبيت أركان الدولة بضبط الأمور الداخلية وخاصة الأمور الأمنية بعد أن تعاظم نفوذ الباطنية داخل الدولة، وظلت الأمور كذلك حتى سنة ٥١١هـ /١١١٨م حيث توفي السلطان محمد طبر، وتولى بعده ابنه محمود حتى سنة ٥١٢هـ /١١١٩م، حيث تحرك عمه سنجر بن ملكشاه قاصدا أخذ السلطنة من ابن أخيه، ودخل معه في حرب سنة ٥١٣هـ / ١١٢٠م حيث خطب له ولإبن أخيه محمود من بعده، وتناول موقف الخلافة العباسية من ولاية العهد والمتمثل بمنح السلطان وولي عهده الخُلَع والألقاب التي تعدّ إعترافاً بشرعية السلطان، مما يضفي على حكمه نوعاً من التأييد الذي كان يحتاجه الأمراء السلاجقة فيما بينهم نتيجة التنافس على منصب السلطنة وولاية العهد وأمام القوى الأخرى المجاورة لهم، وقد تم تناول موضوع ولاية العهد عند السلاجقة من قبَل عدد من الفقهاء المعاصرين لهم (السلاجقة)،

مثل الماوردي (ت٤٥٠هـ /١٠٥٨م)، والجويني (ت ٤٧٨هـ /١٠٨٥م)، والغزالي (ت٥٠٥هـ /١١١١م) من ولاية العهد.

تناول الفصل الثالث: العوامل المؤثرة في ولاية العهد عند السلاجقة، فإعلان ولي العهد لا يعني وصوله لرئاسة السلطنة وتحقيق الهدف المرجو من وراء ولاية العهد، وهذه العوامل هي كالتالي:

أولا، الخواتين: وهن زوجات سلاطين السلاجقة، واللواتي دخلن في تنافس فيما بينهن للتأثيرعلى السلطان رغبة منهن في تعيين أبنائهن ولاة للعهد، ودخلن في سبيل هذا في تحالفات مع الوزراء وأمراء الجيش، وبذلن الأموال لكسب التأييد والمؤازرة لابنائهن.

ثانيا، الوزراء: وجد وزراء سلاطين السلاجقة في ولاية العهد الفرصة المناسبة لزيادة صلاحياتهم ونفوذهم من خلال التحالف مع الخواتين وأمراء الجيش ليكون ولي العهد تحت سيطرتهم وهذا سيضمن لهم مستقبلا إحكام السيطرة على السلطان.

وقد طرأ على دور الوزراء تحول جديد بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م ففي عهد السلطان طغرلبك كان الوزير ينفذ المهام الموكولة إليه من قبل السلطان، وبعبارة أكثر دقة يمكن القول أنّ الوزير كان يتحرك ضمن الإطار المرسوم من السلطان دون أن يستطيع تجاوز ذلك الدور، إضافة إلى عدم وجود ولي للعهد في بداية حكم السلطان طغرلبك٤٣١-٤٥٥هـ /١٠٣٩-١٠٦٣م. وظلت الأمور تسير كذلك حتى سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م قبيل وفاة السلطان طغرلبك حيث اضطر السلطان طغرلبك، تحت تأثير زوجته خاتون أرملة أخيه جغربك داود، لتعيين ابنها سليمان وليا للعهد، وقد ساند هذا التعيين في البداية الوزير عميد الملك الكندري الذي لاقى حتفه على يد السلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م نتيجة لتأييده هذا التعيين.

وسار الوزراء فيما بعد على هذا النهج بدعم موقف ولي العهد من خلال التحالف مع الخواتين وقادة الجيش، ومن بين الوزراء الذين لعبوا دورا بارزا في تعيين ولاة العهد يظهر اسم الوزير نظام الملك الطوسي الذي علا نجمه واشتهر اسمه نتيجة المكانة التي وصل إليها لدى السلطانين ألب أرسلان وإبنه ملكشاه، لكنّ هذه المكانة، مثلما كانت مجلبة للنعمة، ساقت له النقمة، فقد تم إغتياله سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م. وقد وجهت أصابع الإتهام إلى السلطان ملكشاه الذي ظهرت ملامح تواطئه على قتل الوزير والتخلص منه ليبرز بعدها إسم الوزير تاج الملك

أبو الغنائم وزير تركان خاتون (زوجة السلطان ملكشاه وأم إبنه محمود) الذي تحالف معها دعما لموقف إبنها محمود مقابل أخيه الأكبر بركيارق بن ملكشاه متجاوزين حقه في ولاية العهد؛ مما أدى إلى قيام حرب أهلية بين الأخوين نتج عنها قتل الوزير تاج الملك، وترؤس السلطان بركيارق للسلطنة السلجوقية.

ثالثاً، أمراء الجيش والقادة العسكريين: الذين كانوا يشكلون القوة الحاسمة والرصيد الفعلي لمن يتطلع للسلطنة أو ولاية العهد وهؤلاء كانوا يتمتعون بنفوذ وشعبية كبيرة لدى الجند؛ مما دفع الطامحين للسلطة والمناصب المختلفة في الدولة السلجوقية إلى التحالف معهم وكسبهم إلى جانبهم ليضمنوا النصر في حال إضطروا إلى الحل العسكري لحسم أمر السلطنة أو ولاية العهد.

أما الفصل الرابع، فقد تناول الصراع على ولاية العهد: والمعارك التي قامت بين المتطلعين للسلطنة وولاية العهد ابتداء من وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م حيث بدأ التنافس الفعلي على زعامة الدولة بين أمراء السلاجقة حتى وفاة السلطان محمد طبر بن ملكشاه سنة ٥١١هـ / ١١١٧م وقامت معارك وصراعات بين الأمراء السلاجقة من أجل الوصول إلى عرش السلطنة؛ مما أدى إلى ضعف الدولة السلجوقية وإنقسامها.

الفصل الأول

السلاجقة: من القبيلة إلى الدولة

أصل السلاجقة وموطنهم الأصلي:

يحتاج الدارس لولاية العهد لدى السلاجقة إلى البحث في الخلفية التاريخية للدولة السلجوقية، ومراحل نشأتها متتبعاً مناطق ظهورها وعلاقتها مع الدَّولة الغزنوية، مع ملاحظة الظروف التي برزت فيها هذه الدولة إلى حيز الوجود، فبعد أن كانت عبارة عن مجموعة قبائل متنقلة أصبحت دولة ذات مكانة بارزة على المسرح السياسي، بل زادت مكانتها إلى حد أصبحت فيها حامية للخلافة العباسية ومدافعة عنها، وتشكل إمبراطورية من أكبر القوى السياسية والعسكرية في عصرها.

يعود أصل السلاجقة الى قبيلة الغُزْ(١) وهي من قبائل الترك (التركمانية)(٢)، وتتكون هذه القبيلة من اثنين وعشرين بطناً، لكل بطن علامة على دوابهم تميزهم عن بعضِهم، أي علامة وسم للحيوانات،(٣) وكل بطن منها أصبح يشكل قبيلة.

وقد انفرد الكاشغري بذكر بطون قبيلة الغز و هي: قنق: سرتهم، منها السلاطين [السلاجقة] في زماننا، ودسا، وقَيغ، وبايُنْدَر، وإقَا، وسَلْغُر، وأفْشارْوَ، وبَكتِلِي، وبُكْدُزْ، وبَيَاتْ، ويَزغِر، وأُيْمُر، وقرابُلكا، والقَابلك وإكْدَر، وأُرَكره(٤) ، وتُوتِرْقا، و أولا يندلغ، وتوكر، وقد يطرح الواو فيقال: تكر، وبَجَنَكْ، وجُوَلدَرَ، جَبْنى، وأجَرُ قلَغ(٥)

وتعود أسماء هذه القبائل الى أسماء البطون التي انحدرت من أجدادهم، فاكتسبوا التسمية منهم(٦).

وأما اسم السلاجقة فأطلق عليهم نسبة إلى سُلجوق بن دقاق زعيم قبيلة قنق وبقية القبائل الغزية، وقيل في نسب سلجوق الأعلى هو سلجوق بن دقاق بن يوسف بن عزير(١)

---

(١) الكاشغري، محمود (ت بعد ٤٧٠هـ/١٠٧٧م) ديوان لغات الترك، نشرت بالتصوير الشمسي، صورة عن مخطوط، تركيا، انقرة، ١٩٩٠. ورقة ب ٢١ ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا الكاشغري، لغات الترك، وترسم: أغز، وأوغوز.

(٢) الكرديزي عبد الحمد بن الضحاك ، زين الأخبار، ترجمة، الدكتورة عفاف زيدان، ط١، ١٩٨٢، ص٣٠٧، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، كرديزي، زين الأخبار، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج٥ ص٦٤ وسيشار إليه لاحقاً هكذا، ابن خلكان، وفيات الأعيان، منجم باشي، أحمد بن لطف الله، (ت١١١٣ه/١٧٠٢م) جامع الدول، تحقيق، د. علي أونكول، دار الكتب الأكاديمية، أزمير، ٢٠٠٠م، ج ١، ص١-٢، ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، منجم باشي، جامع الدول.

(٣) الكاشغري، لغات الترك، ورقة٢١أ + ب

(٤) المصدر السابق، ورقة ٢١أ.

(٥) المصدر السابق، ورقة ٢١أ+ب.

(٦) المصدر السابق، ورقة٢١أ.

وذكرت بعض المصادر أن إسم زعيم السلاجقة الأول هو دقاق(٢)، ويعني القوس من الحديد(٣)، والمعلومات الواردة عنه أقرب إلى القصة الشعبية أو الأسطورة منها إلى الحقيقة، فقد جاء أنَّ دقاق عاش عند ملك الترك (يبغو)، وكان محظياً عنده وصاحب مكانة مرموقة، يستشيره ويأخذ برأيه، إلا أنّ خلافاً وقع بين يبغو ملك التُّرك ودقاق بسبب رغبة ملك الترك غزو بلاد الإسلام، الأمر الذي رفضه دقاق، فاختلفا فضربه دقاق، وحاول أتباع الملك الاعتداء عليه إلا أنه اعتصم وحضر أصحابه إليه، فحالوا دون الإساءة إليه ثم تصالحا(٤)، وأقام عند ملك الترك إلى أن ولد له سلجوق(٥).

ظهرت علامات النجابه على سلجوق، فقرَّبه ملك الترك إليه، ولقبه سوباشي ومعناه قائد الجيش إلا أنّ زوجة ملك الترك كانت تخوّف زوجها منهُ وتوغر صدره عليه خشية من تصاعد نفوذه ومكانته وكان ذلك على مسمع من الأمير سلجوق فقرر الخروج من بلاد ملك الترك بيغو صوب بلاد الإسلام ، ووقع إختياره على مدينة جند التي كان يقيم فيها كفار الترك الي كان ملكهم يأخذ الخراج من المسلمين فأخرجهم الأمير سلجوق منها وإتخذها مقراً له وموطناً وظل يقاتل كفار الترك فعلى شأنه وذاع صيته (٦).

وهذه القصة واضح أثر الوضع عليها ولا تعدو كونها محاولة لإظهار إرتباط أسلاف السلاجقة قبل إسلامهم بالإسلام، وعدم عداوتهم للمسلمين، وللتأكيد على المكانة العالية لأسلاف السلاجقة حتى قبل تأسيس دولتهم.

---

(١) ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨م. ج٤، ص ١٩٧١،١٩٨٠م، نقلاً عن كتاب ملك نامة المصنف للسلطان ألب أرسلان وسيشار إليه لاحقاً هكذا، ابن العديم، بغية الطلب.

(٢) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٢هـ/١٢٠٤م) راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون، دار القلم، القاهرة ١٩٦٠م، ص١٤٣، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، الراوندي، راحة الصدور.ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج (٥) ، ص٦٣.

(٣) الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر بن علي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م، ص١، وسيشار إليه لاحقا هكذا ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية ، ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت،١٩٦٦م، ج٩، ص٤٧٣، وسيشار إليه لاحقا هكذا ، ابن الأثير الكامل ، ابن العديم، بغية الطلب، ص١٩٧١

(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١-٢، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٣،.

(٥) الحسيني اخبار الدولة السلجوقية، ص٢.

(٦) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ، ص٢، ابن الأثير، ج٩، ص٤٧٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢.

أولا، اقامة السلاجقة:

عبر السلاجقة نهر جيحون(١) واستقروا بادئ الأمر في منطقة جند، وظلوا فيها حتى وفاة زعيمهم سلجوق حيث انتقلوا بعد وفاته الى منطقة نوربخارى، وكانوا يتنقلون وفقا لتعاقب الصيف والشتاء فينزلون في نوربخارى شتاء وسمرقند صيفاً(٢).

ثانيا، علاقة السلاجقة مع القوى المحيطة:

بعد ان استقر السلاجقة بين نور بخارى وسمرقند، اخذوا بإقامة سلسلة من العلاقات مع القوى المحيطة بهم مثل القراخانيين والسامانيين والغزنويين مستندين على قوتهم العسكرية وقدراتهم القتالية، ولكنّ ذلك لم يمنع من إقامة علاقات مع الترك والسامانيين والغزنويين.

العلاقة مع الترك والسامانيين:

كانت علاقة السلاجقة مع الترك سيئة نتيجة قيام سلجوق بغزو كفار الترك أثناء اقامته بجند وتحالفه مع السامانيين ليساندوه في موقفه ضد الترك، وليساندهم – أي السامانيين- ضد القراخانيين، فأرسل ابنه أرسلان لمساندة السامانيين ضد أيلك خان زعيم القراخانيين ت٣٨٣هـ /٩٩٣ م وبالمقابل تمكن السامانيون من مساعدة السلاجقة في استرداد ما سلبهم القراخانيون ثم عاد أرسلان الى والده سلجوق(٣).

بقي سلجوق يحارب كفار الترك حتى توفي بجند ودفن فيها، واستمر أبناؤه من بعده وهم: أرسلان، ميكائيل وموسى بيغو، (٤) في محاربة كفار الترك حتى استشهد ميكائيل بن سلجوق، فقرّر أبناء ميكائيل وهم موسى بيغو، طغرلبك محمد، وجغربك داؤود، والذين كانت لهم الطاعة في عشائرهم وأصحاب الأمر والنهي التوجه نحو بخارى، وبعد سقوط الدولة السامانية ٢٦١-٣٨٩ هـ / ٨٧٤- ٩٩٩ م، ساعدت القبائل الغزية إسماعيل بن نوح الساماني المطالب بإعادة الدولة السامانية، وذلك عندما لجأ إسماعيل الساماني إليها معتمداً على ميل القبائل الغزية له، فقامت القبائل بنصرته، وصد هجوم أيلك خان أحمد بن علي الموجه ضد

---

(١) دعاه العرب بنهر جيحون، ثم بطل استعمال هذه التسمية في العصر المغولي فأضحى يسمى نهر (آموداريا amoudaria) وكلمة (أمو) تعني النهر فيكون اسمه نهر داريا. وهو اليوم من أنهار آسيا السوفيتية.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٤٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٧٣-٣٧٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٣-٤٧٥، منجم باشي، جامع الدول،ج١، ص٣.

(٤) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٣-٤٧٥، منجم باشي، جامع الدول،ج١، ص٣.

إسماعيل، وتمكنت من هزيمتهم قرب مدينة سمرقند، وإستولت على معسكره وأسرت عدداً من قادته وجنوده، إلا أنها بعد أن تأكدت من ضعف إسماعيل الساماني وقلة عدد أنصاره، قامت بإطلاق الأسرى الذين وقعوا بأيديها من القراخانيين تقربا لأيلك خان وكسب وده، ثم عادوا إلى ديارهم، مما أدى إلى هزيمة إسماعيل وقتله(١) .

أ. **العلاقة مع القراخانيين:**

دخلت العلاقة بين السلاجقة والقراخانيين طوراً جديداً في عهد أبناء ميكائيل بن سلجوق الذين توجهوا بعشائرهم للإقامة قرب نور بخارى، الأمر الذي لم يكن مرحباً به من قبل أمير بخارى الذي أساء جوارهم، وأراد القضاء عليهم، فلجأ السلاجقة الى التحالف مع بغراخان أمير الدولة القراخانية ٤٢٥-٤٣٥هـ /١٠٣٣-١٠٤٣ م، وأقاموا في بلاده، واتفق كل من طغرلبك وأخوه جغربك داؤد أن لا يجتمعا عند بغراخان حتى لا يمكر بهما، وإنما يحضر أحدهما ويقيم الآخر في أهله، وعندما أدرك بغراخان ذلك؛ قبض على طغرلبك، فثار جغربك داؤد وجمع أتباعه ليخلص أخاه طغرلبك من الأسر، فتحارب مع بغراخان وهزمه وخلّص طغرلبك من الأسر، واتجهوا إلى جند قرب بخارى.

ب. **العلاقة مع الغزنويين**

بدأت العلاقة بين السلاجقة والغزنويين بشكل غير مباشر من خلال تحالف أرسلان بن سلجوق مع علي تكين أحد أمراء القراخانيين وحاكم بخارى(٢)، الذي كان على علاقة سيئة مع محمود الغزنوي، فكان يقطع الطريق على رسله الذاهبين إلى ملوك الترك، فعبر محمود نهر جيحون سنة ٤١٥هـ /١٠٢٤ م لمحاربته، فهرب علي تكين من بخارى، ودخل أرسلان وجماعته المفازة والرمل خوفاً من محمود الغزنوي الذي قام بمحاصرته، مما أدى إلى إستسلام أرسلان والقبائل التابعة له، فقبض عليه محمود وسجنه ونهب خركاهاته(٣).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٥٧-١٥٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٣-٤٧٥، منجم باشي، جامعة الدول، ج١، ص٣.

(٣) خركاهاته: هي لفضة فارسية (خرگاه)، وهي الخيمة التي تصنع من قطع الخشب تركب على شكل قبة ثم يوضع عليها قطع من اللباد، وتعريبها خرقاهة .رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ترجمة د.محمد سليم النعيمي،دار الرشيد للنشر،العراق، ١٩٨١م، ج٤،ص٧٣، وسيشار إليه لاحقا هكذا، دوزي، المعاجم العربية.

اختلف السلطان محمود الغزنوي وقادته حول طريقة التعامل مع قبائل أرسلان بن سلجوق، ففي حين رأى قائده ارسلان الجاذب والي طوس (١)، أن يقطع إبهام كل واحد منهم لئلا يرموا بالنشاب، لأن الغزّ سلاحهم الرئيس هو القوس، فيجعلهم بذلك عاجزين عسكرياً، أو أن يقوم بقتلهم عن طريق إغراقهم في نهر جيحون، وذلك تقديراً من أرسلان الجاذب لخطرهم، إلاّ أنّ محمود الغزنوي رفض هذا الرأي، وانتصر لفكرة توزيعهم داخل مناطق نفوذه لكن بعيداً عن عاصمته غزنة من مناطق نفوذه، فإستقر الرأي على أن يُفرقوا في إقليم خراسان وأقاليم أخرى فلا يجتمعون في مكان واحد بل في عدة أمكنة، وبعد إنزالهم في نواحي خراسان وغيرها من الأقاليم كجماعة من البدو الرعاة، فُرضَ عليهم الخراج وجار عليهم العمال ونهبوا أموالهم وأولادهم(٢).

هكذا دخلت أولى مجموعات الغز إلى خراسان لكن دون زعامة لغياب زعيمهم أرسلان ثم وفاته في السجن، لهذا أصبحت كل مجموعة منهم تحت قيادة زعيمها القبلي من غير آل سلجوق وكان من هؤلاء القادة : بوقا، وبكتاش، وناصغلي، ومنصور، ودانا، وقزل(٣) دخلوا إلى خراسان بعلم الدولة الغزنوية وسماحها لهم و حسب المصلحة الغزنوية حيث تم توطنيهم في مناطق مختلفة من خراسان، وأصبهان، والجبال، وخوارزم، وهم الذين عُرفوا فيما بعد بإسم الغز العراقية نسبة لعراق العجم(٤) وتورطوا في عمليات نهب، وسلب في كل مناطق خراسان، وفارس، والموصل، ورفضوا الإنصياع للدولة السلجوقية بعد تأسيسها، ودمرت قواتهم سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥ م على يد قرواش بن المقلد حاكم الموصل(٥)

وبقيت في ما وراء النهر جماعتان من الغزّ المسلمين هما: جماعة يوسف بن موسى(٦) بيغو بن سلجوق أكبر أفراد الأسرة السلجوقية بعد القبض على عمه أرسلان، وجماعة أبناء ميكائيل، فحاول علي تكين تعويض خسارته بمجموعة أرسلان من خلال مخاطبة يوسف بن موسى للتحالف معه، فَقَدِمَ يوسف إليه ففوَّض إليه التقَّدم على جميع الأتراك الذين في ولايته، ولقبه بالأمير إينانج (بيغو)(٧) وكان هدف علي تكين أن يضرب الغز بعضهم ببعض، ويفرق

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص ١٤٨-١٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص٤٧٥-٤٧٦، ابن خلكان، وفيات الأعيان،ج٥، ص٦٤، منجم باشي، جامع الدول،ج١، ص٦-٧.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٤٧٥-٤٧٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٨٢.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٣٩١.
(٥) المصدر السابق، ج٩، ص٣٧٧- ٣٩١.
(٦) المصدر السابق،ج٩، ص٣٩١.
(٧) مدينة نسا: مدينة في خراسان بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام، وبين ابيورد يوم، ياقوت الحموي

كلمتهم، وطلب منه مهاجمة مجموعة أبناء ميكائيل، فأدرك يوسف بن موسى هدف علي تكين، فرفض أن يطيعه، فقرر علي تكين التخلص من يوسف بن موسى باستدراجه إلى قصره، ثم ألقى القبض عليه وأمر أحد أمرائه واسمه (ألب قرا) بقتله، فاضطر أتباع يوسف أمام ضغط الثأر لزعيمهم، وصغر سن أبناء يوسف (ابراهيم ينال، وأرتاش) للتوجه لمجموعة أبناء ميكائيل للتحالف معهم، واضطر طغرلبك وجغربك، كونهما إخوة ابراهيم لأمه، إلى جمع أتباعهما مع قبائل يوسف وشنوا هجوما على جيش علي تكين، فهزموه وقتلوا الأمير ألب قرا ثأراً لابن عمهم يوسف بن موسى بن سلجوق، فجمع علي تكين العساكر وتبعه أهل البلاد وجمع كثير، فأوقع بالسلاجقة وقتل منهم الكثيرين وأخذ أموالهم وأولادهم، فاضطروا إلى التوجه نحو خوارزم، فراسلهم خوارزم شاه هارون بن التونتاش ٤٢٥هـ / ١٠٣٣ م ليتحالف معهم.

سار طغرلبك، وجغربك داؤد، وموسى بيغو وإبراهيم ينال إليه، وأقاموا بخوارزم، لكنه غدر بهم وأمر الأمير شاهملك بالهجوم عليهم بشكل مباغت، فقتلهم ونهب وسلب، فساروا إلى مفازة نسا(١)، وقصدوا مرو(٢) ثم إستقروا في مناطق نسا، وفراوة(٣).

وبالتالي دخلت مجموعة يوسف بن موسى ومجموعة أبناء ميكائيل المتحالفتان بزعامة طغرلبك، وجغربك داؤد، وإبراهيم ينال، إلى مناطق الدولة الغزنوية لكن دون إذن السلطة الغزنوية مستغلين بذلك وفاة محمود الغزنوي سنة٤٢١هـ /١٠٣٠ م ودخول ابنيه محمد ومسعود في صراع على العرش إنتهى بسيطرة مسعود على السلطة في الدولة الغزنوية، وهذه المجموعة المتحدة دخلت بزعامة واضحة، وعرفت- فيما بعد- بالسلاجقة، وهي التي أسست الدولة السلجوقية(٤) .

وعندما وصل السلطان مسعود بن محمود الغزنوي إلى هراة سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م، جاء المتظلمون إليه من سرخس(٥)، ونسا، وباورد يشكون من اعتداءات قبائل السلاجقة فسيَّر جيشاً، وعيّن أبا سعد عبدوس بن عبد العزيز قائداً له، فاضطر السلاجقة لإرسال ذخائرهم إلى

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٦، ج٥، ص٣٨١-٣٨٢.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٩ ، ص ٤٧٥- ٤٧٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٧.

(٢) مرو: مدينة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام وهي على نهر عظيم، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٢.

(٣) فراوة: بلدة من أعمال نسا بينها وبين دهستان وخوارزم، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٥.

(٤) كرديزي، زين الأخبار، ص١٣١٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج (٥)، ص٦٥.

(٥) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة وواسعة وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٨.

جبل بلخان(١) واشتبكوا مع الجيش الغزنوي، وكانوا يحاربون فوجاً فوجاً، وبعد فترة من القتال، اضطر عبدوس إلى العودة دون إحراز أي نصر على السلاجقة ولكن دون هزيمة (٢).

واستمر الصَّراع الغزنوي السُّلجوقي في عهد السلطان مسعود وتفاقم ووقعت معارك عديدة، فقد أرسل السلاجقة رسالة إلى أبي الفضل سوري بن المعتز حاكم نيسابور للسلطان مسعود بن محمود يطلبون فيها أن يتوسط لهم عند السلطان ليقيموا في ولاية خوارزم، وأن يمنحهم السلطان ولاية نسا وفراوة، وكانت هذه الرسالة موجهة من طغرلبك، وموسى بيغو، وجغربك داؤد، وأنهم مستعدون لجعل أحد ثلاثتهم في خدمة السلطان في العاصمة الغزنوية، وينفذ الآخران ما يأمر به السلطان(٣)، ويظهر هذا الطلب من السلاجقة رغبتهم بالتوسع داخل حدود الدولة الغزنوية، وأن يبسطوا سيطرتهم على بعض الولايات مثل نسا وفراوة، وأن يتحولوا من قبائل بدوية تعدّ تابعة للغزنويين، إلى حكام لبعض المناطق الغزنوية وبالتالي ضمان تحولهم من قبيلة إلى أسرة حاكمة حتى ولو كانت محلية، كخطوة أولى لتأسيس دولة، إلا أنّ هذا العرض قوبل بالرفض من قبل السلطان مسعود الغزنوي، الذي تحقق لديه خطر السلاجقة وطموحهم المتزايد، فقرر محاربتهم، فسار من جرجان(٤) إلى نيسابور(٥)، وعندما علم السلاجقة بحركة السلطان مسعود من جُرجان أخذوا الحذر دون أن يشعروا السلطان بذلك سيراً على قاعدة الإعداد للحرب والصلح(٦).

أرسل السلطان مسعود جيشا قوياً بقيادة الأمير بكتغدي الذي يتمتع بخبرة عسكرية جيدة يرافقه عشرة قادة آخرين من القادة الجدد، قليلوا الخبرة فرضهم السلطان مسعود عليه دون ان يكون له أي دور في اختيارهم، وسار الجيش إلى نسا، وإشتبك مع جيش السلاجقة، واستطاع جيش بكتغدي إحراز النصر في بداية المعركة، لكن الكمائن التي وضعها الجيش السلجوقي والتنازع بين الجيش الغزنوي على الغنائم التي أحرزها في بداية النصر، قلبت كفة الحرب لصالح السلاجقة ضد الغزنويين، وحقق السلاجقة انتصاراً في هذه المعركة، وكان الفضل في

---

(١) بلخان جبل قرب خوارزم، الحموي، معجم البلدان ،ج ١ ص٥٦٨ .

(٢) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٢١.

(٣) البيهقي، محمد بن الحسن(ت٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، ، دار الطباعة، القاهرة، ١٩٥٦م ص٣-٥.وسيشار إليه لاحقا هكذا، البيهقي، تاريخ البيهقي، اليزدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله النظام الحسيني(ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة د.عبدالنعيم محمد حسنين، حسين امين، بغداد، ١٩٧٩م،ص٣٢-٣٣ ، وسيشار اليه لاحقاً هكذا، اليزدي، العراضة.

(٤) جرجان، مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وأول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ١٣٩، وحاليا هي مدينه ايرانيه مركز محافظه جلستان.

(٥) نيسابور مدينة بينها وبين الري مائة وستون فرسخا وبينها وبين سرخس أربعون فرسخا، الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٦) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥١٦-٥٢١.

هذا النصر لجغربك داؤد بن ميكائيل بن سلجوق، الذي أدرك بخبرته العسكرية أن الجيش الغزنوي انشغل بالغنائم ووقع بين أفراده اختلاف على اقتسامها فشن عليهم هجوما مضادا كان مفاجئا لهم، وأدى إلى هزيمتهم، فقتل وأسر منهم عددا كبيرا، واستردّ أموال السلاجقة التي إستولى عليها الغزنويون في بداية المعركة(١) . وكانت هذه المعركة أول معركة مهمة انتصر فيها السلاجقة على الجيوش الغزنوية، مما جعل الدولة الغزنوية توجّه إهتمامها لهم، وكانت من العوامل الرئيسة لحدوث معركة داندنقان فيما بعد.

أما أسباب هزيمة جيش الدولة الغزنوية، فهناك مجموعة من العوامل ساهمت في ذلك أهمها:

أولاً: إصرار السلطان مسعود على تعيين بكتغدي الحاجب قائداً للجيش، وهو رجل كبير السن، ضعيف البصر(٢) ولا يحظى بتأييد القادة العسكريين .

ثانياً: عدم التجانس والتناغم بين قادة الجيش، فلم يكن قادة الجيش الآخرون راغبون في أن يتولى قيادة الجيش بكتغدي(٣).

ثالثاً: عدم التزام الجيش الغزنوي بأوامر بكتغدي، وهذا ما توقعه بكتغدي عندما عينه السلطان مسعود قائداً عاماً للجيش، وعين إلى جانبه عدداً من القادة الشباب الذين لا تجربة لهم، عندها قال بكتغدي للسلطان: "إني عبدٌ مطيع، ولكن قد قيل أن القدر لا ينضج إذا كثر الشركاء" .(٤)

رابعاً: الأوضاع الداخلية للدولة الغزنوية من حيث استعمال الرجال غير الأكفاء، واضطهاد الشعب واثقاله بالضرائب مما أدى إلى عدم دعم الأهالي للجيش الغزنوي أثناء تحركه .(٥)

شعر السلاجقة بأهمية إنتصارهم، وأن الدولة الغزنوية ستوجه كل قواها للتصدي لهم بسبب هذا الانتصار، وحفاظا من الدولة الغزنوية على هيبتها أمام شعبها وأمام القوى السياسية

---

(١) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٢٥، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥١٦-٥٢١، ، الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٦، الحسيني ،أخبار الدولة السلجوقية، ص٤-٥، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٧-٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول ج ١ ، ص٨.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥١٠، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٧-٤٧٨،.

(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥١٦-٥٢١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٧-٤٧٨ .

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ٥١٠، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٧-٤٧٨ .

(٥) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٢٢، ابن الأثير، الكامل، ج، ٩ص٤٧٧-٤٧٨ .

المحيطة بها ، قام السلاجقة بإرسال رسالة بعد المعركة إلى السلطان مسعود يعتذرون فيها عن المعركة، وأنها كانت دفاعاً عن النفس، وأنهم أخطأوا في اختيار سوري للوساطة عند السلطان، وأنهم لا يريدون سوى السلم(١) وقد كان الهدف من هذه الرسالة تهدئة الأجواء مع الدولة الغزنوية وخوفاً من ردها.

كان السلطان مسعود ينتظر هذه الرسالة من أجل إعادة الهيبة للدولة الغزنوية، فقرر أن يبعث رسولاً من عنده إلى السلاجقة ليتأكد من مصداقية ميلهم للسلم، فتم اختيار القاضي أبو نصر الصيني فذهب وعاد برفقة ثلاثة رسل من مقدمي السلاجقة أحدهم من عند بيغو، والثاني من عند طغرل، والثالث من عند جغربك داؤد، وقرر السلطان أن تعطى ولاية دهستان لجغربك داود، وولاية نسا لطغرل، وفراوة لبيغو، وخوطبوا باسم دهقان، وأخذ عليهم العهود(٢).

وما كانت تولية السلطان مسعود لهم إلا خداعاً لهم ليباغتهم فإعلان السلاجقة الولاء للدولة الغزنوية لا يقلل من إنتقاص هيبة الدولة الغزنوية، لذلك كان لابد من تأديبهم عسكريا، فقبل علنا رسالتهم وخطط سرا لمهاجمتهم، ولذلك قرر إرسال جيش إلى هراة(٣)، برئاسة الوزير أحمد بن عبد الصمد ويلحق به سباشي، وكافة جند خراسان من أجل إجلاء السلاجقة عن خراسان(٤).

أشار الوزير على السلطان التوجه إلى هراة بعد انقضاء النوروز لأنّ ابن كاكويه حاكم أصبهان التابع للبويهيين ت٤٣٣هـ /١٠٤١م اتجه الى غزو الرّي (٥) لكن السلطان رفض هذا الرأي واتجه إلى غزنة(٦) على الرغم من أهمية التوجه الى هراة كما يظهر من خلال الحديث الذي جرى بين الوزير أحمد بن عبد الصمد وصاحب ديوان الرسائل والسلطان عندما طلب السلطان أن يعود الوزير إلى غزنة، ليلتقي به حيث قال الوزير: " لو أنّ السلطان أتى إلى هراة

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٢٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٤-٥. الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٦، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٢٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥، الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٦.، ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٨، مستوفي، حمداالله بن ابي بكر بن أحمد قزويني(ت٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)، تاريخ كزيدة، اعتناء عبد الحسين لوائي، مؤسسة انتشارات امير كبير، طهران، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م، ص٤٢٨، وسيشار اليه لاحقاً هكذا مستوفي، تاريخ كزيدة.

(٣) مدينة هراة: هي مدينة عظيمة من مدن خراسان، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٩٦، وهي حاليا مدينة افغانية في محافظة هراة.

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٦١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٧٨-٤٧٩.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٩٥.

(٦) االبيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٦٥، ٦الراوندي، راحة الصدور، ص١٥٦-١٥٧الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥-٦، . ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٨-٤٧٩.

لما بقي في خراسان كلها تركماني واحد، ولم تمض مدة طويلة إلى الأن على بقائهم .... ولكن قلبي مضطرب لما يجري في الري ولأبي سهل وذلك الجيش وما معه من أحمال الذهب والثياب ولخصم مثل ابن كاكويه إذ إنه ما لم يذهب السلطان إلى خراسان، فليس من الممكن التنبؤ بمصير هؤلاء" (١).

ردّ السلاجقة على توجيه مسعود جيشاً إليهم بنهب مناطق خراسان وإقليم الجبال فبدأت الرسائل تصل للسلطان تفيد بقيام السلاجقة بنهب طالقان(٢)، وفرياب (٣)، ومحاصرة الري والاستيلاء عليها، وفرّ أبو سهل الحمدوني إلى نيسابور حيث كبير الحجاب سباشي، وكان السلاجقة في مرو، وكل من الفريقين يستعد للحرب، وعندما استبطأ سباشي السلطان مسعود بادر إلى محاربة السلاجقة، فتفاجأ بالتنظيم الذي كان عليه السلاجقة، وتغيير تكتيكاتهم بسرعة كبيرة أثناء المعركة، فكانوا يقسّمون فرقهم إلى عشر فرق أحيانا وأحيانا أخرى إلى ثلاثين فرقة مما يربك جيوش الغزنويين، وأنهم يعتبرون الصحراء بمثابة الأب والأم، أما سباشي فكان جيشه غير منظم، وبحاجة للإمدادات(٤) وتحارب سباشي مع السلاجقة وخسر المعركة، وبيّن سباشي سباشي سبب هزيمته بما يلي:

١- إستهانة الغزنويين بجيش السلاجقة وعدم تقديرهم تقديراً صحيحاً.

٢- اصطحاب الجند لنسائهم كان خطأ فعندما اقترب النصر للغزنويين هرب كل إلى زوجته أو حصانه[٥].

بعد هزيمة سباشي تجرأ السلاجقة على مهاجمة مدن عديدة، فهاجم إبراهيم ينال مدينة نيسابور، وبذلك أصبحت سرخس، ومرو، ونيسابور تحت سيطرة السلاجقة، ودخل جغربك داؤد فارياب، مما أجبر السلطان مسعود على الخروج بنفسه لقتال السلاجقة، فجهّز جيشاً قوامه خمسون ألف فارس وراجل وثلاثمائة فيل من أجل تخليص خراسان من السلاجقة، وتوجه نحو خراسان حيث خاض معركة مع ألتي حاجب جغربك داؤد وانتصرالسلطان مسعود عليه، ثم قرر التوجه نحو سرخس، فأدركه الشتاء فأقام في نيسابور ينتظر الربيع، واتجه إلى مرو فدخل

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٦٧.

(٢) طالقان: أكبر مدينة بطخا رستان، الحموي، معجم البلدان،ج ٥، ص٧.

(٣) فرياب: بلدة من نواحي بلخ، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٢٩٤.

(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٨١-٥٨٣، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧-٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٩-٤٨١.

(٥) البيهقي، تاريخ البهقي، ص٥٨١-٥٨٣، الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٧-٩، ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧٩–٤٨١

السلاجقة البرية، وضجرعسكره من طول المدة، فقد قضوا ثلاث سنين في السفر بعضها مع سباشي وبعضها مع السلطان مسعود(١).

وفي أثناء توجه السلطان إلى مرو راسله السلاجقة يلتمسون أن يقبل طاعتهم ويعيّن مراعي لهم، فقبل السلطان بشرط أن يكتب بيغو الوثيقة، وأن يقسم أن لا يشق عصا الطاعة. ويكون مطيعاً ويمنع الغز من تلك المفاسد، ويقبلوا المراعي التي يعينها لهم وتعاهدوا على ذلك(٢).

لكن السلاجقة نقضوا عهدهم مع السلطان مسعود، واعتدوا على ذخيرة جيشه، والكثير من الأمتعة، وجرحوا عدداً من أفراد الجيش، فتعقبهم جيش السلطان وقتل وقبض على الكثير منهم وبعث بذلك إلى بيغو(٣).

كانت إقامة السلطان مسعود في نيسابور في غير صالحه، فقد هلك كثير من الجند والرعية نتيجة القحط والجدب، في حين كانت عاصمته غزنة تعج بالعلف والأغذية ، وبعث نائب مسعود فيها رسالة للسلطان يدعوه فيها للقدوم إلى غزنة لكنه لم يذهب إليها(٤). بل أتجه إلى طوس، وكانت تعاني من القحط أيضاً، وهلك المزيد من الناس والدواب، وازدادت خطورة الموقف الذي أصبح عليه السلطان مسعود، فالجيش وصل إلى حد التفكير بالثورة، فأطلعوا السلطان على الأمر، فتحرك نحو سرخس، وكانت خرابا(٥)، فقرر التحرك نحو مرو لأن السلاجقة فيها، وكانت أوضاعهم جيدة ،فالغلات أتى حصادها، وسار الجيش الغزنوي على الرغم من قلة العلف وضعف الخيول ونقص المؤن(٦).

وفي أثناء مسير الجيش الغزنوي ظهر له ألف فارس من الينالبين برئاسة بورتكين وخمسمائة فارس ممن ارتدوا من الجيش الغزنوي فانتصروا على مقدمة الجيش الغزنوي وأدّى هذا الإنتصار إلى إنضمام مجموعة من فرسان الجيش الغزنوي إلى السلاجقة، أمام ذلك أدرك

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٠١-٦٠٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٠، ابن الاثير، الكامل،ج٩، ص٤٨١-٤٨٢

(٢) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٢٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ٤٨١-٤٨٢.

(٣) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣٠.

(٤) كرديزي ، زين الأخبار، ص٣٣٠، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨١-٤٨٢.

(٥) كرديزي زين الأخبار، ص٣٣٠، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٧٤-٦٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨١-٤٨٢.

(٦) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨١-٤٨٢،.

السلطان مسعود الخطأ الذي كان عليه، وتشاور مع أعيان الجيش والمقدمين فكان هناك أمامهم رأيان.

الأول: الاستمرار في التوجه نحو مرو وعدم التراجع عنها، لأن المسافة إليها أصبحت قريبة. وسيحصل الجيش على الغلات وسيهرب السلاجقة إلى الصحراء(١).

أما الرأي الثاني: فكان يمثله قادة الجيش وأمراؤه الذين كان يخشون تمرد الجيش، فقد أخبر بكتغدي السلطان أن الجند يتحدثون فيما بينهم قائلين:(حتى متى نستطيع إمتطاء الإبل، إنا إذا وقعت الواقعة غداً سنأخذ الخيول العربية لأننا لا نقدر على الحرب ونحن على النجائب) (٢).

أما السلاجقة فعند سماعهم خبر تحرك السلطان من سرخس تشاوروا فيما بينهم، وانقسمت أراؤهم أيضا إلى رأيين:-

الأول: ومثله طغرل الذي رأى الذهاب إلى دهستان، وجرجان، وأصفهان، لأن السلطان مسعود معه جيش عظيم ويعرف طريقة حرب السلاجقة(٣).

الثاني: ومثله جغربك داؤد وإبراهيم ينال اللذان أصرا على المواجهة ومحاربة السلطان مسعود وجيشه؛ لأن السلطان سوف يتعقبهم، وسيثير عليهم الولاة جميعهم. وأن الجند والدواب بأحسن حال فلا داعي للفرار[٤].

أخذ كل من بيغو وطغرل والينالييون برأي جغربك داؤد، وبعثوا بأحمالهم مع ألفين من فرسانهم الأصغر سناً الذين كانت خيولهم هزيلة خلفهم، واختاروا الطليعة من جيشهم بقيادة الينالبين[٥].

أما الغزنويون فقد بثوا العيون والجواسيس لتوافيهم بأخبار السلاجقة، وبناء على الأخبار التي وردت إليهم رأوا ضرورة التوجه إلى مرو وتجهزوا لذلك. وسار الجيش في اليوم الثاني بإتجاه مرو، لكنه تفاجأ بالقبائل الغزية واشتبك معها على بعد فرسخ من مسيره، فظهر الجيش الغزنوي متخاذلاً يائساً يحارب مضطرا[٦]. فالهجانة أعدوا الدواب القوية من النجائب، وفكروا في

---

[١] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٢.
[٢] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٢.
[٣] البيهقي، تاريخ البيهقي،، ص٦٨٢.
[٤] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٢-٦٨٣.
[٥] كرديزي، زين الأخبار ص٣٣١، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٣.
[٦] كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣١، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٥-٦٨٧.

الأمتعة والنقود، وودع كل صاحبه، أما الهنود فكانوا يثبطون عزائم الجند، وظهر واضحاً تقاعس غلمان السراي عن القيام بدور فاعل فهم قلب الجيش الغزنوي، وعند سؤال السلطان بكتغدي عن سبب كل ذلك أجابه أن معظم الجند بلا خيول، ومن لديه خيل فخيله ضعيفة من قلة العلف كذلك كانت إجابة قائد الهنود الذي عنّفه السلطان بأن نقص الدقيق والشعير هو السبب. وفي اليوم التالي بعد صلاة الفجر لم يكد الجيش الغزنوي يسير مسافة قريبة حتى أنهال عليهم السلاجقة، وتجددت الحرب فقاتل الغزنويون أفضل من اليوم السابق، لكنهم لم يستطيعوا التقدم[١].

واستمر القتال حتى وصلوا حصن داندنقان في النهار، فطلب السلطان الغزنوي الماء، لكن السلاجقة كانوا قد ردموا أربعة آبار خارج الحصن، والقوا فيها الجيف، حتى لا يستطيع الجيش الغزنوي الاستفادة منها، وقد أشار الأعيان والوزراء على السلطان الغزنوي بالتوقف في داندانقان لكنه رفض وقرر السير. وعندئذ نزل الغلمان عن الجمال، فاستولوا على خيل من يستضعفونه من الفرسان الذين معهم الخيول العربية والختلية، وانضم ثلاثمائة وسبعون غلاماً من الجيش الغزنوي إلى السلاجقة، إضافة إلى الفارين من غلمان الغزنويين أيام بورتكين فتماسكوا جميعاً، وشنوا حملة قوية على جيش السلطان مسعود، فولى الغزنويون الأدبار[٢]، وبقي السلطان مسعود مع بعض قادته وإدارييه، وغلمانهم، في حين كان بكتغدي والغلمان الذين معه يحثون السير في الصحراء، والجنود المهزومون يسيرون في إتجاه أخر.

وانقض السلاجقة على أمتعة الغزنويين، وقاتل مسعود بشجاعة[٣] وحاول الثبات إلاّ أن من بقي معه أشاروا عليه بالتراجع والإنسحاب ، فسار ومعه ابنه والأعيان إلى مرو، وسار طغرل، وبيغو، وجغربك داؤد إلى موقع المعركة وأقاموا فيها، ووضعوا كرسي العرش وجلس عليه طغرل، وجاء الأعيان وسلموا عليه مهنئين بإمارة خراسان، وخلع على فرامرز بن كاكويه وولاّه أصفهان، واستمر النهب حتى صلاة المغرب.

---

[١] كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣١، البيهقي ، تاريخ البيهقي، ص٦٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨،.
[٢] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٨٣-٤٨٤،.
[٣] كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣١، البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١١-١٢، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٢، اليزدي، العراضة، ص٣٤-٣٦.

وكتب طغرللقراخانيين بتركستان يخبرهم بنصرهم الذي تحقق وإستطاعوامن خلاله السيطرة على خراسان إضافة إلى حصولهم على غنائم كثيرة من الأموال والعبيد والحيوانات والأمتعة .

وبعد إنتصارهم توجه طغرل إلى نيسابور مع ألف فارس، واستقر موسى بيغو في مرو و الينالين، أما جغربك داؤد فسار مع معظم الجند ليستولى على بلخ و طخارستان.

أما السلطان مسعود فتوجه إلى غزنة[١] . فدخلها وهو شديد الخجل بعد الهزيمة التي مُني بها، فحاول الأعيان والخاصة التخفيف عنه فقال: (ما هذا الهذيان الذي يقولون، لقد أحرزنا الملك في مرو وضاع منا الملك في مرو) [٢]. وبذلك أدرك السلطان مسعود أنّ هزيمته في داندانقان كانت بداية لضياع ملكه وانهيار دولته.

أسباب هزيمة الغزنويين في داندنقان

تعتبر معركة داندنقان ٤٣٢هـ /١٠٣٩م بداية النهاية لدولة قوية لها مشروع عالمي (الدولة الغزنوية)، وقد حولتها هذه المعركة إلى دولة محلية ينخرها الضعف، بدأت تفقد ولاياتها شيئاً فشيئاً لصالح السلاجقة الذين انطلقوا في مشروع توسعي أفضى إلى إقامة دولة مترامية الأطراف بعد أن كانوا قبائل متنقلة، ويمكن إجمال أبرز أسباب هزيمة الغزنويين في داندنقان بما يأتي:

أولاً: أن الجيش الغزنوي كان منهكاً عند مسيره نحو داندنقان، فقد سار السلطان من نيسابور إلى سرخس، وكانت خرابا تعاني من القحط بينما، الأعلاف والمراعي متوفرة في غزنة، لكن السلطان رفض الذهاب إليها(٣) وسار إلى سرخس و كانت خراباً وهلك كثير من الجند والدواب، وكانت الخشية أن يثور الجيش، بينما السلاجقة في مرو يتنعمون بالمواد الغذائية(٤).

ثانياً: العلاقات السيئة التي كانت بين السلطان مسعود وقادة الجيش مثل بكتغدي، و السبهسلار، فظهر ذلك بوضوح عندما بعث الأمير التونتاش يطلب النجدة، لأن السلاجقة يشددون

---

[١] الفارقي، احمد بن يوسف(ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م)، تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص١٥٤-١٥٥، وسيشار اليه لاحقاً هكذا، الفارقي، تاريخ. الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية،ص١٢،ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٣-٤٨٤.

[٢] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧٠٥-٧٠٦.

[٣] المصدر نفسه ، ص٦٧٤-٦٧٦.

[٤] المصدر نفسه ، ص٦٧٤-٦٧٦.

الضغط على جهته، فأرسل السلطان مسعود السبهسلار الذي غضب وحطم الطبول وحرقها فسبب حدوث تراخي في الجيش(١) وكذلك بكتغدي الذي كان على غير عادته في المعركة فهو يتمتع بمكانة رفيعة بين الجند وله تأثيره، وسبب تراخيه أن السلطان مسعود استدعى قادة الجيش الأقل مرتبة منه، ونبههم وحفزهم ليكونوا متيقظين مما أثر في نفسه لأنه لم يُستدعَ(٢).

ثالثاً: عدم توفر احتياجات الجيش من مؤن وأعلاف وماء، مما أدى إلى إصابة الجيش بالغزنوي بالضعف والوهن، فحتى الماء كان الجيش لا يجده، إضافة إلى نقص الخيول العربية والجمال وضعف الدواب، فالسلطان كان يستطيع تدارك ذلك لو اتجه إلى المناطق التي يستطيع الجيش أن يحصل فيها على مؤونته واحتياجاته. ودليل ذلك قول الجند الغزنويين في أثناء مسيرهم: (حتى متى نستطيع امتطاء الإبل إنا إذا وقعت الواقعة غداً سنأخذ الخيول العربية لأننا لا نقدر على الحرب ونحن على النجائب) (٣).

رابعاً: انقلاب عدد من أفراد الجيش الغزنوي ضد السلطان مسعود وجيشه فكانت نقطة ضعف كبيرة ضد السلطان مسعود، إضافة إلى عدم إدراك الغزنويين للطريقة التي حارب بها السلاجقة. فقد حصّن السلاجقة منطقة داندنقان، فلم يسر الجيش الغزنوي في اليوم التالي إلا والجيش السلجوقي قد خرج من مكامنه(٤).

خامساً: عدم استخدام المخابرات من قبل السلطان مسعود بشكل جيد، حيث أنه تفاجأ بالسلاجقة يهاجمون قواته.

قرر السلطان مسعود بعد هزيمته في داندنقان أن يذهب إلى الهند ليجمعَ جيشاً كبيراً ويعود لحرب السلاجقة وعمل في سبيل ذلك على مكاتبة الأمراء المحيطين به، فكتب إلى أرسلان خان يطلب العون والمدد لحرب السلاجقة. وفي تلك الأثناء وصلته رسالة من أميرك البيهقي صاحب بلخ يطلب العون ليستطيع دفع جغربك داؤد وجيشه الذين اقتربوا من أبواب بلخ واشتبك معهم(٥).

---

(١) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ص٦٧٦-٦٧٧.
(٢) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٨٥-٦٨٧.
(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٦٨٢.
(٤) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص ٦٨٩.
(٥) البيهقي، تاريخ البيهقي ، ص٦٨٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٢-١٣.

فبعث السلطان الأميرألتونتاش بجيش عدته ألف فارس من الجند الممتازين إلى بلخ وأمرهم إن فشلوا في دخولها أن يتجهوا إلى طخارستان ليضبطوها(١).

لكن التونتاش أطلق يد الجند للنهب والسلب بعد أن تجاوز بغلان(٢) فحرك جغربك داؤد جيشاً قوامه ستة ألاف فارس لمحاربة التونتاش فالتقى الفريقان وانهزم التونتاش(٣).

واصل السلطان مسعود مسيره إلى الهند وجمع الأموال والخزائن التي وضعها والده السلطان محمود الغزنوي لشن حرب واسعة ضد السلاجقة، إلا أنه تعرض لانقلاب عسكري في طريقة إلى الهند في رباط ماريكاه أسفر عن تولية أخيه محمد الذي أحضر من سجنه في قلعة برغند وتم سجن مسعود في قلعة كيري ثم صدر الأمر بقتله للتخلص منه، وأصبح محمد سلطان الدولة الغزنوية(٤) لكنه كان ضعيفاً، فقد طمع الجند فيه ونهبوا أموال الرعايا وخربت البلاد، وفي تلك الأثناء كان الأميرمودود موجوداً في خراسان يحاول الدفاع عن بقايا ممتلكات الغزنويين فيها، وتكوين خط دفاع قوي في وجه السلاجقة إذا حاولوا مهاجمة غزنة عاصمة الغزنويين، لذلك قام مودود بمجرد علمه بمقتل والده مسعود، بقيادة قواته في خراسان إلى غزنة، وقام بمواجهة عمه محمد والثأئرين على أبيه ،وتمكن من الإنتصار عليهم، وقتل عمه محمد ومعظم أبناؤه إنتقاما لمقتل أبيه، وحكم الدولة الغزنوية لمدة سبع سنين، إلا أن إنسحاب مودود من خراسان ثم دخوله في صراع على العرش مع عمه محمد بن محمود بن سبكتكين، مكن السلاجقة من إحكام سيطرتهم على خراسان، والتوجه نحو مناطق أخرى غربها والسيطرة عليها(٥).

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧١٠-٧١؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٢-١٣.
(٢) بغلان: بلدة بنواجي بلخ، الحموي، معجم البلدان،ج ١، ص٥٥٤.
(٣) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٧١٠-٧١١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٢-١٣، ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص٤٨٤-٤٨٥.
(٤) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣٥-٣٣٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٤.
(٥) كرديزي، زين الأخبار، ص٣٣٥-٣٣٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٤، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩، ص٤٨٨-٤٨٩.

التوسع السلجوقي بعد داندنقان وبداية التحول نحو الدولة:

تبرز أهمية داندنقان ٤٣٢هـ /١٠٣٩م بالنسبة للسلاجقة من ناحيتين:

الأولى سياسية، **والثانية** عسكرية، فمن الناحية العسكرية كان الانتصار الأخير والأبرز للسلاجقة على الغزنويين، فقد شهدت الدولة الغزنوية بعده أوضاعاً مضطربة كانت مؤشراً دالاً على قرب نهايتها ، ولم يعد الغزنويون يشكلون خطرا على مصير السلاجقة.

أما الناحية السياسية فتمثلت بقيام الدولة السلجوقية وإعتراف الخليفة العباسي القائم بامر الله بها ثم انطلاق السلاجقة وتوسعهم نحو العديد من المناطق التي فرضوا سيطرتهم عليها، فبحلول سنة ٤٣٣هـ /١٠٤٠م[١] ملك طغرلبك جرجان، [٢] وطبرستان،[٣] وخوارزم، ودهستان[١]،

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٩٦-٤٩٧.

[٢] جرجان:بالضم وأخره نون مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة . الحموي ، معجم ا لبلدان ، ج ٢ ، ص١٣٩.

[٣] طبرستان:بفتح أوله وثانيه وكسر الراء وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الإسم ومن أعيان بلدانها دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمل ، وطبرستان في البلاد المعروفة بمازندان وهذه الباد مجاورة لجيلان وديلمان ، وهي بين الري وقومس

وطبس،[٢] وأطراف كرمان، ثم تسلم قلعة الري من أخيه إبراهيم ينال الذي سار إلى سجستان، [٣] وأخذ قلعة طبرك،[٤] من مجد الدولة البويهي ٣٨٧-٤٢٠ هـ/٩٩٧- ١٠٢٩م، وملك قزوين، ودخل ملك الديلم وملك همذان في طاعته وأعلنت الخطبة في هذه المناطق لطغرلبك، وجبى السلاجقة خراجها [٥].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ضعف الدولة الغزنوية وعجزها عن وقف التوسع السلجوقي ساهم في نمو التفكير السياسي عند السلاجقة نحو تأسيس الدولة، و يمكن ملاحظة ذلك من خلال إقرار السلطان مسعود كل من طغرل، وبيغو، وجغربك داود على ولايات نسا، وفراوة وباورد فمنحهم لقب دهقان[٦]

فزاد ذلك من نفوذ السلاجقة وطموحهم وبدأوا بعدها بالتوسع داخل أراضي الدولة الغزنوية فلاحظ ذلك عدد من رجال الدولة الغزنوية مثل وزير السلطان مسعود أحمد بن عبد الصمد الذي أدرك مطامع السلاجقة وتفكيرهم فقال منبهاً من تعاظم خطرهم: "كيف نتعامل حتى الآن مع الرعاة ... كم قاسينا منهم، وكم نقاسي حتى الآن من بلاياهم، أما اليوم فإنهم قد أتوا إلينا أمراء ممن يلون الولايات"[٧] لكن السلطان مسعود ظل كعادته لا ينفذ إلا رايه ولو كان خاطئا، فكانت النتيجة أن تحول السلاجقة من قبائل متنقلة تطلب مكاناً تستقر فيه إلى نواة دولة انتصرت على السلطان مسعود وحولت دولته إلى دولة ضعيفة لا تقوى على الدفاع عن نفسها، فبدأت تفقد الولايات التابعة لها شيئاً فشيئاً، فبدأ السلطان طغرلبك بمخاطبة القوى المحيطة به من أجل فتح قنوات الإتصال معها مثل جلال الدولة البويهي حاكم العراق وفارس ٤١٦-٤٣٥هـ /١٠٢٥-١٠٤٣م الذي خاطب السلطان طغرلبك بالملك الجليل والخلافة العباسية التي بعثت برسالة من الخليفة العباسي القائم بأمر الله تنكر على السلطان طغرلبك ما فعله في البلاد وتأمره بالإحسان إلى الرعية مضمونه

والبحر وبلاد الديلم والجيل ، الحموي ، معجم البلدان، ج ٤، ص١٤-١٥.

[١] دهستان: بكسر أوله وثانية بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان، الحموي،معجم البلدان،ج٢،ص٤٩٢

[٢] طبس: مدينة بين نيسابور وأصبهان وكرمان، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٢٣.

[٣] سيجستان: بكر أوله وثانية ناحية كبيرة بينها وبين هراة عشرة أيام وثمانون فرسخاً وهي جنوبي هراة.،الحموي،معجم البلدان،ج٣، ص١٩٠

[٤] طبرك: قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص١٨.

[٥] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٠٦-٥٠٩.

[٦] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٥٢٨، الراوندي راحة الصدور، ص١٦٥ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٤ .

[٧] البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٤-٥.

تذكيرهم بالله وحملهم على رعاية العباد وعمارة البلاد وحمل هذه الرسالة أبو بكر الطوسي"[١]. وهنا يود الباحث الإشارة إلى أن العلاقات بين السلاجقة ممثلين بالسلطان طغرلبك والخلافة العباسية قد بدأت من خلال المراسلات التي تم تبادلها بين الطرفين التي يمكن التنبؤ بتاريخها على وجه التقريب بحدود سنة ٤٣٣-٤٣٤هـ /١٠٤١-١٠٤٢م وتكمن أهمية هذه المراسلات بأنها جاءت كحاجة ملحة للطرفين فالسلاجقة وجدوا فيها فرصة لكسب الشرعية من الخليفة العباسي وبسط سيطرتهم على العراق ومن ثم التوجه نحو الشام، والخليفة العباسي وجد فيها محاولة لإستعادة نفوذ الخلافة السياسي المفقود لصالح البويهيين وقد أرسل الخليفة العباسي القائم بامر الله ٤٢٢-٤٦٧هـ /١٠٣٠-١٠٧٤م رسالة إلى السلطان طغرلبك يطلب إليه التوقف عن أعمال القتل والخراب التي مارسها الجيش السلجوقي المدن التي أخضعها[٢] وهذه هي أول الرسائل التي تم تبادلها بين الطرفين وقد تم ترجيح تاريخها بناءاً على رسالة تم توجيهها من قبل الخليفة العباسي القائم بأمرالله سنة ٤٣٥هـ /١٠٤٣م حملها أقضى القضاة الماوردي يطلب فيها الخليفة من السلطان طغرلبك التصالح مع الملك البويهي أبوكاليجار، فلا يعقل أن يرسل الخليفة العباسي رسالة إلى السلطان طغرلبك لعقد صلح مع البويهيين على أثر إستيلاء أبوكاليجار على همذان وإزاحة نواب طغرلبك عنها[٣] قبل أن يكون هناك رسائل سابقة بين الطرفين أيّا كان مرسلها تحدد ملامح المرحلة المقبلة بينهما خاصة أن السلطان طغرلبك كان قد عقد العزم على التوجه نحو بغداد وخلال الفترة الممتدة مابين سنة ٤٣٦-٤٣٩هـ /١٠٤٤-١٠٤٧م حدث خلاف وتوتر في العلاقة بين السلاجقة والخلافة

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٥، ص٢٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦١٠ البنداري ،الفتح بن علي بن محمد البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق، ط١، ١٩٨٠، بيروت، ص٩، وسيشار إليه لاحقاً هكذا البنداري، دولة آل سلجوق، ابن العبري، ابو الفرج غرغيريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، ترجمة اسحاق رملة، ١٩٨٦، دار الشروق، بيروت، وسيشار اليه لاحقا هكذا، ان العبري، تاريخ الزمان، اليزدي ، محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني،(ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، تر جمة د. عبدالنعيم محمد حسنين ، ود. حسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م، ص٣٧-٣٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، اليزدي ، العراضة. الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) ، سير أعلام النبلاء ، ط١١، ٢٥ جزءاً ،تحقيق شعيب الإرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٦م.ج١٥، ص١٣٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الذهبي ، سير أعلام.

[٢] ابن الأثير ، الكامل ، ج٩، ص ٥٢٦-٥٣٧ .

[٣] ابن الأثير ، الكامل ،ج٩، ص٥٢٦. بيات ، فاضل ، علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية ٤٢٩-٤٤ هـ /١٠٣٨-١٠٥٥م، مجلة أداب المستنصرية ، ع ٩، ١٩٨٩م، ص٢٦٠، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، بيات ، علاقة السلاجقة.

العباسية بسبب مطالبة طغرلبك أن يتم منحه لقب سلطان لكن الخليفة رفض منحه ذلك مما أدى إلى توقف المراسلات بين الطرفين إلى سنة ٤٤٠هـ /١٠٤٨م حيث توسط الخليفة العباسي القائم بأمر الله لدى السلطان طغرلبك لإطلاق سراح الأمير ليباريت الذي أسره الأمير إبراهيم ينال في إحدى حملاته العسكرية على مناطق أرمينية في أواخر سنة ٣٣٩هـ / ١٠٤٧م فقبل السلطان طغرلبك وساطة الخليفة وأطلق سراحه، فبدأت العلاقات بينهما تشهد تحسناً ملحوظاً وفي سنة ٤٤٢هـ /١٠٥٠م أرسل الخليفة العباسي القائم رسالة إلى السلطان طغرلبك يدعوه فيها إلى تحسين سيرته مع أهالي أصفهان وخاطبه فيها بالسلطان الشرعي وملاذ المسلمين ركن الدين[١] مما يمكن إعتباره توجهاً من الخلافة العباسية لتوثيق علاقتها بالسلطان طغرلبك والتي قابلها السلطان طغرلبك بإرسال رسلاً من عنده محملين بالهدايا إيذاناً بدخول العلاقات بين السلاجقة والخلافة العباسية مرحلة ًجديدةً تُوّجت بتوجيه الخلافة العباسية الدعوة للسلطان طغرلبك لزيارة بغداد من خلال كتاب كتبه ابن المسلمة وزير الخليفة القائم الخليفة القائم وقد خاطب السلطان طغرلبك فيه بالأمير الجليل ركن الدولة[٢] لكن السلطان طغرلبك لم يلبي الدعوة إلا سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م بعد أن فرغ من فتوحاته في مناطق إيران وإطمأن إلى إرساء قواعد دولته الناشئة[٣] بإعتباره كان يمتلك مخططاً لإرساء قواعد دولة لذلك نظر إلى دعوة الخليفة بإعتبارها مقدمة من مقدمات الإعتراف الشرعي بالسلاجقة واستمر طغرلبك في طريقه نحو بغداد عاصمة الخلافة العباسية، للحصول على الاعتراف الشرعي الكامل من الخليفة فعمل في سبيل ذلك على اخضاع العديد من المناطق مثل قرميسين[٤] التي فتحها إبراهيم ينال [٥] وفتحت أصبهان على يد طغرلبك[١] لكن الحدث الأبرز

---

[١] عليان الجالودي، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ – ١١٩٣م، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الاردنية، ١٩٩٧م، ص٣٣-٣٤، وسيشار اليه لاحقا هكذا، الجالودي، تطور السلطنة. بيّات، علاقة السلاجقة، ص٢٦٣.

[٢] ابن العمراني ، محمد بن علي، (ت ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، الأنباء في تاريخ الخلفا، تحقيق قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية ، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٨٨ وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، ابن العمراني،الأنباء، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ٣٤٨.

[٣] ابن العمراني، الأنباء، ص١٨٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥،٣٤٨ ،ابن العبري، مختصر الدول، ص٣٢٠، بيات ، علاقة السلاجقة، ص٢٦٤.

[٤] قرميسين: بلد بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً قرب الدينور، الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص٣٧٥.

[٥]ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص ٣٢٨ ، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٠.

الذي سهّل دخول طغرلبك إلى بغداد وحصوله على الإعتراف الشرعي من الخليفة العباسي تمثل بالخلاف القوي الذي نشب بين الخليفة العباسي، القائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧ هـ /١٠٣١-١٠٧٥ م وأرسلان البساسيري[٢]. الذي تعاظم نفوذه فخطب له على المنابر العراقية، والأهواز[٣] ونواحيها فجبى الأموال وكان الخليفة يشاوره في كل شيء حتى تبين أن البساسيري ينوي القبض على الخليفة ونهب داره، فراسل الخليفة طغرلبك طالباً منه القدوم إلى العراق[٤] فدخل طغرلبك بغداد في رمضان سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م وهرب البساسيري إلى الرحبة[٥]. فراسل صاحب مصر المستنصر الفاطمي ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥- ١٠٩٤ م يطلب منه الأموال فأرسل إليه ما طلب وولاة الرحبة.

وكان في استقبال طغرلبك عند وصوله إلى بغداد رئيس الرؤساء ابن المسلمة [٦] وزير الخليفة العباسي القائم بأمرالله ورافقه – أي السلطان طغرلبك- وزيره عميد الملك الكندري[٧] وقد بيّن سبب قدومه إلى بغداد قائلاً: (ما وردت إلا منصرفاً عن الأوامر السامية وممتثلاً للمراسم العالية ومتميزاً عن ملوك خراسان بالدنو من هذه الخدمة الشريفة ومنتقماً من أعدائها وسائراً إلى

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٣١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، .ص-٥٣٣،

[٢] إرسلان البساسيري: هو أبو الحارث إرسلان عبد الله الباسسيري التركي مقدم الجند التركي في الجيش البويهي يقال: كان مملوك لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه خرج على الإمام القائم بأمر الله وخطب له على منابر العراق وخوزستان، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي،(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م) ، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها ،وذكر قطانها العلماء من غير أهلها، تحقيق، د. عواد بشار معروف ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي،بيروت ٢٠٠١م ، مجلد ١١، ص٤٨-٥٢، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، الخطيب البغدادي ، مدينة السلام، ابن العمراني، الأنباء، ص١٨٨ ، الأزدي ،أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن الحسين الأزدي، (ت٦١٣هـ/١٢١٦م) ، أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق دعصام هزايمة ، ود.محمد محافظة ، علي عباينة، محمد طعاني ، دار حمادة للدراسات الجامعية والخدمات، إربد الإردن ، ١٩٩٩م، ج٢، ص٤٢٧-٤٢٩، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الأزدي ، أخبار. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١ ، ص٨١.الذهبي، سير أعلام، ج١٥، ص١٣٩.

[٣] الأهواز:جمع هوز ، وأصله حوز، وهي كثيرة الإستعمال عند الفرس وليس عند الفرس حاء مهملة وإسمها عند الفرس خوزستان وفي خوزستان مواضع يقال لها لكل واحد منها خوز كذا فالأهواز إسم الكورة بأصلها وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الإسم عند العامة اليوم فهو سوق الأهواز ، الحموي ، معجم البلدان، ج ١، ص ٣٣٨.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥ ، ص٣٤٨-٣٤٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٠٩-٦١٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٠، سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغل، المعروف سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق قاسم حسن يزبك، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القديس يوسف، ١٩٨٤، بيروت، ص٢٦.وسيشار إليه لاحقا هكذا سبط ابن الجوزي، مراة الزمان.

[٥] الرحبة: بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام والى بغداد مائة فرسخ والى الرقة نيف وعشرون فرسخا، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات اسفل من قرقيسيا، الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص٣٤.

[٦] رئيس الرؤساء: هو ابو القاسم علي بن حسن بن أحمد بن محمد بن المسلمة، رئيس الرؤساء تولى الوزارة سنة ٤٤٣-٤٥٠هـ/ ٤٥٠هـ/ ١٠٥١-١٠٥٨م، للخليفة العباسي القائم بأمر الله، الخطيب البغدادي، مدينة السلام ، ج١٣ ، ص٣٢٦-٣٢٨ ، زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، أخرجه د. زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م وسيشار اليه لاحقا هكذا: زامباور، معجم الأنساب.

[٧] ابن الجوزي، المنتظم، ص٣٤٨-٣٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٠٩-٦١٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢،٣٤٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص٢٦-٣٠، اليزدي، العراضة، ص٣٩، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٤.

بلاد الشام لفتحها وإصلاح طريق الحج)، فالسلطان طغرلبك وضّح في بيانه أبرز الدوافع التي جعلته يأتي إلى بغداد والمتمثلة بما يلي :

أولاً : تقبيل العتبة الشريفة والإنتماء لخدمتها .

ثانياً : تأدية فريضة الحج وفتح طريق الحج العراقي .

ثالثاً : القضاء على الخلافة الفاطية، وإعادة توحيد الأمة تحت راية العباسيين .[١] فسأله رئيس الرؤساء في إعطاء الأمان للملك الرحيم أخر حكام البويهيين في العراق وأن لا يؤذيه، وخطب لطغرلبك ثم للملك الرحيم بعده. لكن ذلك لم يستمر طويلاً. فسرعان ما قبض طغرلبك على الملك الرحيم وأمر بحمله إلى قلعة طبرك فاعتقل فيها حتى وفاته[٢].

وخلع الخليفة القائم بأمرالله ٤٢٢-٤٦٧هـ /١٠٣٠-١٠٧٤م على السلطان طغرلبك يوم الأربعاء حادي عشر ذي القعدة [٣] ثم راسل طغرلبك نور الدولة دبيس[٤]. الذي كان حليفاً للبساسيري بإبعاد البساسيري، فقبل ودخل في طاعة طغرلبك فخطب له في بلاده وضمّن طغرلبك البصرة لهزارسب بنكير وأقطعه أرجان[٥] وأقطع قرميسين لأبي علي بن أبي كاليجار[٦] وبدأت أهمية السلاجقة ومكانتهم تزداد من خلال مصاهرة الخليفة العباسي القائم بأمرالله ٤٢٢-٤٦٧هـ / ١٠٣٠-١٠٧٤م الذي عقد له على خديجة خاتون بنت أخي السلطان طغرلبك سنة ٤٤٨هـ /١٠٥٦م وتولى ذلك رئيس الرؤساء[٧].

وفي العام التالي ٤٤٩هـ /١٠٥٧م بدأت المواجهة العسكرية بين طغرلبك والبساسيري، فقد هاجم كل من البساسيري وحليفه قريش بن بدران العقيلي قتلمش بن إسرائيل ابن عم السلطان طغرلبك وهزموه في سنجار[٨] ، فتوجه قتلمش إلى همذان بعد هزيمته، مما دفع طغرلبك إلى

---

[١] ابن العمراني ،الأنباء، ص١٨٩، ابن الجوزي ، المنتظم، ج١٥، ٣٤٩.

[٢] الملك الرحيم: أبو نصر خسرو فيروز ٤٤٠هـ/١٠٤٨م آخر سلاطين بني بويه في العراق، زامباور، معجم الأنساب ، ص

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٤٩، سبط، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٣.

[٤] نور الدولة دبيس: هو أبو الأغر دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي ملك العرب صاحب الحلة المزيدية، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢ ، ص٢٦ ، خاشع المعاضيدي، دولة بني عقيل في الموصل(٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠- ١٠٩٥م ، ط١، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٦٨م، ص ١٠٠، وسيشار إليه لاحقا هكذا، المعاضيدي، بني عقيل .

[٥] أرجان: مدينة كبيرة بينها وبين شيراز ستون فرسخا أنشأها قباذ بن فيروز وأصبحت كورة من كور فارس بعد ان دخلها الإسلام، الحموي، معجم البلدان،ج ١، ص ١٧٢.

[٦] ابن الأثير، الكامل ج٩، ص٦١٣-٦١٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٦.

[٧] ابن العمراني، الأنباء، ١٩٨-١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦١٧، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٣ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٧.

[٨] سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاث أيام، الحموي، معجم البلدان ،ج ٣، ص٢٩٧.

التحرك نحو الموصل فملكها، ثم إلى سنجار ففتحها عنوة في العام نفسه وهو الأمر الذي أدى إلى خروج البساسيري إلى الرحبة[١]، وإزداد السلطان طغرلبك قوة بابن أخيه ياقوتي بن جغربك داود، فقرر العودة إلى بغداد والتقى بالخليفة فخلع عليه ولقب بالسلطان و ملك المشرق والمغرب[٢].

وفي عام ٤٥٠هـ /١٠٥٨م تضعضعت أوضاع السلطان طغرلبك في بغداد وارتبكت أمور الخلافة العباسية نتيجة انقلاب داخلي قام ضد السلطان طغرلبك بدأ بمحاصرة البساسيري للموصل، وكان به الأمير ابن أردم، وبايتكين، أمراء طغرلبك فأرسل طغرلبك لنجدتهم إبراهيم ينال الذي تحالف مع البساسيري والفاطميين ضد طغرلبك مقابل دعمهم له في صراعه مع طغرلبك، وإعترافهم بسلطنته في المشرق الإسلامي، وقام إبراهيم ينال بعد إنكشاف تحالفه مع البساسيري بالتوجه مع قواته بإتجاه الري عاصمة السلاجقة أنذاك، للسيطرة عليها ، مما دفع طغرلبك لترك بغداد ومطاردته ليسبقه إلى الري ويمنعه من دخولها وترك أمر الدفاع عن بغداد لوزيره عميد الملك الكندري وزوجته الخاتون وإبنها أنوشروان مع جزء صغير من جيشه إلا أن هذا الجيش الصغير سرعان ماترك بغداد بعد وصول أنباء محاصرة إبر اهيم ينال لطغرلبك في الري التي وصلها ودخلها قبل إبراهيم ينال ، مما إضطرهم لإنجاد طغرلبك، مما جعل بغداد عاصمة الخلافة والخليفة بدون أي حماية في مواجهة البساسيري وحليفه قريش بن بدران أمير الموصل، فقام البساسيري مع حليفه بمهاجمة بغداد والسيطرة عليها بعد معركة صغيرة مع قوات عميد العراق والأهالي الذين جندهم وزير الخليفة ابن المسلمة، وتمكن البساسيري من السيطرة على بغداد، وقتل وزير الخليفة، وألقي القبض على الخليفة الذي نقله قريش بن بدران إلى حديثة عانة مع قريبه مهارش بن مجلي وقام البساسيري بنهب قصور الخلافة، وأعلن الخطبة في بغداد للخليفة الفاطمي، وذلك سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م وعندما كان البساسيري يقوم بهذه الأعمال كان طغرلبك قد تمكن من دحر إبراهيم ينال وأسره ثم قتله بيده، بعد أن قدمت له مساعدات من أبناء شقيقه جغربك داود الذين أنجدوه بقوات خراسان السلجوقية، إضافة إلى قوات وزيره عميد الملك الكندري وزوجته الخاتون الذين قدموا من بغداد فتمكنوا من الإطباق على إبراهيم ينال والقضاء عليه . ليبدأ بعدها طغرلبك

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٤٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٤، سبط ابن الجوزي ، ص٦٧، الذهبي، سير أعلام ج١٥، ص١٣٩، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٤ .

[٢] ابن العمراني، تاريخ الخلفا، ص١٩١- ١٩٢ ، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١، ، ابن الأثير الكامل، ج٩، ص٦-٦٣٤، ٦٣٤، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٦-١٧ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٧١-٧٨.

بالتخطيط لإستعادة بغداد والخليفة ، وراسل لأجل ذلك قريش بن بدران في إعادة الخليفة وخاتون زوجة الخليفة إبنة جغربك داود، فتم إرجاع الخاتون، أما الخليفة فطلب قريش مشاورة البساسيري باعتباره حليفه فاشترط البساسيري شروطاً لعودة الخليفة[١].

وكان السلطان طغرلبك قد وعد قريش بن بدران أن يوليه العراق، ويمنحه الأمان في حال أطلق سراح الخليفة ليقنع البساسيري بذلك لكن البساسيري أصر على شروطه وهي:

١- أن يكون هو النائب على باب الخليفة والخادم دون غيره.

٢- رد خوزستان للبساسيري(٢).

٣- تقتصر الخطبة في بغداد على الخليفة فقط دون ذكر السلطان طغرلبك.

٤- عدم تقدم طغرلبك نحو بغداد مطلقا.

وأرسل البساسيري مع رسل السلطان طغرلبك إلى الخليفة من يتولى تحليف الخليفة على ما اشترط، إلا أن هذه الشروط رفضت وعندما علم البساسيري بقرب السلطان من العراق كاتب مَن بالبصرة ليصعدوا إلى بغداد يعجلهم، أما مهارش فقد ساءت علاقته مع البساسيري لعدم وفاء البساسيري بوعوده له.

فسار بعد أن تحلل من عهد الأمان الذي منحه قريش للخليفة[٣] برفقة الخليفة الذي استأمن منه لنفسه إلى قلعة تل عكبرا[٤] فبعثوا إلى السلطان بذلك. وكان قد وصل إلى بغداد، فأرسل وفداً برئاسة عميد الملك الكندري وثلاثمائة غلام وسرادق كبير لإحضار الخليفة فاحضروه والتقى بالسلطان فعرفه ما حدث والأخطار التي واجهها ودفعته للخروج من أجل دفعها،[٥] واستأذن

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفا، ص ١٩٢-١٩٦، الفارقي، تاريخ، ص١٥٦، ابن الجوزي، المنتظم ج١٦،ص٣٠-٣٣ ، الازدي، اخبار، ص١٣١، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص١٩-٢٠ ابن الأثير، الكامل ج٩، ص٦٣٩-٦٤٥، البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص١٧-١٨ سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٠٧،الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمدالبغدادي، (٦٩٧هـ/١٢٩٧م٩ ، مختصر التاريخ ، تحيق مصطفى جواد ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧٠م ، ص٢٠٥، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الكازروني ، مختصر التاريخ ، ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) المنتقى من اخبار مصر، انتقاه تقي احمد بن علي المقريزي، (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، تحقيق ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي الاثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١، ص٢٠-٢١، وسيشار اليه لاحقا هكذا، ابن ميسر، المنتقى، الذهبي، سير اعلام، ج١٥، ص١٣٩.

(٢) خوزستان: بضم بأوله، وبعد الواو السكانة زاي وسين مهملة وتاء مثناة وآخره نون، اسم لجميع بلاد الخوز، الحموي، معجم البلدان، ج ٢ ، ص٤٠٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٨-٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩ ، ص٦٤١-٦٤٣.

(٤) قلعة تل عكبرا: اسم بلدة من نواحي دجيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، الحموي، معجم، ج٢، ص٤٢.

(٥) ابن العمراني، تاريخ الخلفا، ص١٩٦، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٩-٥١، الحسيني ،أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٠-٢١ ، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٦٤٧-٦٤٨، البنداري، دولة آل سلجوق ، ص ١٩-٢٠،

طغرلبك الخليفة في الخروج لمحاربة البساسيري، فأذن له، فخرج وحارب البساسيري فانتصر عليه وقتله .[١]

وعاد السلطان طغرلبك إلى بغداد سنة ٤٥٢هـ /١٠٦٠م، ثم توجه إلى الري وأخذ معه أرسلان خاتون زوجة الخليفة[٢]، بعد أن استقرت الأمور في عاصمة الخلافة بغداد، اتجه السلطان طغرلبك لتوثيق صلته بالخلافة العباسية،و تدعيماً لمركز السلطنة، وتعزيزاً لنفوذها، فيمزج في ذلك بين القوة والشرعية، فتقدم يخطب لنفسه ابنة الخليفة، ويبدو أن فكرة زواجه من ابنة الخليفة قد دعمت بآراء ساندت الفكرة أعلاه عن أهمية الزواج من بيت الخلافة العباسية، فقد أشار عليه بذلك كل من زوجته قبل وفاتها إضافة إلى قهرمانة الخليفة وعميد الملك الكندري[٣].

لكن رد الخلافة العباسية لم يكن إيجابياً بالنسبة للسلطان طغرلبك، ففي البداية استعفى الخليفة من الإجابة، ثم طلب شروطاً واعتقد أنها تعطي رداً بعدم الإجابة تمثلت بتسليم واسط وجميع ما كان للخاتون من أملاك والإقطاع والرسوم في سائر الأصقاع، إضافة إلى ثلاثمائة ألف دينار عيناً منسوبة إلى المهر، وأن يكون مقام السلطان الدائم في بغداد[٤]. امام ذلك توسط عميد الملك الكندري حتى لا تصل هذه الشروط إلى طغرلبك خوفاً من غضبه تجاه الخلافة، وتم بعث جزء من المهر لكن الخليفة رفض إقرار العقد، فتهدد عميد الملك وتوعد وقرر الخليفة الخروج من بغداد. فرد السلطان بقطع المكاتبة إلى دار الخلافة والتسلط على إقطاعات وكلاء دار الخلافة واسترداد جميع ما كان للديوان الخاص[٥]، استمر النفور بين الخليفة والسلطان طغرلبك ثلاث سنوات إلى سنة ٤٥٤هـ /١٠٦٢م حيث وافق الخليفة على عقد الزواج، فتوجه طغرلبك من أرمية[٦] إلى بغداد للدخول بزوجته فدخل إليها ثم بعد ذلك استأذن عميد الملك للسلطان طغرلبك من من الخليفة بالخروج من بغداد وبصحبته زوجته خاتون ابنة الخليفة، وأن يستردها مدة ستة أشهر،

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٢-٥٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٠، الكازروني، مختصر التاريخ، ص٢٠٥ الذهبي، سير اعلام،ج١٥، ص١٤٠.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٥٠، االبنداري، دولة آل سلجوق، ص٢١

[٣] ابن العمراني، تاريخ الخلفا، ص ١٩٨-١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٠ ،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠، االبنداري، دولة آل سلجوق، ص٢١، اليزدي، العراضة، ص٤٣.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١ ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢٠. االبنداري، دولة آل سلجوق، ص٢١.

[٥] ابن الجوزي، المنتظم، ص٧٢، ج١٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠-٢١ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٢-٢٣.

[٦] أرمية: اسم مدينة عظيمة بأذربيجان، الحموي، معجم البلدان، ج ١ ص١٩٠.

فأذن للسلطان ولم يأذن لأرسلان خاتون ثم أذن لها مضطراً[١] فخرج السلطان ثم مرض مرض الموت وتوفي يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م وعمره سبعون عاماً ودفن بمرو[٢].

بعد أن أسس الدولة السلجوقية و جعلها أقوى دولة في عصرها ، وأصبحت حامية الخلافة العباسية والقوة السنية الأولى، ورافعة راية الجهاد الوحيدة في العالم الإسلامي أنذاك، مما منحها الشرعية والتأييد من الأهالي بسبب تلك المواقف .

الفصل الثاني
ولاية العهد عند السلاجقة

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦ ، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٢٩،
[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦ ، ص٨٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٢ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٢٩ اليزدي، العراضة، ص٤٣-٤٤ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٤.

ولاية العهد النشأة والتكوين

ترتبط ولاية العهد بالخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ٤١-٦٠هـ /٦٦١-٦٧٩ م الذي أوجدها[١] لأول مرة في التاريخ الإسلامي وكان لهذا الاستحداث مسوغات عند معاوية منها: درء الفتن والمنازعات التي قد تقوم عند وفاة الخليفة[٢] خاصة أنّ معاوية خاض غمارها وكان أحد أطرافها، وكذلك ضمان بقاء الخلافة في البيت الأموي وتحديداً الفرع السفياني[٣].إلا ان هذه المسوغات لم يكتب لها النجاح. ومع ذلك فقد أرسى معاوية، نمطاً جديداً في الحكم اتخذه الخلفاء- فيما بعد- قاعدة ساروا عليها مع بعض التغييرات التي أدخلت بدءاً من عهد المروانيين واستمرت في بعض الحالات في العصر العباسي. وتتمثل بتعيين وليين للعهد يتم اختيارهم من أبناء الخليفة أو من إخوته،[٤] ثم انتقل أمر ولاية العهد إلى الولايات التابعة للدولة العباسية، فظهرت أسر حاكمة تابعة للدولة العباسية من مثل دولة الأغالبة في شمال إفريقيا ١٨٤-٢٩٦ هـ / ٨٠٠-٩٠٩ م، والدولة الطاهرية في خراسان ٢٠٥ -٢٥٩ هـ / ٨٢٠-٨٧٢ م، والدولة السامانية فيما وراء النهر ٢٦١ – ٣٨٩هـ / ٨٧٤ -٩٩٩ م، والدولة البويهية ٣٢٠ – ٤٤٧هـ/ ٩٣٢ - ١٠٥٥م والدولة الغزنوية وغيرها[٥].

قامت الدولة السلجوقية بعد معركة داندنقان سنة ٤٣١هـ /١٠٣٩م، وكان يترأسها كل من طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق، يسانده إبراهيم ينال بن يوسف بن موسى بن سلجوق أخوه لأمه، وجغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق شقيق طغرلبك صاحب الخبرة العسكرية، ومنذ انطلاق السلاجقة بعد نصر داندنقان قام طغرلبك بتقسيم المناطق المفتوحة سيراً على العرف السلجوقي في

---

[١] نبيه عاقل، خلافة بني أمية، سلسلة تاريخ العرب والإسلام ٢، دمشق، ١٩٦٢م ص٩٣. ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا عاقل، بني أمية، حسين عطوان، نظام ولاية العهد ووراثة الخلافة في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١؛ ص٧ وسيشار إليه لاحقاً هكذا، عطوان، ولاية العهد، محمد خريسات، الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط ٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٥٠م. دار حمادة للطباعة والنشر، اربد، ٢٠٠٥م،ص١١٠-١٢٢ وسيشار إليه لاحقاً هكذا. خريسات، الدولة الأموية.

[٢] عاقل، بني أمية، ص٩٢-٩٣، خريسات، الدولة الأموية، ص١١٠-١٢٢.

[٣] عطوان، ولاية العهد، ص٧.

[٤] عطوان، ولاية العهد، ص٥١.

[٥] استانلي لين بول ، تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري، ترجمه للفارسية : د. عباس إقبال ، ترجمه عن الفارسية : مكي طاهر ، الدار العربية للموسوعاتى ، ط١، ٢٠٠٦م، بيروت. وسيشار إليه لاحقا هكذا، بول ، السلاطين والملوك.

توزيع المناطق بين أفراد أسرة آل سلجوق، فأعطى جغري بك داود مناطق نيسابور إلى جيجون وما يفتحه من ما وراء النهر، ففتح خوارزم، وبلخ، وأعطى لإبراهيم ينال مناطق قهستان، وجرجان، وأعطى أبا علي الحسن بن موسى هراة، وبو شنج وسجستان وبلاد الغور(١)وبعث قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق إلى آرمينيا وأذربيجان(٢) سنة ٤٣١هـ /١٠٣٩م وبدأ كل ملك من أملوك السلاجقة يوسّع المناطق التي تم إقطاعها له بإخضاع المزيد من المناطق إلى سلطانه، وظل هذا الأمر حتى سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م تاريخ دخول السلطان طغرلبك إلى بغداد وحصوله على التفويض الشرعي من الخليفة. وخاطبه بسلطان المشرق والمغرب وتزوّج الخليفة من ابنة جغربك داود(٣)، وبذلك اتحد البيتان السلجوقي والعباسي. وأخذت الدولة السلجوقية تتسع شيئاً فشيئاً. وهنا لابد من الإشارة إلى أن إبراهيم ينال، وداود جغربك كانا من القادة العسكريين الذين خاضوا وكافحوا طويلاً في حروب الدولة السلجوقية. وكان لكل منهما دوراً بارزاً في توسع الدولة وإظهار مكانتها على المسرح العسكري كقوة عظمى. وظهرا وكأنهما يقودا الدولة إلى جانب طغرلبك.

مكانة إبراهيم ينال:

يعد ابراهيم ينال الأخ غير الشقيق للسلطان طغرلبك فهو إبراهيم ينال بن يوسف بن موسى بن سلجوق أخ طغرلبك من أمه لأن والدته أي طغرلبك تزوجت من يوسف بن موسى ابن أخ ميكائيل بعد وفاته فأنجبت من زواجها إبراهيم ينال(٤).

لقد أثبت إبراهيم ينّال تفوقاً عسكرياً لا سيما بعد الانتصار في معركة داندنقان٤٣١هـ / ١٠٣٩م، وظهر وكأنه مسؤول التوسع في فتوحات السلاجقة فقد رَجّح كفة السلاجقة عندما أصر على محاربة السلطان مسعود وجيشه والإنتصار عليه إلى جانب أخوه جغري بك داود واستمر دوره بعد داندنقان عندما إنطلق السلاجقة يخضعون المدن ويفتحونها فأخضع إبراهيم ينال مناطق

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٥؛ الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٧ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٣-٤٩٧؛ ؛ منجم باشي، جامع الدول، ص١١.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤٤؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧-١٨ ابن الأثير، الكامل،ج٩، ص٦٠٩-٦١٧. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٣-٣٩؛ منجم باشي، جامع الدول، ص١٩-٢٠.

(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص١١.

الري والجبال سنة ٤٣٣-٤٣٤هـ /١٠٤١-١٠٤٢م[١] وبَرُوجرد، وهمذان وديِّنور وقرميسين سنة ٤٣٧هـ /١٠٤٥م[٢] وقلعة كَنِكِورَ، وقلعة السِّيرواند، وقلعة سرماج سنة ٤٣٩هـ /١٠٤٧م[٣] ولم يقتصر هذا الدور على المناطق المحيطة بالسلاجقة بل تجاوز إبراهيم ينال ذلك إلى تقوية وتدعيم مركز السلاجقة خارجياً، ففي أواخر سنة ٤٣٩هـ /١٠٤٧م غزا الروم من منطقة أرمينيا المتحالفين مع الجورجيين ، ثم إندفع يهاجم الثغور البيزنطية، واستطاع إحراز النصر فوصل إلى ملاذكرد وطرابزون ولم يبق بينه وبين القسطنطينية سوى مسافة خمسة عشر يوما وإستطاع أسر أمير الكرج ليباريت ، وقد كان لهذا النصر الذي أحرزه إبراهيم ينال أثره لدى السلاجقة على أكثر من صعيد.

١- **صعيد الخلافة العباسية** : أراد السلطان طغرلبك أن يعيد العلاقات مع الخليفة العباسي القائم بأمرالله بعد أن إنقطعت منذ عام ٤٣٥هـ /١٠٤٣م نتيجة تصرفات الغز في عدد من المناطق التي سيطروا عليها .

٢-**صعيد الإمبراطورية البيزنطية**: إستطاع السلطان طغرلبك أن يحقق نتائج طموحة ، تمثلت بإعتراف البيزنطيين به كقوة ناشئة ومؤثرة، ومحاولة السلطان طغرلبك تحييد البيزنطيين في صراعه المستقبلي مع الفاطميين وإعلان الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمرالله وللسلطان طغرلبك من بعده في مسجد القسطنطينية ،[٤]، وبالتالي كان لإبراهيم ينال مكانة بارزة على الجانب العسكري جعلته نداً لطغرلبك من ناحية الدور الذي قام به، فهو يعد نفسه من المؤسسين الذين كافحوا في سبيل إعلاء شأن الدولة السلجوقية وتأسيسها إضافة لكونه وريثا لوالده يوسف بن موسى زعيم ثلث القبائل الغزية، والتي ورثها عنه إبراهيم، وبالتالي فإن إبراهيم ينال كان يعد

---

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٨٦؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٠٧-٥٠٩.

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٠٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٢٨-٥٢٩.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣٠٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٣٧-٥٣٩.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٣١٤؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ٥٤٦ -٥٤٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ج١ ص١٤-١٥.، عصام عقلة، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين في عهد السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥هـ/١٠٤٠-١٠٦٣م)، مقالة ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، مجلد٢، ع٢٠٠٨،٢م، ص٦٧-٦٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، عصام عقلة ، السفارات.

نفسه مشاركا لطغرلبك ويطمح فيما يبدو لوراثته في الحكم، وظلت العلاقة تسير على ما يرام حتى سنة ٤٤١هـ /١٠٤٩م، حيث وقع النزاع الأول بينهم(١)، وتتمثل أسباب الصراع بـ:

١- قوة إبراهيم ينال بقبائله السبعة

٢- إعتقاده بحقه في وراثة زعامة الأسرة نيابة عن والده يوسف بن موسى

٣- دوره في الدولة فهو مسؤول التوسع فيها ، وصاحب إنتصارات العسكرية الكبرى

٤- عقم طغرلبك

٥- منح جغربك داود وأبناؤه ولايات أكبر

٦- رغبته بترسيخ نفسه وريثاً لطغرلبك .

ونتيجة السياسة المتبعة معه من قبل السلطان طغرلبك ، قاد سلسلة من التمردات ضده، وتقاتلا، وانتصر السلطان طغرلبك، وأخذ ما بيد ينال من قلاع ومدن، ثم تصالحا، فعفى طغرلبك عنه وخيّره بين أن يقطعه بلاداً أو يقيم عنده فاختار الإقامة عنده(٢). وهذا النزاع يؤكد إدراك ينال للمكانة المرموقة التي وصل إليها والتي جعلته يرى أن ما حصل عليه من إقطاعات هي غنيمة له لكن انتصار طغرلبك عليه هو بمثابة محاولة فرض لسلطة الدولة وحصر السلطة بطغرلبك وحده.

وفي سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م وقع النزاع الثاني بين السلطان طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال وكان هذا النزاع حاسما، وقد تحالف إبراهيم ينال مع الفاطميين الذين يجمعهم العداء للسلطان طغرلبك وطموحه تجاههم (٣). فاتجه إبراهيم ينال إلى الري برفقة جيش كبير، فاضطرّ طغرلبك للحاق به وترك الجيش وراءه فتفرقت الجيوش لكن وزيره عميد الملك الكندري وزوجته خاتون لعبا دوراً كبيراً في لم شتات من تبقى من الجيش والعودة به إلى بغداد، وانتشر خبر لقاء طغرلبك مع إبراهيم ينال وأن النصر حليف إبراهيم ينال، فقررت خاتون إرسال جيش لإنجاد زوجها طغرلبك فتراجع الكندري وربيبه أنوشروان، ونهب جيش خاتون ما لديها من أموال وخرجت بمن

---

(١) للمزيد حول هذا الصراع إنظر الفصل الرابع من هذه الدراسة ص١٣٨- ١٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٥٦-٥٥٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص١٤-١٥.

(٣) الشيرازي، هبة الله بن موسى بن داؤود (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م)، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩ م، ص٢١٨- ٢١٩ ، وسيشار اليه لاحقا هكذا، الشيرازي، داعي الدعاة، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٣٩-٦٤١؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢٠-٢١.، للمزيد : أنظر الفصل الرابع من هذه الدراسة ص١٣٨- ١٤٣.

معها إلى همذان نجدة لزوجها، وقد قوي إبراهيم ينال بإنضمام محمد وأحمد أبناء أخيه أرتاش، مما أجبر السلطان طغرلبك على الإستنجاد بأبناء أخيه جغربك داود الذي توفي سنة ١٠٥٨/٤٥٠ وهمْ ألب أرسلان أمير خراسان بعد والده جغربك داود، وياقوتي، وقاورت بك فاستطاع بمساندتهم ومساندة زوجته الخاتون أن يهزم إبراهيم ينال ويأسره هو وأبناء أرتاش فقتلهم(١) وبذلك تخلص السلطان طغرلبك من إبراهيم ينال المنافس البارز الذي أكد طموحه ونزوعه للسلطنة بتحالفه مع أرسلان البساسيري وكاد أن يطيح بالسلطان طغرلبك ويقضي على حكمه.

وتجدر الإشارة إلى أن تحالف إبراهيم ينال مع البساسيري يؤكد منافسة إبراهيم ينال لطغرلبك وتفكيره الجدي في تولي منصب السلطنة وخصوصا أن طغرلبك لم يقم بأية خطوة تجاه توريث إبراهيم ينال للسلطة من بعده .

مكانة جغربك داود.

يعد جغربك داود من الأمراء السلاجقة الذين ساهموا إلى جانب أخويه السلطان طغرلبك والأمير إبراهيم ينال في تأسيس الدولة السلجوقية وإبراز إسمها على المسرح العسكري ، وله مكانته ، و خبرته العسكرية الواسعة والتي ترجمها عملياً في حروب السلاجقة مع الغزنويين،[٢] فقد كان له دورٌ بارزٌ في فتح العديد من المدن والمناطق بعد إنتصار السلاجقة في داندنقان ٤٣١هـ/١٠٣٩م، فقد عُيّن له من نيسابور إلى جيحون وما يفتحه من وراء النهر، ففتح خوارزم، وبلخ[٣] وكان يمثل فعلياً القائد الثالث من حيث الأهمية في الدولة السلجوقية بعد طغرلبك وإبراهيم ينال، وكان مسؤولاً عن جبهة خراسان، وهي جبهة أوكلت لها مهمة الدفاع عن السلاجقة في وجه الغزنويين والقراخانيين، وبالتالي مثّل جغربك داود خط الدفاع عن الدولة السلجوقية، في الوقت الذي مثّل فيه إبراهيم ينال خط الهجوم والتوسع

---

[١] ابن العمراني ، تاريخ الخلفا، ص ١٩٢-١٩٦ ،ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠-٣٧؛ الازدي، اخبار، ص٤٢٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩-٢ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٨-١٢؛ اليزدي، العراضة، ص٤٠، الذهبي، سير اعلام، ج١٥، ص١٤٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٠-٢١.

[٢] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٩.

[٣] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٣-٤٨٤.

وكان جغربك داود قد عيّن ابنه ألب أرسلان ولي عهده وافتتح قلعة ترمذ وكوتوال، ثم اتجه إلى غزنة، ففوّض الى ابنه ألب أرسلان ولاية بلخ وطخارستان وترمذ(١)

يتبين لنا أن جغربك داود لم يكن يفكر في منافسة السلطان طغرلبك على السلطنة مكتفياً بنصيبه من الإقطاع الذي منحه أخوه السلطان طغرلبك وهو خراسان التي تعد من أكبر ولايات الدولة السلجوقية وما يفتحه في تلك المناطق، وربما ساعده على عدم منافسة طغرلبك أن طغرلبك عقيما ، وبالتالي فإن وراثة حكمه ستكون لجغربك داوود أولأبنائه من بعده .

وإلتفت إلى الإهتمام بتنشئة إبنه ألب أرسلان الذي فوّض إليه إمارة خراسان ودرّبه من خلال تعيين وزير له على درجة عالية من الكفاية هو ابن شادان ، وبوفاته سنة ٤٥٠هـ /١٠٥٨م(٢) تخلّص السلطان طغرلبك من أهم شركائه في السلطة من إخوته أبناء سلجوق الذين رافقوا بناء الدولة وساهموا في ظهورها على المسرح السياسي، وبالتالي بدأ طغرلبك وحيداً في إدارة شؤون الدولة سعياً للتوجه نحو التنظيم السياسي وبناء المؤسسات.

الموروث الغزي عند السلاجقة:

لم تسعفنا المصادر في تبيان الموروث الغزي السياسي قبل قيام الدولة السلجوقية إلا ان المدقق في حركة الغز قبل تأسيس دولتهم ثم بعيد تأسيسها يلمح إشارات الى موروث غزي مرتبط بالنظام السياسي، أبرزه قيادة اكبر افراد آل سلجوق للقبائل مجتمعة مع ابقاء وراثة الزعامة على القبائل منفردة لإفراد.

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢١.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٩؛ ابن الأثير، الكامل، ج١، ص٦؛ مستوفي، تاريخ كزيدة، ص٤٣٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٢١.

أصبح السلطان طغرلبك وحيداً في السلطة بعد مقتل إبراهيم ينال ووفاة جغربك داود الذين ساهموا إلى جانبه في التحول نحو الدولة، وإبراز السلاجقة على المسرح السياسي. فبدأ طغرلبك بعد ذلك يتجه نحو بناء مؤسسات الدولة وتنظيمها، ففي سنة ٤٥١هـ /١٠٥٩م بدأ التفكير بولاية العهد، أي من يرث السلطنة بعده خاصة أن السلطان طغرلبك كان عقيماً لا أولاد له[١].

وكان أبرز رجالات البيت السلجوقي في هذه الفترة ٤٥١هـ /١٠٥٩م موسى بيغو الاخ الأكبر غير الشقيق لطغرلبك ، وألب أرسلان بن جغربك داود أمير خراسان القوي وكبير أل ميكائيل بعد عمه موسى يسانده إخوته أبناء داود، ياقوتي، وقاورت بك وسليمان، والشخصية البارزة الثالثة، هو قتلمش بن أرسلان بن سلجوق كبير أل سلجوق، خاصة وأن الموروث الغزي السلجوقي يستند على زعامة الأكبر، ولم يكن طغرلبك الأكبر لكن تحالف أتباع يوسف بن سلجوق، وجماعة ميكائيل بن سلجوق جعل الزعامة لطغرلبك[٢]. وكان موسى بيغو الأخ الأكبر لطغرلبك ضعيفاً لأن إقطاعه كان مدينة هراة وهي صغيرة مقارنة بخراسان إقطاع ألب أرسلان المدعوم بقوة اقطاعه ومساندة إخوته.

أما شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق جد ملوك سلاجقة الروم فقد خرج على السلطان ألب أرسلان بن داود سنة ٤٥٦هـ /١٠٦٣م مطالباً بتولي السلطنة، وقصد الري، فجهز له ألب أرسلان جيشاً وصل قبله للري وتحارب معه وانتصر عليه وقتل قتلمش في المعركة[٣]. وبذلك تخلص ألب أرسلان من منافسه على السلطنة.

ولاية العهد عند السلاجقة:

---

[١] الأصفهاني، عماد الدين الكاتب(ت٥٩٧ه/١٢٠٠م)، خريدة القصر وجريدة العصر، ج٤، ص١٣١، تحقيق محمد بهجة الأثري، سلسلة كتب التراث،وزارة الثقافة ، بغداد ،١٩٦٠م ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، الأصفهاني، خريدة القصر؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص٦٧؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص١٧٧-١٧٨؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

[٢] أنظر تفصيل ذلك: منجم باشي، جامع الدول، ص١-١٠.

[٣] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣١؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠.

ارتبطت ولاية العهد عند السلاجقة بالسلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق ت٤٥٥ هـ /١٠٦٣م وسبب ارتباطها به أن طغرلبك بحسب قول ابن الجوزي (... وطغرلبك أول ملك من السلجوقية، وهو الذي بنى لهم الدولة)(١) فطغرلبك أراد بناء مؤسسة حكم للدولة خاصة أنه كما ذُكِرَ سابقاً لم ينجب وكان يخشى على السلطنة من بعده، فأراد أن يعيّن وليّاً للعهد ليخلفه في السلطة. ويكمل مسيرته في نقل السلاجقة من قبائل متناثرة إلى دولة موحدة تبسط سيطرتها على العديد من المناطق، وهذا يتطلب وجود ولي عهد تنتقل إليه السلطة بعد وفاته، استغرق طغرلبك وقتاً بعد التخلص من منافسيه إبراهيم ينال وداود جغربك فولاية العهد لم تبدأ خطواتها العملية عند السلطان طغرلبك إلا عندما أحس بدنو أجله سنة ٤٥٥ هـ /١٠٦٣م ،حيث اضطر بتأثير من زوجته خاتون التي كانت زوجة أخيه جغربك داؤد ما بين ٤٥١-٤٥٣ هـ/١٠٥٩-١٠٦١م أن يعيّن ابنها سليمان بن داود ولياً للعهد وهو حينئذ شاب لم ينضج(٢). وقد أوصى طغرلبك أن يتم الرجوع إلى وزيره عميد الملك الكندري والأخذ برأيه لأن ولي العهد كان صغيراً(٣).

وقد ساهمت أطراف عدة في وصول سليمان إلى ولاية العهد، وأبرز هؤلاء كانت والدته خاتون زوجة طغرلبك التي ألحّت على السلطان طغرلبك - عندما اشتد عليه المرض- أن يعيّن ابنها سليمان ولياً للعهد. وتم لها ذلك، وبعد وفاة طغرلبك سارت بابنها سليمان إلى الري من أصفهان برفقة العسكر وعميد الملك الكندري ووزعت الأموال والسلاح على العسكر كسباً لولائهم وضماناً لوقوفهم إلى جانب ولدها سليمان في مقابل أبرز المنافسين له على ولاية العهد ألب أرسلان بن جغربك داؤد(٤).

وبمجرد إعلان تعيين سليمان بن داود ولياً للعهد سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م قامت احتجاجات على هذا التعيين، وهذه الاحتجاجات ظهرت من أفراد البيت السلجوقي الطامعون بمنصب ولاية

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٥.

(٢) الأصفهاني، جريدة القصر، ج٤، ص١٣١؛ ؛ ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص٢٢-٢٣ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص٦٧؛ خواندمير، دستور الوزراء، ص١٧٧-١٧٨؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ص٢٠٠-٢٠٦.

العهد، والذين لم يكونوا يجرؤون على إعلان ذلك أثناء حياة السلطان طغرلبك، فقد ترافق إعلان سليمان بن داود ولياً للعهد مع مرض السلطان طغرلبك الأخير أي تقريباً في حالة نزاعه وبالتالي شعر أفراد البيت السلجوقي المحتجون أن سلطانهم القوي طغرلبك قد آن رحيله، وكان أبرز المحتجين ألب أرسلان الذي سبق وأن حاول لفت الأنظار إليه منذ أن بدأت الأخبار ترد عن مرض طغرلبك من خلال جمعه العساكر وتوجهه نحو الري عاصمة السلطنة(١)، لكنّ تعافي طغرلبك جعله يعود إلى خراسان ويبقى على ولائه حتى تأكد من وفاة طغرلبك، فعاد وأعلن رفضه لتعيين سليمان، وسيتم الحديث بتفصيل أكثر عن دور والدة سليمان عند الحديث عن دور الخواتين ومساهمتهن في ولاية العهد(٢). كذلك لعب عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك دوراً بارزاً في تعيين سليمان ولياً للعهد، ثم تنصيبه سلطاناً وإجلاسه على عرش السلطنة في الري. فعند وصول خبر وفاة السلطان طغرلبك إلى عميد الملك الذي كان يحاصر قتلمش في قلعة كردكوه جمع العسكر وأبلغهم الخبر وفرق عليهم المال والدواب والسلاح وأخذ عليهم العهود والمواثيق لسليمان بن داود وسار إلى الري وأجلس سليمان على عرش السلطنة، وبدأ بمراسلة المنافس الأبرز لسليمان بن داود وهو ألب أرسلان يعرض عليه التوصل إلى اتفاقية تضمن بقاء سليمان بالسلطنة(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن قصر المدة الزمنية بين تعيين سليمان بن داود ولياً للعهد و وفاة السلطان طغرلبك جعل حدة الاحتجاج تزداد خاصة أن المحتجين أدركوا أن ولي العهد سيصبح سلطاناً بحكم وفاة السلطان طغرلبك وهذا يعني انتقال السلطنة إلى سليمان بن داود وليس الأمر فقط مجرد تعيين ولي للعهد.

موقف ألب أرسلان من ولاية العهد:

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٠-٢٠٦؛ الذهبي ، سير أعلام ، ج١٨، ص٤١٤- ٤١٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦٣٠.

يعد ألب أرسلان محمد بن جغربك داود أبرز أفراد البيت السلجوقي بعد وفاة والده جغربك داود ٤٥١ هـ/١٠٥٩م وعمه إبراهيم ينّال ٤٥١ هـ/١٠٥٩ وهو ملك خراسان بعد والده داود وكان صاحب طموح سياسي، وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان قد تحرك عندما مرض عمه طغرلبك وجمع العسكر واتجه صوب الري عاصمة السلطنة ليستولي على السلطة، لذلك كان من الطبيعي أن يتحرك عند سماعه خبر وفاة عمه طغرلبك(١) ، وقد راسله عميد الملك لإدراكه وهو الوزير القوي ذو الحنكة والخبرة السياسية أنه أقوى المنافسين وقد عبّر عن ذلك ابن الجوزي عندما قال: (... ولم يبق لهم خوف إلا من الملك ألب أرسلان، وهو محمد بن داود فإن العسكر قد مالوا إليه)(٢).

فألب أرسلان عُرِفَ بلقب (ملك) قبل أن يتولى رئاسة الدولة السلجوقية وبذلك يمكن القول أن لقب (ملك) كان متداولاً عند السلاجقة ويأتي في مرتبة تلي مرتبة السلطان.

وقد تقدم عميد الملك بمبادرة كان الهدف منها ضمان انتقال السلطة إلى سليمان وبقائه فيها وما في ذلك من مصلحة لعميد الملك تتمثل بالسيطرة على السلطان صغير السن سليمان بن داود الذي لا يمتلك الخبرة السياسية فيستبد بالأمور ويسّيرها كيفما يشاء(٣). وكانت هذه المبادرة تتضمن منح ألب أرسلان نيسابور، وخوارزم، وما يواريها ويقيموا له الدعوة بعد سليمان(٤).

وفي حقيقة الأمر كان ألب أرسلان يملك هذه المناطق فعلاً؛ وبالتالي فإن مبادرة عميد الملك لا تضيف شيئاً إلى إقطاعه وكأن عميد الملك يريد أن يبيّن لألب أرسلان أنه يملك مناطق واسعة من الدولة وأنها تكفيه خاصة وأنّه ذكرها وسمّى المناطق، كذلك نصّب عميد الملك نفسه مانحاً عندما عرض على ألب أرسلان منصب نائب السلطان لكن ألب أرسلان رفض المبادرة واتجه نحو الري طالباً للسلطنة، وسيتم الحديث بتفاصيل أكثر عن دور عميد الملك عند الحديث عن دور الوزراء في ولاية العهد، كذلك لعب بعض القادة العسكريين أمثال الأمير ياغي سيان

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٣.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٦.

والأمير إردم- وهما من كبار أمراء الجيش- دوراً في ولاية العهد من خلال رفضهما القبول بتولية سليمان والتوجه نحو ألب أرسلان مما عزز من موقف ألب أرسلان.

لقد قال الأمير أردم الحاجب للسلطان طغرلبك أثناء عهد السلطان طغرلبك لابن أخيه سليمان بولاية العهد: (ما أخدمُ أحداً بعدك، وأمضى إلى ألب أرسلان ابن أخيك داود وأنزل عليه)(١) فإنحياز القادة العسكريين إلى جانب ألب أرسلان رجّح كفّته وساهم في تعزيز موقفه، خاصة وأن القادة العسكريين ينحازون بكامل قوتهم وجنودهم إضافة إلى ولاء الجند لهم، فعزز مركز ألب أرسلان الذي سار من خراسان وقصد الري فاضطر عميد الملك أمام تزايد مركز ألب أرسلان أن يعلن الخطبة لألب أرسلان وأصبح سلطاناً(٢).

موقف الأسرة السلجوقية من سلطنة ألب أرسلان:

تولى ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلطنة سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٣م ودخل عميد الملك الكندري في طاعته وخُطِب له في الري عاصمة السلطنة ولسليمان بن داود بعده وأصبح ألب أرسلان السلطان(٣) وحتى تكتمل شرعية ألب أرسلان كان عليه أن يحصل على

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢-٨٣؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٩-٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٦-٢٠٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ص٨٢، ج١٦؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٩ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٧؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٥، اليزدي العراضة،ص٤٨، ص١٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

الاعتراف الشرعي من الخليفة العباسي في بغداد، ويخلع عليه، فقرر إرسال ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٢٢- ٤٦٧ هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م إلى بغداد يرافقها القاضي أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن يطلب إقامة الخطبة للسلطان ألب أرسلان ويحصل على تفويض الخليفة العباسي للسلطان ألب أرسلان، فأجيب طلب السلطان وأقيمت الخطبة له وعُقِد له لوائين وسُلّمت الخلع وخرج بها إلى ألب أرسلان كل من أبي الفوارس طراد الزينبي وأبي محمد التميمي، وموفق الخادم ومعهم كتاباً من الخليفة إلى السلطان بتوليته وكان السلطان ألب أرسلان قد قبض على الوزير عميد الملك الكندري واستولى على أمواله وأمر أن يعتقل في مرو الروذ وعيّن مكانه وزيره نظام الملك الطوسي سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م(١). وقد واجه ألب أرسلان عدداً من الثورات عند بداية تسلمه السلطنة طامعة في الملك، فقد ثار عليه عمّه فخر الملك موسى بيغو بن ميكائيل وكان في هراة، وجرى بينهما قتال فانتصر عليه ألب أرسلان واستسلم موسى بيغو فأكرمه ألب أرسلان(٢).

كذلك ثار شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق جد سلاجقة الروم، معترضاً على تعيين سليمان بن جغربك داؤد ولياً للعهد بدايةً ثم مطالباً بالسلطنة بعد وفاة طغرلبك سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٢م،وكان معه جيشاً عظيماً وتوجه صوب الري فأرسل إليه ألب أرسلان الذي خرج مطالباً بالسلطنة أيضاً بعد وفاة طغرلبك جيشاً فسبقوه إلى الري ثم لحقهم ألب أرسلان واستطاع ألب أرسلان الانتصار على قتلمش والخلاص منه فقد وُجِدَ مقتولاً بعد إنتهاء المعركة(٣).

تعيين ملكشاه ولياً للعهد:

بعد معاناة السلطان ألب أرسلان في الوصول إلى السلطة والمعارضة التي واجهها في سبيل تثبيت سلطانه خاصة أن عمه السلطان طغرلبك كان عقيماً فعهد لابن أخيه سليمان، أما السلطان ألب أرسلان فقد كان يريد إكمال ما بدأه عمّه السلطان طغرلبك بإرساء نظام سياسي للدولة يتضمن وجود ولي العهد إلى جانب السلطان، ونظراً لكون ألب أرسلان يدرك وجود أخوة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٧؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢١٠، اليزدي، العراضة، ص٤٩ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٢٩.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧؛ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠-٣١.

له قد يطالبون بالسلطنة؛ فقد جاء هو سلطاناً باعتباره أكبر أفراد أسرة ميكائيل والأقوى، فقرر السلطان ألب أرسلان تعيين ابنه ملكشاه ولياً للعهد سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م، فاتجه السلطان ألب أرسلان إلى كرمان فاستقبله بها أخوه قاورت بك بن داود بن ميكائيل، ثم اتجه إلى خراسان، ومنها إلى خوارزم وفوّض إمارتها إلى ابنه أرسلان أرغون، ثم إتجه إلى مرو ومنها إلى رايكان، وفيها أعلن تفويض ولاية العهد إلى ابنه ملكشاه ليضمن قوته ووصوله للسلطة بعد أن قام بتوزيع الأقاليم الكبرى على أبنائه (١).

وأخذ من الأمراء المواثيق والعهود على دعم وتأييد ابنه ملكشاه باعتباره ولياً للعهد، وأقطع لهم الإقطاعات فأقطع مازندران(٢) لعمه الأمير موسى بيغو، وبلخ لأخيه مشيد الدولة سليمان بن داود، وهذا جزء من مشروع تبناه ألب أرسلان ليضمن نجاح وصول ملكشاه إلى ولاية العهد، ومن بعدها إلى عرش السلطنة، والقائم على توزيع عدد من المناطق على أفراد العائلة السلجوقية لكي يضمن قبولهم بتعيين ملكشاه وليّاً للعهد؛ لذلك أكمل مشروعه بإعطاء ولاية خوارزم لابنه أرسلان أرغون وصغانيان وطخارستان لأبنه الآخر الأمير إياز وأعطى ولاية بغشور ونواحيها للأمير مسعود بن أرتاش بن يوسف بن موسى بن سلجوق ابن شقيق إبراهيم ينال وأمرهم بالخطبة لابنه ملكشاه(٣).

وظل الامر كذلك حتى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠ م، حيث خاض السلطان ألب أرسلان معركة ملاذكرد وانتصر فيها على البيزنطيين، فاستغلّ النصر للحصول على الاعتراف الشرعي من الخليفة القائم بأمر الله بولاية العهد لابنه ملكشاه(٤). في عام ٤٦٥هـ /١٠٧٢م عصى صاحب سمرقند وما وراء النهر شمس الملك تكين بن طمغاج الخاني فسار إليه ألب أرسلان بجيش يصل تعداده حوالي مائتي ألف فارس فعبر جيشه جيحون فجاءه أصحابه بمستحفظ قلعة يُعرف بيوسف

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٨-٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠؛ مستوفي، تاريخ كزيدة، ص٤٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

(٢) مازندران: اسم لولاية طبرستان، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤١.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٤٠-٤١؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

(٤) ابن الموصلايا، أمين الدولة أبو سعد بن أبي علي الكاتب البغدادي (ت ٤٩٧هـ/ ١١٠٤ م)، رسائل أمين الدولة، تحقيق د. عصام مصطفى عقلة، رسالة دكتوراة منشورة، مركز زايد للتراث، ط١، ٢٠٠٣ م، ص ٢٣٤ ٢٤١، وسيشار اليه لاحقا هكذا، ابن الموصلايا، رسائل.

الخوارزمي وأراد السلطان أن تُشد أطرافه فشتم السلطان فأمر بإطلاقه ورماه بسهم فأخطاءه فوثب عليه يوسف فطعنه بسكين كانت في خاصرته وهرب فقتله الفراشون وعاش السلطان بعدها ثلاثة أيام ثم توفي، وكان عمره أربعين سنة، وكان قد ولد في سنة ٤٢٤ هـ/١٠٣٢م.وهناك من يذكر أنه ولد سنة ٤٢٠ هـ/١٠٢٩م ومدة ملكه تسع سنين وست أشهر وأيام، وخلف من الأولاد الذكور: ملكشاه ولي عهده، والذي تسلم السلطنة بعد وفاة والده ألب أرسلان، وإياز الذي تذكر بعض المصادر أنه أراد العصيان إلا أنه توفي فجاءة ، وتكش، وبوري برس، وتتش، وأرسلان شاه وقيل أرسلان أرغون(١

سلطنة ملكشاه:

هو ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق(٢)، تسلم السلطنة بناءً على وصية والده ألب أرسلان بن جغربك داود ويتميز بكونه ولي العهد الذي وفِق في الوصول إلى السلطنة، كما أراد والده ألب أرسلان، لكن طريقه إلى السلطنة كانت لا تخلو من بعض حركات المعارضة والعصيان والتي كان مصدرها أقاربه من أفراد الأسرة السلجوقية، مثل عمه قاورد بك الذي خرج مطالباً بالسلطنة منذ أن أُعلن عن وفاة أخيه السلطان ألب أرسلان.

سار قاورد من عُمان إلى كرمان وعبر البحر وتعرضت سفنه للدمار وهلك أكثر جنده، فكتب إلى ملكشاه يذكره أنه الأخ الأكبر لألب أرسلان قائلاً: (أنا الأخ الأكبر، وأنت الولد الصغير، وأنا أولى بميراث أخي السلطان ألب أرسلان منك) فأجاب ملكشاه: (الأخ لا يرث مع وجود

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٤؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٣-٥٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠٦،ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٨٧، مستوفي، تاريخ كزيدة، ٤٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٠.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٥٠، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص٢٨٣، خواندمير، دستور الوزراء، ص١٩٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٤٠.

الابن)(١). فجهّز جيشاً كبيراً واتجه صوب الري فالتقى بملكشاه وجيشه بقرب همذان سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢م واستطاع الإنتصار على عمه وحبسه، وأقر كرمان بيد أولاده(٢) ثم عصى على السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان أخوه شهاب الدولة تكش بن ألب أرسلان بن داود(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اختلاف وقعت فيه المصادر حول تاريخ عصيان شهاب الدولة تكش، فالحسيني انفرد في ذكر عصيانه بأنه حدث سنة ٤٦٧ هـ/١٠٧٤م (٤) بينما اتفق كل من ابن الأثير، ومنجم باشي على أن تكش ثار على السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان مرتين(٥) .

ولاية العهد عند السلطان ملكشاه:

مكث السلطان ملكشاه قرابة العشرين عاماً وهو على رأس السلطنة ٤٦٥-٤٨٥ هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م تعرض في بداياتها لمعارضة قادها كل من عمه قاورت بك الذي ثار سنة ٤٦٥ هـ /١٠٧٢م، ثم أخوه تاج الدولة تكش سنة ٤٧٣ هـ /١٠٨٠م وسنة٤٧٧ هـ /١٠٨٤م فاستغرق بذلك ما يزيد على عشر سنين في محاولة منه لإخماد المعارضة الثائرة على تسلمه الحكم مما جعله يتريث قليلاً في موضوع ولاية العهد، ورغم أن المصادر لم تذكر صراحة تعيين السلطان ملكشاه لولي عهد له قبل سنة ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م(٦)، إلا أن الجزع الذي أصاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بسبب وفاة ابنه داود والذي جزع عليه جزعاً شديداً لدرجة أنه منع غسله حتى اضطر لذلك بسبب رائحته، و محاولة الانتحار بسبب وفاته. كلّ ذلك يجعل المؤشرات تجمع على أنه كان الأكثر حظاً ليكون وليّاً للعهد، وقد توفي سنة ٤٧٤ هـ /١٠٨١م (٧). وبوفاة داود لم يكن هناك وليّاً

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٦، اليزدي، العراضة، ص٥٦ .

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٥؛ الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٨- ٢٠٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٦ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٨-٧٩؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣١٣؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٤١.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٣؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٨-١١٩؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٤٤-٤٥، ٤٩-٥٠.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٨-١١٩؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٤٤-٤٥.

(٥) انظر تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة ص ١٤٥- ١٤٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٢.

(٧) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٢؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٩٧؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٤٥.

للعهد إلى أن وُلِدَ للسلطان ابنه أحمد والذي اختلفت المصادر حول تاريخ تعيينه ولياً للعهد، فهناك من يذكر أنه عُيّن ولياً للعهد سنة (٤٧٨ هـ /١٠٨٥م) (١) وهناك من يذكر أنه عيّن ولياً للعهد سنة ٤٨٠ هـ /١٠٨٧م (٢).

ويبدو أن التاريخ الذي ذكره ابن الأثير سنة ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م لتولي أحمد ولاية العهد هو الأقرب وذلك لأن محمود بن ملكشاه ولد سنة ٤٨٠ هـ /١٠٨٧م (٣) وهو ابن تركان خاتون وشقيق ولي العهد الأكبر داود، وقد توفي ولي العهد أحمد سنة ٤٨١ هـ /١٠٨٨م وكان عمره عند وفاته إحدى عشر سنة(٤)، وظل منصب ولي العهد شاغراً حتى سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م على الرغم الرغم من وجود كل من بركيارق بن السلطان ملكشاه ومحمد طبر وسنجر لكن دور تركان خاتون كان مانعاً لتولية بركيارق ولاية العهد لأنها كانت تخطط لأن يتولى ابنها الصغير محمود ولاية العهد.

وظل الأمر كذلك حتى سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م وهي السنة التي قُتل فيها نظام الملك الطوسي، وكان من بين الأسباب التي أدت إلى سوء العلاقة بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي الدور الذي لعبته تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه (والدة محمود) والوزير تاج الملك أبو الغنائم في أن يكون محمود ولياً للعهد، وهو الأمر الذي كان يمانعه نظام الملك ويرفضه، وأدى إلى أن تسوء العلاقة بينه وبين السلطان ملكشاه ويكون بالتالي سبباً من أسباب قتله، فقد أشار السلطان ملكشاه على وزيره نظام الملك الطوسي في تعيين ابنه محمود ابن تركان خاتون فقال له نظام الملك: (بأي وجه تلقى الله غداً؟ وقد وليت على المسلمين امرأة وصبياً ولك أولاد كبار)(٥) فنظام الملك كان من أكبر المعارضين لتعيين محمود وليّاً للعهد.

وكان الوزير نظام الملك الطوسي يدرك أن تعيين محمود بن ملكشاه ولياً للعهد يعني أن تركان خاتون تصرف الأمور بمساندة الوزير تاج الملك، لكن السلطان ملكشاه لم يأخذ بنصيحة

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٦٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٧٠.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، منجم باشي، جامع الدول، ص٥١.

(٤) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص١٦٩.

(٥) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩٢ مستوفي، تاريخ كزيدة، ص٤٣٨، اليزدي، العراضة، ص٦٥-٦٨.

نظام الملك وساءت العلاقة بينهما، وقُتل نظام الملك الطوسي سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م وبعده بثلاث وثلاثين يوماً توفي السلطان ملكشاه(١). فانتقلت السلطنة إلى ابنه محمود بن ملكشاه ٤٨٥-٤٨٧ هـ /١٠٩٢-١٠٩٤م وقد تضافرت عدة أمور جعلت السلطنة تنتقل إليه تمثلت بما يلي:

أولاً: أن أمه تركان خاتون كانت ذات مكانة مرموقة عند السلطان ملكشاه وهي زوجته المحظية، فاستطاعت التأثير عليه بأن يعهد لإبنها بولاية العهد ليرث عرش السطنة بعد والده السلطان ملكشاه .

ثانياً: علاقة تركان خاتون مع الجند والتي حرصت الخاتون على تقويتها من خلال دفع الأموال إليهم لكسبهم إلى جانبها عند أخذ البيعة لابنها محمود، وهذا يعني أن تركان خاتون كان لديها مخطط منذ ولادة ابنها محمود لتسلم السلطنة متجاوزة بذلك بركيارق الابن الأكبر للسلطان ملكشاه من أبنائه الذكور الذين لا زالوا على قيد الحياة(٢).

ثالثاً: تحالفها مع وزيرها تاج الملك أبو الغنائم الذي ساندها في مشروعها (تعيين إبنها محمود ولياً للعهد)، إلى جانب نسبها بإعتبارها من نسل ملوك الترك القراخانيين (٣).

لكن انتشار خبر وفاة ملكشاه جعل النظامية يثورون إلى سلاحهم ويخرجوا بركيارق من السجن وينحازوا إليه ويخطبوا له بأصبهان(٤).

فلم تقبل تركان خاتون بذلك ودخلت في صراع مع بركياروق وأنصاره على أمل إعادة السلطنة لإبنها محمود حتى توفيت سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م دون أن تتمكن من تحقيق مرادها .

أما السلطان بركياروق فقد تربع على عرش السلطنة بعد ان دخل في صراعات مريرة مع إخوته وأعمامه وظل سلطاناً حتى سنة ٤٩٨ هـ /١١٠٤م (٥). ، حيث توفي بركيارق بيزدجرد، ونُقِل جثمانه إلى أصفهان وكان عمره سبع وعشرون سنة وعندما اشتد عليه المرض عيّن ابنه

---

(١) الفارقي، تاريخ، ص٢٢٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٨؛ الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٩-٢١٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧١ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٠-٢١١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧؛ ، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٨.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥،الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤؛

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨.

(٥) انظر المزيد حول تلك الصراعات الفصل الرابع من هذه الدراسة ص١٤٨- ١٥٣ .

ملكشاه ولياً لعهده وكان عمره أربع سنين، وجعل الأمير إياز أتابكه، وأوصى الأمراء بالسمع والطاعة، وأمرهم أن يسيروا إلى بغداد(١).

وعندما وصلوا بغداد طالبوا بإقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فأجيبوا وخُطِبَ له في بغداد سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م(٢)، وعندما بلغ خبر وفاة السلطان بركيارق إلى أخيه محمد بن ملكشاه سار إلى بغداد، أمام ذلك أجرى الأمير إياز مشاورات مع الأمراء العسكريين كان الهدف منها التأكد من صدق نواياهم ومدى استعدادهم للدفاع عن عرش السلطان ملكشاه بن بركيارق، فأشار عليه الأمراء بالقتال، لكن وزيره أبو المحاسن كان له موقفاً مغايراً لموقف الأمراء فقد نصح الأمير إياز قائلاً: (يا مولانا الأمير لا تصغ إلى قولهم، فإنهم يكونون أعدى عدوك بعد إنقلاب الحال، والرأي أن تصالح السلطان محمد، فإنه يكرمك ويزيد في إقطاعك إذ لا إعتماد على رجالنا، ومع ذلك أنت تعلم بما نحن فيه من قلّة المال)(٣).

لكن الأمير إياز لم يأخذ بنصيحة وزيره أبو المحاسن وقرر أخذ العهد من الأمراء على الإخلاص للسلطان ملكشاه بن بركيارق فوجد قلوب الأمراء غير صافية فأدرك صدق نصيحة الوزير فأرسله في الصلح إلى السلطان محمد وأخذ الأمان للسلطان ملكشاه ولنفسه وللأمراء فأجيب إلى ذلك وأصبح السلطان محمد على رأس السلطنة، فسار إلى أصفهان(٤).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٨ ؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢-٨٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦.

(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ص٣٨٢؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦.

موقف الفقهاء من ولاية العهد عند السلاجقة

زخرت مؤلفات التاريخ التاريخ الإسلامي بعددٍ لابأس به من العناوين التي تناولت النظم السياسية (الخلافة ، الوزارة) إلى جانب المناصب الإدارية (القضاء ، الحسبة ، الحجّاب، الدواوين)، بينما شحت المؤلفات التي تناولت صراحةً ولاية العهد بمراحلها المختلفة بدءاً من نشأئتها زمن معاوية بن أبي سفيان سنة ٤١ هـ / ٦٦١ م إلى سنة ٥١١هـ /١١١٥ م ، حيث توقفت هذه الدراسة ، وإكتفت كتب المفكرين المسلمين السياسية أمثال الماوردي (ت ٤٥٠هـ، ١٠٥٨م) ، الجويني (ت ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م) ، الغزالي (ت٥٠٥ هـ /١١١١م) بتناول موضوع ولاية العهد من خلال الحديث عن الخلافة وعلاقتها بالسلطنة خلال القرن الرابع هجري ، وتراجع مكانتها لصالح البويهيين ، ومن بعدهم السلاجقة الذين حاول فقهاء الفكر السياسي الإسلامي إيجاد تبريراً لسلطنتهم خاصة السلاجقة لإعتبارات مذهبية ؛ لذلك سيتم تناول أراء عدد من الفقهاء (الماوردي ، الجويني ، الغزالي) في مسألة ولاية العهد عند السلاجقة من خلال حديثهم عن الخلافة والسلطنة بإعتبار أن الشروط التي راى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يتصدى للإمامة (الخلافة) هي عينها الشروط التي يجب أن تتوافر في ولي العهد ؛ لإن ولي العهد سيحل محل الخليفة بعد شغور منصبه في حال وفاته أو مرضه ، كذلك الحال بالنسبة للسلطنة وولاية العهد .

أولاً الماوردي :- يأتي الماوردي(١) في مقدمة الفقهاء الذين تم تناول أرائهم في مسألة ولاية العهد عند السلاجقة ، وذلك لأكثر من سبب :

١. أنّ الماوردي عاصر إستيلاء السلاجقة على السلطة بدخولهم بغداد سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٦م (٢).
٢. إمتلاكه للخبرة السياسية إلى جانب مؤهلاته الفقهية ، حيث عمل سفيراً للدولة العباسية لدى البويهيين والسلاجقة ٣).

كانت الخلافة العباسية خلال فترة حياة الماوردي تعيش فصلاً من فصول ضعفها وتراجع مكانتها أمام تزايد قوة البويهيين ومن بعدهم السلاجقة الأتراك الذين جردوا الخلافة من صلاحياتها السياسية الواسعة وتركوا لها الوظائف الدينية التي كانت بالنسبة للبويهيين والسلاجقة تمثل الرمز الديني الذي يحتاجونه لأخذ الغطاء الشرعي لحكمهم.

في هذه عاش وتعلم الماوردي الفقه وإتصل بالخليفة العباسي القادر ٣٨١-٤٢٢ هـ /٩٩١-١٠٣١م، وألف له كتاب الإقناع وكتاب الحاوي اللذين كانا جزءاً من مشروع الخليفة القادر لإحياء الخلافة العباسية السنية مقابل التسلط البويهي الشيعي٤) الذي يقوم على فكرة إستقطاب الفقهاء وإدخالهم في تحالف مع الخلافة العباسية لمواجهة خطر البويهيين والفاطميين من خلال تأليف الكتب المدافعة عن الخلافة وليس أدل ذلك من كتاب كشف الأسرار وهتك الأسرار في الرد على

---

(١) الشيرازي ، إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ/١٠٨٣م) ،طبقات الفقهاء ، تحقيق ، خليل الميس ، بيروت دار القلم ، د.ت. ص١٣٨، وسيشار إليه لاحقاً ، الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، السبكي ، عبدالوهاب بن علي ، (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي ، وعبدالفتاح حلو ، مطبعة البابي الحلبي د.ت.ج ٣، ص٢٦٨ ، ص٣٣٩.وسيشار إليه لاحقٍ هكذا ، السبكي ، طبقات الفقهاء.

(٢) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج ١٦، ص٣٤٨-٣٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٦٠٩-٦١٠، البنداري، دولة آل سلجوق ، ص١٢ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ص٢٦- ٣٠، ابن العبري، تاريخ الزمان ، ص١٨٤ ، اليزدي ، العراضة، ص٣٩.

(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج٩ ، ص ٥٢٦، فاضل بيات ، علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية، ص ٢٦١-٢٦٣.

(٤) الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ، قوانين الوزارة وسياسة الملك ، تحقيق رضوان السيد ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط١، ١٩٧٩م ، ص٨-٩، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، الماوردي، سياسة الملك.

الباطنية ، وكتاب التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة لمؤلفه الباقلاني المالكي(ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م) وكتاب الفرق بين الفرق ، وكتاب أصول الدين لمؤلفه أبو منصور البغدادي (ت ٤٢٩ هـ /١٠٣٧م) ١).

ويمكن القول بناءاً على تقدم أن الماوردي كان جزءاً من منظومة تبنتها الخلافة العباسية مستغلة الحال الذي آلت إليه السلطنة البويهية إبتداءاً من سنة ٣٧٢ هـ /٩٨٢م بوفاة عضد الدولة البويهي وإبتدأت هذه المنظومة عملها بتولي القادر منصب الخلافة سنة ٣٨١ هـ /٩٩١م وإستمرت بعد وفاته من خلال الخليفة القائم بأمر الله ٤٢٢-٤٦٧ هـ /١٠٣١-١٠٧٤م، لكن الماوردي تميز عن غيره من فقهاء السنة الذين ناصروا الخلافة العباسية ودافعوا عنها بأنه كان دبلوماسياً في مؤلفاته وخطابه فهو لم يهاجم البويهيين المختلفين مذهبياً مع الخلافة العباسية مستمداً من عمله كسفيراً للعباسيين لدى البويهيين سنة ٣٢٢هـ /١٠٣٢م إلى الملك أبو كاليجار بن سلطان الدولة نهجاً سار عليه في كتاباته ، فقد كان المفاوضاً عن الخليفة في الألقاب التي يريد أبو كاليجار الحصول عليها فقد طلب أن يتلقب بلقب السلطان الأعظم مالك الأمم فرفض الماوردي بإعتبار أن هذه الألقاب هي للخليفة فقط، وتفاوض مع أبي كاليجار الذي رضي بأن يتلقب بلقب ملك الدولة٢).

ولم تكن تلك السفارة الوحيدة للماوردي لدى البويهيين، ففي سنة ٤٣٤ هـ /١٠٤٣م أرسله الخليفة العباسي القائم بأمرالله ٤٢٢-٤٦٧ هـ /١٠٣١-١٠٧٤م إلى جلال الدولة بسفارة أخرى كانت بمثابة إحتجاج من الخليفة العباسي على قيام جلال الدولة بجمع أموال الجزية من أهل الذمة في بغداد والتي هي صلاحيات الخليفة وعلى الرغم من أن نتائج سفارة الماوردي لم تكن مثمرة نتيجة رفض جلال الدولة إرجاع الأموال إلا بعد أن هدده الخليفة القائم بالخروج من بغداد مما

---

(١) الجالودي ، تطور السلطنة ، ص١٦٣-١٦٤ ، مضر طلفاح ، دار الخلافة ودار المملكة دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (ت٣٣٤هـ/٤٤٧م) ، وأثرها في الفكر السياسي السني، رسالة دكتوراة منشورة ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٦م ، دار حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، إربد الأردن ، ص٣٨٠-٣٨١، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، طلفاح ، دار السلطنة.

(٢) الماوردي، قوانين الوزارة ، مقدمة المحقق، ص٧٦-٧٧، طلفاح ، دار السلطنة، ص٣٨٢.

سيعرضه – أي جلال الدولة – لفقدان الشرعية فوافق جلال الدولة ، لكنه لم يرجع الاموال وإنما أجل ردها للسنة القادمة ١).

يمكن القول أن السفارات التي قام بها الماوردي بتكليف من الخليفة العباسي القائم كانت تتناول مواضيع تمس صلاحيات الخليفة الدينية والسياسية سواء من ناحية الألقاب أو من ناحية أموال الجزية ، وهذه تحتاج إلى فقيه محاور يتقن فن الحوار والإقناع ويتمتع بالقبول لدى الطرف المرسل إليه – البويهيين – وهذه الدبلوماسية والمكانة العلمية هما اللتان رجحتا كفة الماوردي لئن يكون سفيراً للخلافة العباسية لدى السلاجقة لعقد صلح مابين جلال الدولة وأبوكاليجار والسلطان طغرلبك ٢) .

موقف الماوردي من ولاية العهد .

لابد قبل تناول موقف الماوردي من الأخذ بعين الإعتبار مايلي :-

أولاً :- أنّ رأي الماوردي في ولاية العهد يمثل موقفه من ولاية العهد عند العباسيين الذين دأبوا على توريث أبنائهم الخلافة من خلال العهد إليهم ، وتم إسقاط حكم ولاية العهد عند الخلفاء العباسيين على ولاية العهد عند السلاجقة٣).

ثانياً :- وفاة الماوردي في فترة مبكرة من حكم السلاجقة الذين دخلوا بغداد سنة ٤٤٧ هـ /١٠٥٥م حيث توفي سنة ٤٥٠ هـ /١٠٥٨م أي بعد دخول السلاجقة بغداد بثلاث سنوات ولم يتسنى له أن يُصدر حكماً على قيادتهم للدولة وإرتباطهم بالخلافة العباسية مع الأخذ بعين الإعتبار سفاراته إليهم وإشتراكه في مشروع بعث الخلافة وإستعانتها بالسلاجقة ضد البويهيين٤).

---

(١) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٥، ٢٦٥-٢٦٦، ابن الأثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٦٥.

(٢) الماوردي ، قوانين الوزارة ، مقدمة المحقق ، ص٧٦-٧٧ ، طلفاح ، دار السلطنة ، ٣٨٣.

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط٢ ، ١٩٦٦م ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، طلفاح ، دار المملكة، ص٣٨٢-٣٨٣.

(٤) الماوردي قوانين الوزارة، مقدمة المحقق ، ص١٠، ٢٠ ، ٢١، طلفاح ، دار المملكة، ص٣٨٢-٣٨٣.

تناول الماوردي ولاية العهد من خلال حديثه عن الإمامة وطرق إنعقادها ، فقد ذكر أنّ من بين طرق إختيار الإمامة ١) ، أن تنعقد الإمامة بعهد يعهد به الإمام الذي يرأس الأمة إلى من سيأتي بعده ودلل على مشروعية ذلك بدليلين إستشهد بهما من الفترة الراشدة وهما إختيار أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعمر بن الخطاب ليخلفه في خلافة المسلمين ، وكذلك إختيار عمربن الخطاب رضي الله عنه لستة من كبار الصحابة ليختاروا خليفة للمسلمين٢) ، وبيّن أنّه يتعين على الإمام (الخليفة) ان يختار الأفضل وحدد شرط إنفراد الإمام في عقد البيعة لمن يريد أن يعهد له دون الأخذ برأي أهل الإختيار بأن لا يكون إبناً للإمام أو والداً له ، وهذا مما لم يوافق عليه علماء البصرة ، الذين إشترطوا رضا أهل الإختيار لتتم البيعة ، لكن الماوردي يرى عدم ضرورة هذا الشرط مستنداً على أن بيعة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم تتوقف على رضا الصحابة ، وقد بين شروط من يقع عليه الإختيار لمنصب الإمامة وهي عنده:

- العدالة على شروطها الجامعة.
- العلم المؤدي إلى الإجتهاد في النوازل والأحكام .
- سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة مايدرك بها .
- سلامة الحواس من نقص يمنع عن إستيفاء الحركة وسرعة النهوض .
- الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
- الاشجاعة والنجدة المؤيدة غلى حماية البيضة وجهاد العدو .
- النسب وهو أن يكون من قريش لورود النص فيه وإنعقاد الإجماع عليه٣) .

هذه الشروط التي أوردها الماوردي ورأى ضرورة توافرها فيمن يعهد له بلإمامة (الخلافة) ليصبح خليفة في حال شغر منصب الخلافة بوفاة الخليفة أو مرضه وهذه الشروط يمكن ان تنطبق على ولاية العهد عند السلاجقة بإستثناء شرط النسب القرشي مع بعض التحفظ ؛ ويمكن تبرير ذلك بأن هذه الشروط وضعها لأولياء العهد عند الخلفاء العباسيين إضافة إلى أن الماوردي

---

(١) للمزيد حول طرق إختيار الإمام ،إنظر الماوردي ، الإحكام السلطانية ، ص٥- ١٦.

(٢) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص١٠-١١، قوانين الوزارة ، مقدمة المحقق ، ص٢٤-٢٥ ، الجالودي، تطور السلطنة، ص١٦٦-١٦٨.

(٣) الماوردي ، الاحكام السلطانية ، ص٦.

المتوفى سنة ٤٥٠ هـ /١٠٥٨م لم يعاصر بناء الدولة السلجوقية وطريقة إنتقال السلطة عندهم حتى يكوّن رأياً مستقلاً في ولاية العهد عندهم .

إمارة الإستيلاء عند الماوردي :

يأتي تناول رأي الماوردي في إمارة الإستيلاء ، بإعتبار أن تأليف الماوردي لكتاب الأحكام السلطانية يمثل التنظير لمرحلة جديدة من العلاقة بين الخلافة العباسية والإمارات المتغلبة خاصة أنّ العلاقة السلاجقة السنة كانوا ملاذاً للخلافة العباسية بعد أن تبنى الخليفة القادر ٣٨١-٤٢٢ هـ /٩٩١-١٠٣١م، وإبنه القائم بأمر الله ٤٢٢- ٤٦٧ هـ / ١٠٣١- ١٠٧٤م اللذان تبنيا مشروع إعادة بعث الخلافة وكان الماوردي سفيراً للسلاجقة من قبل الخلافة العباسية ١)

وقد أدرك الماوردي بثاقب نظره وسعة علمه أن نجم السلاجقة الصاعد قد تزايد ظهوره وبرز لأخذ مكانه أمام تهاوي البويهيين الذين جردوا الخلافة العباسية من سلطاتها ، حيث أنّ الماوردي أدرك الحال الذي آلت إليه أوضاع الخلافة فكان بتناوله لإمارة الإستيلاء يؤسس لمرحلة جديدة تحفظ للخلافة العباسية مكانتها وتحدد علاقة القوى الإمارات المتغلبة معها ، خاصة أنّ الماوردي يبين في تناوله لإمارة الإستيلاء أن منح الخليفة للأمير المتغلب تقليداً يمنحه الشرعية يجعل إمارته أكثر صلاحاً وصحة ٢) وهذا التقليد يجعل هو بذات الوقت إعترافاً من الأمير المستولي بسيادة السلطة الدينية ممثلة بالخليفة .

ويمكن ملاحظة واقعية أحكام الماوردي من خلال حديثه عن الشروط الواجب توافرها في الأمير المستولي ٣) فقد بيّن أنّ أمير الإستيلاء يجب أن تتوفر فيه الواجب توافرها في الوزراء وولاة المناطق ، ثم اتبع الحديث عن هذه الشروط بتبرير انه في حال عدم توفر هذه الشروط في الأمير المستولي يجوز للخليفة أن يقلده الإمارة تجنباً لمخالفته ويختار شخصاً تجتمع فيه شروط

---

[1] الماوردي ، قوانين الوزارة ، مقدمة المحقق ، ص٨-٩ ، الجالودي ، تطور السلطنة ،ص ١٦٣- ١٧٠ ، طلفاح ، دار المملكة ، ص٣٧٨- ٣٨٣،

[2] الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص٣٣ ، قوانين الوزارة ، مقدمة المحقق ، ص٢٨- ٢٩، الجالودي تطور السلطنة ، ص١٧١- ١٧٣.

[3] إنظر حول هذه الشروط ، الماوردي ، الأحكام السلطانية، ص٣٣-٥٥ ، قوانين الوزارة مقدمة المحقق، ص٣٠- ٣١،

الوزراء ليكون نائباً للأمير المستولي ليقوم بالأعمال الشرعية للولاية وهذا التبرير من الماوردي كان الهدف منه وضع أحكام وقواعد تناسب طبيعة المرحلة القادمة التي إستشعر الماوردي ملامحها لكن القدر لم يمهله ليعيش أحداثها.

رأي الجويني (ت ٤٧٨ هـ/١٠٨٥م) [1] في ولاية العهد عند السلاجقة

ذاق الجويني من نعمة ونقمة السلاجقة، أما النقمة فجاءته نتيجة إنتماءاته المذهبية بإعتباره أحد أئمة المذهب الأشعري الذين هاجروا من مناطق الدولة السلجوقية نتيجة السياسة التي إتبعها الوزير عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك الذي تبنى لعن الأشاعرة على المنابر ، ويقدم رضوان السيد تفسيراً وتوضيحاً لحقيقة موقف الوزير عميد الملك من الأشاعرة ؛ إذ بيّن أنّ عميد الملك كان سنيّاً حنفياً وأراد جعل المذهب الحنفي مذهباً رسمياً للدولة السلجوقية في عهد السلطان طغرلبك ، فلقي معارضة من الأشاعرة فتبنى سياسة عدائية ضدهم ، يضاف إلى ذلك واقع المجتمع البغدادي أنذاك الذي خضع لسيطرة الحنابلة أعداء الأشاعرة وتزامن هذا مع تبني الخلافة لمشروع إحياء المذهب السني خاصة الشافعية والحنفية ٢) .

مثلما كانت النقمة على الجويني نتيجة سياسة الوزير عميد الملك الكندري المذهبية ، كانت النعمة التي تفيأ ضلالها نتيجة الوزير نظام الملك الطوسي وزير السلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م وإبنه السلطان ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م الذي أوقف السياسة التي كانت متبعة ضد الأشاعرة ، بل أدخلهم في مشروعه التعليمي المتمثل ببناء المدارس النظامية وجعل أساتذتها من الفقهاء الشافعية وتميزت العلاقة التي كانت سائدة بين الجويني والوزير نظام

---

[1] عبدالملك بن عبدالله (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) ، إنظر المزيد حول حياته وتعليمه السبكي، طبقات الفقهاء ،ج٤ ، ص٣١ .

[2] الجويني ، غياث الامم في التياث الظُلم ، تحقيق د. مصطفى حلمي ود. فؤاد حلمي ، ط١ ، دار الدعوة ، القاهرة ، د.ت. مقدمة المحقق، ص١٢- ١٣، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الجويني ، غياث الأمم .

الملك الطوسي إلى حد جعلت الجويني يُسمي كتابه النظامي او العقيدة النظامية ، وأهداه كتابه غياث الأمم ١)

أما بالنسبة للشروط الواجب توافرها في الإمام والتي يمكن إسقاطها على ولي العهد عند السلاجقة بإعتبار أن الهدف من ولاية العهد هو وراثة السلطة بعد شغورها ، فإن الجويني يتناولها بطريقة مغايرة عن الماوردي ، ولعله يهدف من وراء ذلك إلى تسويغ وتبرير العلاقة بين الخلافة والسلطنة خاصة أنّه أصبح من الفقهاء الذين عملوا في المدارس النظامية التي أوجدها الوزير نظام الملك الطوسي (ت٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م).

قسّم الجويني الصفات الواجب توافرها في الإمام إلى ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : المتعلق بالحواس .

القسم الثاني : المتعلق بالأعضاء.

القسم الثالث : الصفات اللازمة والمكتسبة (٢) .

ثم شرع الجويني في تناول صفات الإمام وتصنيفها مابين الضرورة وعدمها ، فذكر وجوب أن يكون الإمام ذكراً ، حراً ، شجاعاً ، عاقلاً ، شهماً ، إلا أنّ الجويني كان له رأياً خاصاً في شرط القرشية ، فقد بيّن أن شرط القرشية ضرورة في حال ترافق مع وجود الدراية والكفاية ، أما إذا لم تتوفر الدراية والكفاية إلى جانب القرشية ، فلا يعتد بها ٣) .

كذلك بيّن أنه لايشترط توفر صفتي العلم والإجتهاد في الإمام بإعتبار أنّ هاتين الصفتين يمكن أن يؤديهما المستشارين الفقهاء ، ويرى أنَ ولاية العهد شرعية متجاوزاً الظوابط التي وضعها الماوردي لولاية العهد ، فأجاز أن يعهد الإمام لولده في حياته ، مستنداً إلى أن العصر الذهبي للخلافة يقتصر على فترة الخلفاء الراشدين ، وبعد ذلك تحولت الخلافة إلى مُلكاً عضوضاً ويؤكد على ضرورة توفر شروط الإمامة في ولي العهد ٤).

---

[١] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ،ص٨-٩، ص١٣ ، الماوردي ، قوانين الوزارة ، ص٥٢- ٥٣ ، الجالودي ، تطور السلطنة، ص١٧٤- ١٧٦ .

[٢] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص٦٠-٦٢ ، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص١٧٧.

[٣] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص٦٢- ٦٤، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص١٧٧.

[٤] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ١٠٠- ١٠٩ ، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص١٧٧- ١٧٩.

إمارة الإستيلاء عند الجويني :

يكتسب رأي الجويني في ولاية العهد أهميته من خلال علاقته بالدولة السلجوقية ، فقد سبقت الإشارة في بداية الحديث عن موقفه من ولاية العهد أنه عانى من السلاجقة في بداية حكم السلطان طغرلبك ٤٣٢- ٤٥٥ هـ /١٠٤٠- ١٠٦٣م ، لكن تبدل حاله مع تسلم الوزير نظام الملك الطوسي منصب الوزارة في الدولة السلجوقية جعل إرتباطه أوثق بالسلطنة السلجوقية من خلال علاقته بالوزير نظام الملك الطوسي وقد إنعكس ذلك على موقفه من إمارة الإستيلاء والشروط التي وضعها للأمير المستولي ، فعند تناول أراؤه في إمارة الإستيلاء نجده جعلها في ثلاث حالات لكل حالة راي يناسبها وهي :

الحالة الأولى : أن يكون الأمير المستولي مكتمل شروط للإمامة [١].

وهنا يوضح الجويني أنّ هذه الحالة ترتبط بأمرين هما :

الأول : أن لايكون هناك أحداً من أهل الحل والعقد أي لاتتوفر صفات وشروط أهل الحل والعقد في أحد في زمان هذا الأمير ، وفي هذه الحالة برأي الجويني إماماً شرعياً٢).

الثاني : وجود من تتوفر فيه صفات أهل الحل والعقد ، فإذا إمتنع عن مبايعة الأمير المستولي فلا يعتد بإمتناعه ، وإذا قدّم عذراً لإمتناعه عن المبايعة ، فإنه يتعين إخراجه من أهل الحل والعقد ٣) .

فالجويني يُعطي الأمير المستولي الحق في إمامته وصحتها دون الإعتداد بموقفر أهل الحل والعقد .

الحالة الثانية: هي أن لا تتوافر جميع صفات الإمامة في الأمير المستولي وإنما بعضها إلى جانب الكفاءة ٤) .

---

[١] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٣١، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص١٨٠.

[٢] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٣٢، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص ١٨٠

[٣] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٣٢- ٢٣٣ -الجالودي ، تطور السلطنة ، ص ١٨٠

[٤] الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٣٩ -الجالودي ، تطور السلطنة ، ص ١٨٠- ١٨١

الحالة الثالثة: خلو الزمان من سلطان يمتلك الكفاية والدراية ، ففي هذه الحالة يرى الجويني أنّ العلماء هم من يقع على عاتقهم قيادة الامة وعلى الرعية إتباعهم ، وإذا كان هناك أكثر من عالم فإن لكل ناحية عالمها وهو الحاكم ، وفي حال كان هناك أكثر من عالم في نفس الناحية ، فإن أساس المفاضلة في هذه الحالة بين العلماء يكون على أساس أكثرهم علماً ، وإذا لم يتفقوا فإن الجويني يطرح الحل من خلال القرعة ومن يفوز بها يكون العالم الحاكم[١] .

ويبين الجويني أنه في حال ظهر شخص يمتلك القوة والأتباع ولم يكن عالماً ، فيصبح هو الحاكم ، لكن ولايته مرتبطة بالإستنارة والإستشارة للعلماء[٢] .

يمكن القول بناءاً على ما تقدم أنّ الجويني قد كان أكثر مجاراةً ومدارةً للسلاجقة وحكمهم من الماوردي من خلال ما ساقه عن ولاية العهد وإمارة الإستيلاء ، بل إنّ الجويني إمتدح الوزير نظام الملك الطوسي في كتابه غيّاث الأمم بمدائح طويلة [٣] ، ولم يقتصر الأمر على الوزير نظام الملك الطوسي ، بل إنّ المدائح طالت كذلك السلطان ألب أرسلان في ثنايا كتابه غيّاث الأمم حيث أشار إلى إنتصار السلطان ألب أرسلان في معركة ملازكرد سنة ٤٦٣ هـ /١٠٧٠م [٤] .

كل ذلك يجعل الجويني أكثر مرونة في حديثه عن الإمامة وشروط من يتصدى لها ، بحيث يكون أكثر مجاراةً لروح عصره الذي عاشه وليس أدل على ذلك من تصنيفه لحالات أمير الإستيلاء ، وكذلك لم نجد للجويني رأياً صريحاً في ولاية العهد عند السلاجقة خاصةً أنّ الوزير نظام الملك الطوسي كان داعماً لمخطط السلطان ألب أرسلان لتعيين إبنه ملكشاه ولياً للعهد سنة ٤٥٨ هـ /١٠٦٥م[٥] .

---

(١) الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٧٨- ٢٨٢ ، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص ١٨١- ١٨٢

(٢) الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٨٣، الجالودي ، تطور السلطنة ، ص ١٨٢

(٣) إنظر مقدمة كتاب غيّاث الأمم في التياث الظلم ، ص٥-١٠.

(٤) الجويني ، غياث الامم في التياث الظلم ، ص ٢٥٢- ٢٥٤ .

(٥) الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية، ص٤٠- ٤١ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول ، ص٣٣.

موقف الغزالي[١] من ولاية العهد:-

يعد الغزالي من الفقهاء الذين عاصروا بداية الدولة السلجوقية وتطورها حتى أشرفت على الضعف فقد عاصر عدد من سلاطين السلاجقة إبتداءاً من السلطان طغرلبك ٤٣٢-٤٥٥ هـ /١٠٤٠-١٠٦٣م، والسلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥ هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م، والسلطان ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م، والسلطان محمود بن ملكشاه ٤٨٥ ــ ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٢-١٠٩٤ م، والسلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨ هـ/ ١٠٩٤-١١٠٤ م، والسلطان ملكشاه الثاني ٤٩٨ هـ/ ١١٠٤ م، والسلطان محمد بن طبر ٤٩٨-٥١١ هـ/ ١١٠٤- ١١١٧م. ٢) .فالغزالي يعد بمثابة شاهد عيان أُتيح له أن يطلع على تجربة السلاجقة السياسية في نقل السلطة خاصة أنه كان على صلة وثيقة بالوزير نظام الملك الطوسي بعد وفاته أستاذه الجويني سنة ٤٧٨ هـ /١٠٨٥م وتوثقت علاقته به فكلفه الوزير نظام الملك الطوسي بالتدريس بنظامية بغداد سنة ٤٨٤ هـ /١٠٩١م ٣) ، لكن مقتل الوزير نظام الملك الطوسي سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م جعل الغزالي يفكر في الإعتزال والإبتعاد عن البلاط السلجوقي بعد فقدان صديقه الوزير نظام الملك الطوسي ، فقرر في سنة ٤٨٨ هـ /١٠٩٥م الإعتزال وترك التدريس في النظامية ٤) وتنقل بين أكثر من بلد خلال فترة الإنقطاع فقد إتكف في الشام سنتين وزار بيت المقدس وأنهى إعتزاله الأول بتأليف كتابه إحياء علوم الدين

---

[١] محمد بن محمد بن حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) ،إنظر المزيد حول حياته وتعليمه ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٠٢- ١١٥.

[٢] السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٠٣، فريد جحا ، أبو حامد الغزالي ، سيرته ، مؤلفاته ، دراسته ، أقوال العلماء فيه، مكانته في التاريخ ، ط١، دار طلاس للدراسات والنشر ، ١٩٨٦م ، دمشق ، ص١٠١-١٠٢ ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، جحا ، أبوحامد الغزالي .

[٣] السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٠٤، جحا ، أبوحامد الغزالي ، ص ١٠٢. فكتور باسيل ، منهج البحث عن المعرفة لدى الغزالي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت د.ت. ص١٦-١٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، باسيل ، البحث عن المعرفة.

[٤] السبكي ، طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص١٠٤، جحا ، أبوحامد الغزالي ، ص ١٠٤. ، باسيل ، البحث عن المعرفة، ص١٦-١٨.الجالودي ، تطور السلطنة ، ١٨٣-١٨٤.

١) ، وعاد الغزالي إلى التدريس بعد تكليفه من الوزير فخر بن نظام الملك سنة ٤٩٩ هـ /١١٠٦م لكن ذلك لم يستمر طويلاً فقد عاد لعزلته التي يبدو أنه إعتاد عليها سنة ٥٠٣ هـ /١١١٠م حتى توفي سنة ٥٠٥ هـ /١١١٢م ٢) .

يتميز رأي الغزالي في ولاية العهد أنه كان رأياً واضحاً وصريحاً لكنه كان مقتصراً على حالة بعينها وهي فترة وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م ، ومحاولة تعيين إبنه وولي عهده الصغير محمود سلطاناً وهو الأمر الذي كان يعارضه الوزير نظام الملك الطوسي وتسبب له هذا الموقف بأن ساءت علاقته مع السلطان ملكشاه ٣) ، الذي توفي فجاءةً بعد مقتل نظام الملك بثلاث وثلاثين يوماً ٤) فإنتقلت رئاسة الدولة إلى ولي العهد الصغير محمود بن ملكشاه الذي أصبح سلطاناً نتيجة وفاة والده السلطان ملكشاه ٥) لكن كان ينقصه الإعتراف الشرعي من الخليفة بتفويضه سلطاناً بإرسال الخلع إليه والخطبة له على المنابر في بغداد .

وهنا برز دور الغزالي في ولاية العهد فقد راسلت تركان خاتون والدة محمودبن ملكشاه الخليفة العباسي القائم بأمرالله في منح الخلع لإبنها محمود فجاء رد الخليفة مستنداً على رأي الغزالي أن تولية محمود بن ملكشاه غير جائز شرعاً لصغر سنه٦) .

يمكن القول بناءاً على ما تقدم أن الغزالي رفض تولية محمودبن ملكشاه لصغر سنه ، لكنه كان مؤيداً لولاية العهد ويبدو أنه كان يميل لتولية بركيارق بن ملكشاه الإبن الأكبر للسلطان ملكشاه متأثراً برأي صديقه الوزير نظام الملك الطوسي الذي كان يؤيد هذا الرأي ويسانده ، إضافة إلى إن

---

(١) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بيروت، د.ت ترجة الإمام الغزالي ج١ ص هـ ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الغزالي ، إحياء علوم الدين ، باسيل ، البحث عن المعرفة، ص١٦-١٨ ، ص٢١ ، الجالودي ، تطور السلطنة، ص١٨٣-١٨٤.

(٢) جحا ، أبو حامد الغزالي ، ص١٠٧، باسيل ، البحث عن المعرفة ، ص٢٠-٢١، الجالودي ، تطور السلطنة ، ١٨٣-١٨٤.

(٣) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ص٤٧٨، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩٢، مستوفي، تاريخ كزيدة، ص٤٣٨، اليزدي ، العراضة، ص٦٥-٦٨.

(٤) الفارقي، تاريخ ، ص٢٢٩، ابن الجوزي ، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٨، الراوندي ، راحة الصدور، ص٢٠٩- ٢١٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧١، ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ٢١٠-٢١١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص ٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول ، ص ٦٢.

(٥) للمزيد حول تولي محمود بن ملكشاه السلطة، إنظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص٥٩.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠، ابن الأثير، الكامل ، ج١٠، ص٢١٤، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول ، ص٦٢.

الغزالي إمتثل طريق أستاذه الجويني الذي كان مقرباً من السلاجقة وخاصة الوزير نظام الملك الطوسي . ولم نجد له رأياً معارضاً لسلطتهم بل نجد الغزالي يتحالف مع السلاجقة ويساندهم من خلال كتاباته ضد الباطنية ١) .

(١) باسيل ، منهج البحث، ص١٦٥-١٦٦، الجالودي، تطور السلطنة، ص١٨٤.

الفصل الثالث

العوامل المؤثرة في ولاية العهد عند السلاجقة

العوامل المؤثرة في ولاية العهد .

كانت ولاية العهد غاية تطلع إليها عدداً من الأمراء السلاجقة بإعتبارها طريقاً- على الأقل نظرياً- إلى رئاسة الدولة والتربع على عرشها ؛ لذلك شهد هذا المنصب تنافساً كبيراً وملفتاً للظفربهِ ، وإقترن هذا التنافس بسعي الأمراء إلى عقد سلسلة من التحالفات التي كانت لازمة للوصول إلى هذا المنصب ، فعقدوا تحالفاً مع الوزراء الذين وجدوا في هذه التحالفات فرصة لزيادة صلاحيتهم وإطلاقها للحصول على مزيد المكاسب والنفوذ ، كذلك كان الأمر بالنسبةلأمراء الجيش الذين إستغلوا حاجة أمراء السلاجقة لهم فبدأوا بتوسيع صلاحياتهم وسلطاتهم والتخلص من خصومهم بإعتبارهم – أي أمراء الجيش – من يملك الحسم، وهذه التحالفات كانت بقيادة الخواتين اللواتي مارسن دوراً بارزاً في ولاية العهد سعياً منهن لدعم أبنائهن ليكونوا أولياء العهود وليصبحوا فيما بعد سلاطين الدولة السلجوقية وإستخدمن في سبيل هذا الهدف مختلف الوسائل والأساليب لإنجاح وصول أبنائهن إلى منصب ولاية العهد .

أولاً: دور الوزراء في ولاية العهد:

لعب الوزراء دوراً مهماً في ولاية العهد، ابان الحكم السلجوقي، وجاء هذا الدور من تلك الصلاحيات الواسعة التي مارسها هؤلاء الوزراء بموافقة السلطان الذي كان منصرفاً إلى النشاط العسكري تاركاً بقية الأعمال السياسية والإدارية للوزير الذي استغل هذه الصلاحيات حد الاستقلال بإدارة شؤون الدولة في عهد السلطان طغرلبك كما وصف ذلك خواندمير(١) وتجدر الإشارة هنا إلى أن دور الوزراء في ولاية العهد سار باتجاهين:

اتجاه يتمثل بالنهج الذي سار عليه عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك والذي كان همه البحث عن مكان خصب تزداد فيه سلطاته وصلاحياته والذي وجده في تحالفه أول الأمر مع الترنجان خاتون أم أنو شروان زوجة طغرلبك، وعندما فشل مشروعه إتجه إلى التحالف مع خاتون أم سليمان زوجة طغرلبك أرملة جغربك داود والتي تحالف معها عميد الملك لتعيين إبنها سليمان ولياً للعهد كون السلطان كان عقيماً.

---

(١) خواندمير غياث الدين بن همام (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٩م)، دستور الوزراء، ترجمة د. حربي أمين سليمان تقديم د. فؤاد الصياد، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م، ص٢٤٤، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، خواندمير، دستور الوزراء.

وقد مارس عميد الملك دوراً سياسياً مغايراً لاتجاه السلطان طغرلبك الذي أذعن لتأثير الخاتون وعيّن ابنها سليمان ولياً للعهد وهو على فراش الموت(١).

واتجاه ثانٍ: ويتمثل بالدور الذي مارسه الوزراء بشكل موافق لرغبات وميول السلاطين، وينطبق هذا تماماً على دور الوزير نظام الملك الطوسي أثناء حكم السلطان ألب أرسلان الذي عهد إلى إبنه ملكشاه ولياً لعهده بترتيب وتنظيم الوزير نظام الملك الطوسي الذي تعاظم نفوذه وتزايد مما كان سبباً لمقتله على يد السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥ هـ / ١٠٩٢م).

أولاً: دور الوزراء في ولاية العهد في عهد السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ/١٠٤٠-١٠٦٤م).

- **أهمية منصب الوزارة عند السلاجقة.**

يعد منصب الوزارة من المناصب الإدارية التي اعتمد عليها السلاجقة في إرساء قواعد دولتهم التي بدأت معالمها بالظهور منذ سنة (٤٣٢ هـ/١٠٤٠م)، إذ كانت حاجة السلاجقة للوزراء ملحة لافتقارهم ـ أي السلاجقة ـ للخبرة السياسية والإدارية فهم قبائل بدوية متنقلة لا خبرة لديها سوى بأمور الحرب والقتال(٢) وهذا مرتبط بنشأتهم فهم يعدون أنفسهم أبناء الصحراء نتيجة لذلك مارس الوزراء في عهد الدولة السلجوقية صلاحيات واسعة وقد ارتبطت هذه الصلاحيات بشخصية الوزير ومؤهلاته التي قد تمكنه- في حالة توافرت المؤهلات إلى جانب الشخصية المتمكنة- من إدارة الشؤون الموكولة إليه بكفاءة واقتدار(٣).

وهنا لا بد من إلقاء الضوء بشكل سريع على مهمات الوزير وصلاحياته عند السلاجقة لتكتمل الصورة عن أهمية منصب الوزراء عند السلاجقة وهي:

١- في الجانب المالي: ويتمثل بترأس الوزير لإدارة جمع الضرائب وإدارة ديوان الإستيفاء كما يعد المسؤول عن فرض الضرائب وإلغائها، وكذلك الإشراف على مصروفات الجيش ورواتب الجند وأرزاقهم، وقد تابع الوزراء هذا الموضوع عن طريق منصب عارض الجيش الذي ارتبط

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٣

(٢) كلاوستر، كارلا، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي الوزارة إنموذجاً ٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-١١٩٤م، ترجمة وتعليق د. عبد الجبار ناجي، مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة هارفرد، ص٨١، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، كلاوستر الإدارة المدنية.

(٣) كلاوستر، الإدارة المدنية، ص٨١.

بالوزير لمتابعة أمور الجيش المالية، وبناء على هذا فإن الوزير مارس نفوذاً داخل الجيش وعلى بعض قادته، وإن كان الإشراف والسلطة الكاملة على الجيش للسلطان نفسه(١) .

٢- في الجانب العسكري: ويتمثل ذلك في تجنيد الجنود وقيادة الحملات العسكرية.

لقد كان هذا الامر واضحاً في عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٣م) حيث ان الوزير نظام الملك الطوسي كان يرافق السلطان في أغلب فتوحاته، وكذلك رافق إبنه ولي العهد ملكشاه بن ألب أرسلان، وهو ما فعله معظم الوزراء السابقين لنظام الملك او اللاحقين له(٢).

٣- في الجانب القضائي والديني: ويظهر ذلك في الإشراف على أمور القضاء مثل ترؤس ديوان المظالم والتدخل في تعيين قاضي القضاة والقضاة والمحتسب وصاحب الشرطة ومتابعة شؤون الأوقاف(٣).

- دور الوزير عميد الملك الكندري في ولاية العهد:

يعد الوزير عميد الملك الكندري(٤) وزير السلطان طغرلبك الأبرز الذي كان له دورٌ سياسيٌ واضحٌ في ولاية العهد، فقد عمل في الوزارة مدة تقارب العشرة سنين (٤٤٦-٤٥٦ هـ /١٠٥٤-١٠٦٣م) إكتسب خلاله مهارة وخبرة كبيرة في تسيير الأمور وإدارتها ورافق طغرلبك في المراحل الأولى لبناء فأسبغ عليه ذلك كمانة خاصة لدى السلطان طغرلبك وداخل الدولة السلجوقية فقد كان الممثل والمندوب الشخصي أثناء قدوم السلطان طغرلبك إلى بغداد سنة (٤٤٧ هـ /١٠٥٥) حيث كان الوزير عميد الملك الكندري مرافق السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ /١٠٤٠- ١٠٦٣م) لدى قدومه إلى بغداد سنة (٤٤٧ هـ /١٠٥٥م) وكان هذا أول لقاء بين السلطان طغرلبك والخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هـ /١٠٣١-١٠٧٥م)(٥)، فكان

---

(١) كلاوستر، الإدارة المدنية، ص٨٢-٨٣.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣١، ص٣٥-٣٦ن ص٤٠-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦، ص٣٨، ص٥٠، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٢٢١، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٣) كلاوستر، الإدارة المدينة، ص٨٦-٨٧.

(٤) عميد الملك: هو محمد بن منصور الكندري، وزير طغرلبك وهناك أكثر من رأي حول سبب تسميته بالكندري. فالرأي الأول: ينسب الكندري إلى كندر طرينيت قرية من قراها.اما الثاني: ينسب الكندري إلى قرية يقال لها (كندر) قريبة من قزوين. والرأي الثالث: ينسب الكندري إلى ربيع (الكندر) وقتل بأمر من ألب أرسلان الحسيني،انظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٩٢، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٢٣-٢٦٠، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٣١، خواندمير، دستور الوزراء ، ص٢٤٤.

(٥) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء ص١٨٨-١٨٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٤٨-٣٤٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦١٠-٦١١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢-١٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠-٣١.

السلطان طغرلبك يجعل وزيره عميد الملك الكندري مرافقاً في أغلب جولاته ورحلاته وغزواته، وكان يستشيره في أغلب مخططاته ومشاريعه وكذلك تولى الوزير عميد الملك الكندري تنفيذ المصاهرة بين السلطان طغرلبك والخليفة العباسي القائم والتي بدأت سنة (٤٥١ هـ /١٠٥٩م) وتمت سنة (٤٥٤ هـ-١٠٦٢م)(١) وكان كذلك النائب عن الخليفة والمتحدث والمهدد بإسمه عندما رفض الخليفة القائم بأمر الله في بداية الأمر المصاهرة ونتيجة لهذا فقد تزايدت مكانته وارتفعت لما تولاه من مواقع وأوكل إليه من مهام.

ومما يجدر ذكره ان التقدم الذي أحرزه الوزير عميد الملك الكندري قد شكل باعثاً له ليزداد طموحه وطمعه في مزيد من الصلاحيات والسلطة، كذلك بدأ البحث عن وسيلة أخرى لتحقيق طموحه فوجدها في رغبة الخاتون الترنجان أم أنوشروان وذلك سنة (٤٥٠ هـ /١٠٥٨م) عندما خلع إبراهيم ينال طاعة أخيه لأمه ـ السلطان طغرلبك ـ وتحالف مع أرسلان البساسيري واتجه إبراهيم ينال إلى همذان وحاصر بها طغرلبك الذي ترك بقية جيشه مع الترنجان خاتون والوزير عميد الملك وإبنها أنو شروان ووردت الأنباء أن طغرلبك ُقتل فأرادت نقل السلطة لإبنها أنو بالتحالف مع الوزير عميدالملك لكن ذلك لم يتم لسببين:

الأول: رفض الخليفة العباسي القبول بسلطنة أنوشروان لإن السلطنة – حسب رأيه – لا تكون إلا في السلجوقية .

الثاني: ورود أنباء جديدة تفيد بأن طغرلبك ما زال على قيد الحياة ؛ مما أجبر الترنجان على التراجع ومهاجمة الوزيرعميد الملك وإبنها أنوشروان وإعتقاله، إ ضافة إلى إنقلاب كفة الحرب لصالح السلطان طغرلبك نيتجة مساندة أبناء شقيقه جغربك داؤد،

كلّ ذلك غيّر الموقف لصالح طغرلبك وأفشل مخطط الترنجان خاتون والوزير عميد الملك الكندري(٢).

وهذا التحالف الذي اشترك فيه عميد الملك الكندري ينم عن رغبة أكيدة في زيادة الصلاحيات والطموح في لعب دور أكبر في الحياة السياسية ليجد له أرضية خصبة تسمح له بالتفرد في السلطة.

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٨-١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٧-٧٩، الحسيني، أخبارالدولة السلجوقية، ص٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠-٢٦، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٦٥-١٨٤، منجم باشي، جامع الدول ص٢٢-٢٣.

(٢) للمزيد حول ذلك انظر: في العنوان التالي دور الخواتين في ولاية العهد ص١٠٧- ١٢٣.

أما المحاولة الثانية للوزير عميد الملك الكندري فتتمثل بتحالفه مع أم سليمان ـ أرملة جغربك داؤد ـ والتي تزوجها السلطان طغرلبك بعد وفاة زوجها جغربك داؤد سنة (٤٥١ هـ /١٠٥٩م) ومما يجدر ذكره ان أم سليمان قد سعت لتعيين ابنها سليمان ولياً للعهد (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م) على الرغم من صغر سنه، وذلك لإدراكها لمسألة عقم زوجها طغرلبك، وبالتالي كانت تريد ضمان انتقال السلطة لإبنها على الرغم من أنّ عامل السن يقف عائقاً في طريق تعيينه، ولعل هذا العامل كان يُعدّ أيضاً محفّزاً لعميد الملك الكندري، لأن يفكر في مستقبله السياسي في ظل سلطان عقيم كبير السن وقد نححجت مساعي كل من عميد الملك الكندري، وخاتون أم سليمان في ضمان حق ابنها سليمان في السلطة، إذ نص عليه السلطان عندما احتضر قُبيل وفاته(١).

وكان هذا التعيين لسليمان بن جغربك داؤد مشروطاً بالاستنارة بآراء الوزير عميد الملك الكندري وتوجيهاته(٢) فقد تلاقت مصلحة عميد الملك الكندري ليستبد بالسلطة فولي العهد صغير السن تنقصه الخبرة والدراية خاصة أن تعيين سليمان ولياً للعهد يعني أنه سوف يتولى عرش السلطنة قريباً لأنه جاء ولياً للعهد في فترة مرض السلطان طغرلبك (٤٣٢ ـ ٤٥٥ هـ /١٠٤٠- ١٠٦٣م) الأخير.

ـ دور عميد الملك الكندري في نقل السلطة لسليمان بن داؤد جغربك:

لعب الوزير عميد الملك الكندري دوراً كبيراً في محاولة نقل السلطة لسليمان بن جغربك داود بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة (٤٥٥ هـ /١٠٦٣م) وأخذ العهد له واستند عميد الملك الكندري في هذا الدور على المكانة التي يتمتع بها منذ عهد السلطان طغرلبك، فعند وفاة السلطان طغرلبك كان عميد الملك الكندري يحاصر قتلمش بن أرسلان في قلعة كردكوه وعندما وصله خبرالوفاة رجع إلى الري(٣) ليحضر إعلان الوفاة التي لم تعلن إلا عندما حضر عميد الملك الكندري؛ مما يدلل على أن هناك من كان ينظّم ويدير الأمور إلى حين رجوع عميد الملك الكندري ويمكن القول أن أم سليمان زوجة طغرلبك هي من يتولى ذلك استناداً على رواية الصابئ التي

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢١-٢٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٩ البنداري، دولة آل سلجوق ص٢٧-٢٩.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦، كرماني، ناصر الدين(ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) نسائم الاسحار في لطائم الأخبار، تحقيق مير جلال الدين حسيني، طهران، د.ت، ص٤٨-٤٩، وسيشار اليه لاحقاً هكذا كرماني، نسائم الاسحار، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٣، ص٢٦.

أوردها عند وفاة طغرلبك حيث قال: (... عندما توفى السلطان طغرلبك كان عميد الملك يحاصر قتلمش في قلعة كردكوه فأرسلوا إليه، وأقام الناس يوم السبت وهم يظنون أنه في عافية. والأموال على حالها والطبل يضرب على عادته(١).

وبالتالي بقيت المراسم كما هي دون أن يتغير بها شيء، حتى لا يعرف أحد بوفاة السلطان طغرلبك إدراكاً من عميد الملك الكندري وأم سليمان خاتون وحلفائهم في إدارة الدولة والجيش، أنّ إعلان وفاة السلطان طغرلبك سوف يحرّك الإتجاه المعارض ضد تولي ولي العهد سليمان بن جغربك داؤد السلطنة، وهو صغير السن، لذلك لا بد من أجراء ترتيبات سريعة لضمان انتقال السلطة لولي العهد سليمان في ظل وجود منافس قوي مثل ألب أرسلان بن جغربك داؤد ابن أخ السلطان طغرلبك وعندما عاد عميد الملك الكندري إلى الري، بدأ بإجراءات نقل السلطة لولي العهد سليمان بن جغربك داؤد، فقد وظّف المال لحشد الإتباع، ودعم موقف سليمان فاستخرج من القلعة ما يقدر بسبعمائة ألف دينار وستة عشر ألف ثوب من الديباج وسلاحاً ففرقها على العسكر والأتباع ليضمن وقوفهم إلى جانب سليمان بن داؤد(٢). وتسلمه عرش السلطنة وما يعينيه ذلك لعميد الملك الكندري وأتباعه من تعاظم في النفوذ والمكانة استناداً لما ذكره سبط ابن الجوزي: (... فجمع عميد الملك العسكر وقال لهم: أنتم تعلمون أني و إياكم عند ذلك السلطان وقد مضى لسبيله، وكان قد عهد إليّ وإياكم في معنى ولد أخيه وأنا قانع بثوب ألبسه وفرس وأركبه وأعيش فيما بينكم، فإن ساعدتموني فعلت معكم مايوفي على أعمالكم وأمالكم)(٣).

يتبين لنا من هذه الرواية أمران:

الأول: أنّ عميد الملك الكندري ألتقى بالجيش وأمرائه لإدراكه لأهميتهم في ترجيح كفّة سليمان ابن جغربك داؤد، فذكّرهم بولائهم للسلطان طغرلبك عم سليمان وأنه عهد له بالسلطنة بعده بحضورهم، فعميد الملك طلب من العسكر الوفاء بالتزامهم لسليمان وأظهر نفسه بمظهر الزاهد في السلطة، وهذا ينم عن براعة سياسية وحنكة في الخطاب الموجه إلى العسكر.

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦، نقلاً عن عيوان التواريخ للصابئ.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦.
(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦.

الثاني: قطع عميد الملك الكندري على نفسه وعداً لأمراء الجيش والعسكر ينم عن ثقة عميد الملك المطلقة باتساع نفوذه وبإدارته لشؤون الدولة مما سيمكنه من الوفاء بالتزاماته تجاه الجيش وأمرائه، وكأن الأمر أصبح بمثابة اتفاقية بين عميد الملك الكندري وأم سليمان زوجة طغرلبك والعسكر.

وبعد أن أخذ عميد الملك الكندري العهد والأيمان لسليمان بن جغربك داؤد اعلن رسمياً وفاة السلطان طغربك، وسار باتجاه الري ودخل دار السلطنة وأجلس سليمان بن جغربك داؤد على كرسي السلطنة(١).

وبدأ بمكاتبة ألب أرسلان بن داؤد جغربك الأخ غير الشقيق لسليمان فبعث إليه كتاباً يقول فيه (... قد عرفت ما كان من وصية السلطان في معنى الأمير سليمان وهو منك وإليك وبضعة من جسمك، فإن طمحت إلى البلاد فقد إنحل من الأعمال ما يوازي هذه البلاد مثل خوارزم ونيسابور وغيرها فهو لك، وإن كنت تريد الملك فنحن نبعث من هذه القلعة ما ترضى به ونقيم الدعوة لك بعد سليمان، وتجتمع الكلمة، وتكون الدعوتين واحدة، والبلاد محروسة والدماء محقونة، وإن أبيت وحاولت غير ما رتبه السلطان فقد أعذرنا ونحن نقصدك قبل أن تقصدنا ويحكم الله بيننا وبينك)(٢) يظهر من الكتاب الذي وجهه عميد الملك الكندري إلى ألب أرسلان أن عميد الملك وصل إلى حد أصبح يعرض على ألب أرسلان تقسيم المناطق بينه وبين سليمان ويعرض عليه أن يعيّن ألب أرسلان نائباً للسلطان سليمان بن جغربك داؤد، وهدد ألب أرسلان بأنه في حال رفضه هذه المبادرة فالسيف هو الحكم بينهم(٣).

هذه المكانة التي وصل إليها الوزير عميد الملك الكندري من الناحية السياسية كصاحب نفوذ قوي داخل الدولة السلجوقية لا يريد الوقوع بين ألب أرسلان بن جغربك داؤد، وقتلمش بن أرسلان وله أنصاره ومؤيده مدعوماً بتحالفه مع أم سليمان أرملة جغربك داؤد وزوجة طغرلبك، ومن ناحية المكانة العسكرية له مكانته بين الجند وأمراء الجيش لذلك خاطب ألب أرسلان بتلك الطريقة التي تجعله وصيّاً على الدولة السلجوقية وسلاطينها.

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ١٦٥، ص٨٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص٢٠٥-٢٠٦، الكرماني، نسائم الاسحار، ص٤٨-٤٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٢٠٦.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٢٠٦.

أما ألب أرسلان فقد قرر التوجه من خراسان إلى الري وتحرك سليمان بن جغربك داؤد إلى شيراز(١) . وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك تحولاً طرأ على موقف ألب أرسلان تمثل بأنضمام كل من الأمير ياغي سيان والأمير أردم أمراء الجيش في عهد طغرلبك حيث رفض هذان الأميران البقاء مع جيش سليمان بن داؤد(٢) وأعلن أردم الحاجب رفضه القبول بتعيين سليمان وليا ًللعهد قائلاً: (ما أخدم أحدُ بعدك، وأمضى إلى ألب أرسلان أبن أخيك داؤد وأنزل عليه)(٣).

كان لهذا التحول أثره على موقف ألب أرسلان وتدعيمه مقابل موقف تحالف عميد الملك وسليمان بن جغربك داؤد الذي لم يصمد أمام إنضمام الأمراء العسكريين إلى ألب أرسلان فاستطاع حسم الموقف لصالحه مما أجبرعميد الملك الكندري على إقامة الخطبة له بالري ولسليمان بن جغربك داؤد بعده(٤). وهكذا ألت السلطنة إلى ألب أرسلان بن داؤد بن جغربك سنة (٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣).

واجه السلطان ألب أرسلان بن جغربك داؤد بعد أن تولى عرش السلطنة عصياناً قاده قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق جد ملوك الروم من السلاجقة(٥)، كان قتلمش قد ثار قُبيل وفاة السلطان طغرلبك معترضاً على تعيين سليمان بن داؤد ولياً للعهد سنة (٤٥٥ هـ /١٠٦٣)(٦).

فانبرى له عميد الملك الكندري فحاصره في قلعة كردكوه(٧). وهذه الرواية إنفرد في ذكرها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حيث أورد أن قتلمش ثار عند تعيين سليمان بن داؤد ولياً للعهد سنة (٤٥٥ هـ /١٠٦٣) وذكر سبط ابن الجوزي المفاوضات التي دارت بين عميد الملك الكندري وقتلمش أثناء محاصرته له وقد تضمنت هذه المفاوضات ما طلبه قتلمش لعقد مصالحه والعودة عن عصيانه وهذه المطالبات هي:

١- أن يمنحه السلطان طغرلبك الأمان ويحلف على ذلك.

٢- عدم متابعة قتلمش بسبب تمرده.

---

(١) شيراز: بالكسر وأخره زاي، بلد عظيم، وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٣، ص٢٠٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل،ج١٠ن ص٢٩، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان ص٢٠٦-٢٠٧، كرماني، نسائم الأسحار، ص٤٨-٤٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٥) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٣١.

(٦) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٨.

(٧) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٨.

٣- أن يفرد بولاية جليلة .

٤- أن يوافق السلطان على طلبه الزواج من أخت الأمير سليمان بن خغربك داؤد[١].

هذه الاقتراحات التي تقدم بما قتلمش تبين أن سبب عصيانه كان تعيين سليمان ولياً للعهد، ودليل ذلك مطالبته بالزواج بأخت سليمان حتى يرتبط بسليمان برابط المصاهرة فتقوى الصلة أكثر إلى جانب مطالبته أن يُمنح ولاية جديدة، فكان رد عميد الملك الكندري الموافقة على ما طلبة قتلمش من إسرائيل باستثناء تزويجه بأخت الأمير سليمان بن جغربك داؤد، وأن يحلف له السلطان على الطلاق وهذه المفاوضات لم يتم أخبار السلطان طغرلبك بها(٢)، ربما لسوء حالة السلطان الصحية ولأن تعيين الأمير سليمان بن جغربك داؤد ولياً للعهد كان في فترة مرض السلطان طغرلبك الأخير الذي مات فيه، وأنّ إخبار السلطان طغرلبك بموقف قتلمش قد يجعل السلطان يتراجع عن موقفه من تعين سليمان ويؤكد عدم أحقيته بولاية العهد خاصة أن مطالبة قتلمش بن إسرائيل الذي يمثل أسرة أرسلان بن سلجوق في محاولة للفت الأنظارإليهم بعد لإقصائهم وتهميشهم.

ورغم أن سبط ابن الجوزي انفرد في ذكر هذه الرواية عن عصيان قتلمش أنه حدث في حياة السلطان طغرلبك بينما بقية المصادر الأخرى(٣) تذكر أن قتلمش ثار بعد وفاة السلطان طغرلبك، وهذا يعني أنه ثار طالباً السلطنة لنفسه دون أن تُبيّن هذه المصادر خروج قتلمش في عهد السلطان طغرلبك والمفاوضات التي جرت بين قتلمش وعميد الملك الكندري، وهنا يمكن القول أنّ الفرق هو أنّ خروجه في عهد طغرلبك يعني مطالبته بحقه في ولاية العهد واعتراضه على تعيين سليمان بن داؤد ولياً للعهد، بينما خروجه بعد وفاة السلطان طغرلبك يعني مطالبته أن يصبح سلطاناً وأنه أحق أحفاد سلجوق في تولي عرش السلطنة.

فخرج السلطان ألب أرسلان للقائه وأخذ معه كبار الأمراء والقادة فكانت النتيجة القضاء على عصيان قتلمش وكان هذا النصر الأول لألب أرسلان بعد أن إعلان الخطبة له في الري.

---

[١] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٨.

[٢] سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٨.

[٣] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣١، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص ٣٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠-٣١.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر رغم اختلافها في الفترة التي خرج فيها قتلمش إلا أنها اتفقت في أنّ القضاء عليه كان على يد ألب أرسلان قبل إستقراره الرسمي في منصب السلطنة وأنه ـ أي ألب أرسلان ـ هو من تولى بنفسه القضاء على عصيانه وثورته(١).

بعد أن تخلص ألب أرسلان من قتلمش بن إسرائيل أرسل في طلب عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك فخلع عليه وعيّنه وزيراً له سنة (٤٥٦ هـ /١٠٦٤م)(٢).

ويبدو أن هذا التعيين كان له أهدافه عند ألب أرسلان، فقد سبق أن تم بيان ما قام به عميد الملك تجاه السلطان ألب أرسلان من تهديد ووعيد في أثناء محاولات عميد الملك الكندري تثبيت سليمان ابن جغربك داؤد سلطاناً للسلاجقة لكنها السياسة التي تستند على المصلحة بالنسبة لألب أرسلان فيمكن التنبؤ بأن ألب أرسلان أتخذه وزيراً لعدة أمور منها:

١- المكانة والشعبية التي يتمتع بها عميد الملك الكندري عند أمراء الجيش والعسكر وكذلك بين الرعية(٣)؛ فرغم أن ألب أرسلان استطاع حسم الأمور لصالحه إلا أنه لا يريد أن يثير أحداً ضده حتى يثبت أركانه.

٢- الخبرة التي امتاز بها عميد الملك الكندري إذ عمل وزيراً للسلطان طغرلبك ما يقرب من عشرين عاماً خاصة أن هذه الخدمة كانت في مرحلة تأسيس الدولة.

فلذلك اتخذه وزيراً لكنه لم يسلم من وشاية نظام الملك الطوسي وزير السلطان ألب أرسلان منذ أن كان أميراً خراسان الذي شحذ قلب السلطان ألب أرسلان على عميد الملك وأذكى في نفس السلطان ذكريات عميد الملك ودفاعه عن سليمان بن جغربك داؤد فكانت النتيجة أن أمر السلطان ألب أرسلان باعتقال عميد الملك الكندري سنة (٤٥٦ هـ /١٠٦٤م) وبعث به إلى مرو الروذ فأمضى سنة في معتقله ثم أمر بقتله فقتل وعيّن السلطان نظام الملك الطوسي وزيراً مكانة(٤).

دور الوزراء في ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان:

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣١، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٣٦-٣٧، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٢٣-٢٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١-٣٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٩، منجم باشي، جامع الدول ص٢٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦، الكرماني ، نسائم الأسحار، ص٤٨-٤٩.

(٤) الأصفهاني، جريدة العصر، ج ٩، ص٤٢، ابن الجوزي، المنتظم ج١٦، ص٩٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٢٥ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص٢٢٦، ٢٣٠، اليزدي ، العراضة ، ٤٨-٤٩ ، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٨.

إقترن حكم السلطان ألب أرسلان (٤٥٥- ٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) بالوزير نظام الملك الطوسي (٤١٠-٤٨٥ هـ /١٠١٩-١٠٩٢م) الذي إلتحق بخدمة السلاجقة في فترة مبكرة قبل أن يتولى ألب أرسلان السلطنة حيث عمل في خدمة والده داؤد بن ميكائيل بن سلجوق الذي رأى فيه مربياً نافعاً لابنه ألب أرسلان، فظل في خدمته مدة عشر سنين(١) وهذا مما يميز نظام الملك أنه عمل وزير للسلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) وابنه السلطان ملكشاه من بعده (٤٦٥- ٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) وقد أكسب هذا الأمر نظام الملك الخبرة والمكانة التي سهلت عليه إدارة شؤون الدولة وتصريف أعمالها.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحديث عن دور نظام الملك الطوسي في ولاية العهد يحتم على الباحث من الأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

أولاً: أنّ نظام الملك كان وزيراً لألب أرسلان منذ أن كان أميراً على خراسان، وكان إلى جانبه في صراعه مع أخيه سليمان ووزيره عميد الملك الكندري(٢). وبالتالي كان شاهداً على الطريقة التي وصل بها ألب أسلان إلى السلطنة .

ثانياً: أنّ السلطان ألب أرسلان عهد لابنه ملكشاه بولاية العهد في فترة مبكرة من حكمه سنة (٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) وكان قد هيأ لهد التعيين مخططاً يضمن نجاحه واستقراره(٣).

فمما يفيدنا في الاعتبار الأول أن ألب أرسلان لا يريد تكرار ما حدث معه حتى وصل إلى السلطنة، فسعى في سبيل ذلك إلى تعيين ابنه ملكشاه ولا يمكن تصور أن ألب أرسلان يقدم على عمل كهذا دون تمهيد له ، وبدأ ذلك بتدريبه عسكريا وتأهيله لقيادة الحملات ، ونفذ ذلك في خروج ملكشاه في حملة عكسرية برفقة وزيره نظام الملك الذي راق له ذلك ليضمن استقرار نفوذه وسطوته.

---

(١) هو نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، وزر للسلطانين آلب أرسلان وملكشاه، عَمل وزيراً ما يقارب الأربعين سنة قتل سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م أنظر المزيد. البيهقي، علي بن زيد (ت٥٦٥هـ/١١٦٨م) ، تاريخ بيهق، ترجمة يوسف الهادي ، ص١٨٤، دار إقرأ، دمشق ،٢٠٠٤م، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، البيهقي ، تاريخ بيهق، الأصفهاني، جريدة العصر، ج ٢ ص٤، ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٣٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٤، ابن خلكان وفيات الاعيان، مجلد٢، ص١٢٨-١٣١، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٣-٥٤ عبد الهادي محبوبة، نظام الملك، دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله خلال استيزاره، ص٢٣٣-٣٣٨، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٩٩١م، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، محبوبة، نظام الملك.

(٢) البيهقي، تاريخ بيهق، ص١٨٤، الأصفهاني، جريدة العصر،ج٢، ص٤٢،ابن الجوزي،المنتظم، ج١٦، ص٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ص٢٠٥-٢٠٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٣.

أما الاعتبار الثاني فيمكن أن نستنتج منه أن ألب أرسلان رسم مخحططاً لتعيين ولي العهد في فترة مبكرة(١) حتى يستطيع القضاء على العقبات التي قد تظهر في أثناء حياته أو بعد مماته وقد تؤثر على نجاح تولية ملكشاه، فنجده يأخذ العهود والمواثيق على أمراء دولته بأن ابنه ملكشاه ولي عهده والسلطان من بعده وأمر بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها، وقام بتوزيع الإقطاعات(٢).

وقد تمثل مشروع السلطان ألب أرسلان (٤٥٦-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) في تعيين ابنه ملكشاه ولياً للعهد بإرساله في الحملات العسكرية المتجهة إلى بلاد الكرج (جورجيا) والروم برفقة الوزير نظام الملك الطوسي ليفتح المدن ويحصّن الثغور(٣) وكان الهدف من وراء ذلك أمرين:

الأول: أن يقترن ذكر اسم ملكشاه بفتح الحصون والثغور فيعود عليه ذلك بالشهرة والمكانة العالية كمجاهد في سبيل الله و أن يكون مقرباً من القوات العسكرية ، فإذا ما طرح اسمه ولياً للعهد تكون فرصته للقبول أكثر لدى الجيش وهذه مهمة السلطان الأولى.

الثاني: تدريب ملكشاه من خلال إرساله في الحملات العسكرية(٤) فتكون لديه الدراية الكافية والخبرة في إدارة الدولة خاصة وأن السلاطين السلاجقة الذين سبقوه كانوا منصرفين إلى الأعمال العسكرية والفتوحات.

أما بقية مشروع السلطان ألب أرسلان في تولية ابنه ملكشاه ولاية العهد فتتضح معالمها في قيام السلطان ألب أرسلان بإقطاع ما زندران للأمير إينانج بيغو، ومدينة بلخ لأخيه سليمان بن جغربك داؤد ولي عهد السلطان طغرلبك والذي نافس ألب أرسلان على عرش السلطنة، وأقطع خوارزم لأخيه أرسلان أرغون، وأقطع ابنه أرسلان شاه، وأقطع أبنه الآخر إلياس مدينة صَغانيان، ومدينة طَخار ستان وأقطع ولاية بغشور لمسعود بن أرتاش وكرمان لإبن أخيه قاورد بك(٥).

هذا التقسيم الذي قام به السلطان ألب أرسلان ترافق مع أخذ العهد لابنه ملكشاه ولياً للعهد، وهذا يؤكد أن هذا التقسيم كان الهدف منه استرضاء الأطراف التي قد تعارض تعيين ملكشاه ولياً

---

(١) منجم باشي، جامع الدول، ص٣٣.
(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٤٠-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي جامع الدول، ص٣٣.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨-٣٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٣١.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٨٣-٣٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٣١.
(٥) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣١-٣٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٣.

العهد وهو بهذا المشروع ينطلق من الإرث الغزي عند السلاجقة القائم على الإقطاع باعتبار أن الأراضي المفتوحة هي غنيمة يقسّمونها فيما بينهم(١).

كلّ هذه الإجراءات التي قام بها السلطان ألب أرسلان (٤٥٦-٤٦٥ هـ /١٠٦٣- ١٠٧٢م) أدت إلى وصول ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م) إلى عرش السلطنة بعد وفاته على أن هذا لا يعني أنّ وصوله تم دون معارضة فقد ثار ضد عمه قاورد بك بن جغربك داؤد لكن السلطان ملكشاه تمكن من الإنتصار عليه بمعونة كل من شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي وبهاء الدولة منصور بن دبيس الأسدي وتخلص منه بخنقه وأقطع أولاده كرمان وأقطع العرب والأكراد الإقطاعات مكافئة لهم على وقوفهم إلى جانبه في حربه ضد عمه قاورد بك(٢) وسيتم الحديث بتفاصيل أكثر عن ذلك في الفصل الخامس من هذه الدراسة.

وقد لعب نظام الملك الطوسي دوراً بارزاً في محاولة إحتواء قارود بن جغربك داؤد ومنعه من الثورة من خلال إرسال كتب تتضمن نصائح ومواعظ لعل قاورد يتعض بها ولا يثور لكن دون فائدة(٣) وهذا الدور هو جزء من الدور السياسي الكبير الذي لعبه الوزير نظام الملك الطوسي في ولاية العهد خاصة أن نظام الملك كان وزيراً للسلطان ألب أرسلان قبيل أن يتولى السلطنة منذ أن كان أميراً على خراسان(٤) ثم وزر له بعد أن أصبح سلطاناً لذلك نجد أن دور نظام الملك السياسي فيما يخص ولاية العهد قد بدأ منذ أن وزر لألب أرسلان فكان بمثابة المستشار السياسي له، وكذلك لعب دوراً هاماً في إرساء مخطط ولاية العهد لملكشاه وبالتالي أصبح ملكشاه نتيجة لذلك سلطاناً بعد توليه العهد سنة (٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) وهو ولي العهد الأوحد الذي أصبح سلطاناً بعد أن كان ولياً للعهد وهذا يعني إضافة للظروف التي حدثت إبان تولية ملكشاه عرش السلطنة سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م) نجاح المخطط الذي ساهم نظام الملك الطوسي في إرساءه استناداً لرواية ابن الجوزي (... وكان ذلك من فعل نظام الملك وترتيبه ورأيه) (٥).

---

(١) انظر تفاصيل ذلك ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص٢٨٣، الراوندي، راحة الصدور، ص١٦٧-١٦٨الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٨-٩، ص١٧، منجم باشي، جامع الدول ص١١-١٣.

(٢)ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص١٤٥- ١٤٦، الراوندي راحة الصدور، ص١٩٨-٢٠٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٥-٥٨، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٧٧-٧٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٤١.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم ج١٦، ص٨٦ ،الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٧، الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١، منجم باشي جامع الدول، ص٢٨.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٢٣.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحديث عن دور الوزراء في ولاية العهد يجب أن لا يقتصر على الأعمال التي قام بها الوزير في سبيل وصول ولي العهد إلى منصبه ـ ولاية العهد ـ، ومن ثم والوصول إلى الغاية من ولاية العهد وهي (السلطنة)، وإنما ينبغي النظر إلى المصالح والفوائد المتحققة للوزير من قيامه بذلك وهذا ينطبق بشكل خاص على نظام الملك الطوسي الذي منحه السلطان ملكشاه تفويضاً بإدارة جميع شؤون الدولة وخاطبه (بالوالد) (قد رددت إليك الأمور كبيرها وصغيرها، وقليلها وكثيرها، وما مني اعتراض عليك، ولا رد لما يكون منك وانت الوالد)، وحلف له ولقبه: أتابك أي الأمير الوالد(١). وبدأ بعدها نظام الملك يدير الدولة وما يعني هذا من الصلاحيات المطلقة والإستبداد بالسلطة الذي وصل إليه نظام الملك الطوسي وهو الذي لم يبلغه وزير قبله ولا بعده.

فقد تعاظم نفوذ نظام الملك الطوسي لدرجة أنه أصبح يتدخل في تعيين وزراء الخليفة العباسي في بغداد وعزلهم، فقد راسل الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧ هـ /١٠٧٥-١٠٩٤م) في عزل عميد الدولة بن جهيرعن منصب الوزراء فتم عزله ثم راسل الخليفة في إعادته بعد أن رضي عن عميد الدولة بن جهيروالذي تزوج بإبنة بنت نظام الملك فتم ذلك وأعيد عميد الدولة إلى الوزارة سنة (٤٧١ هـ /١٠٧٨م) ومما يدل على تعاظم نفوذ الملك الطوسي الخلاف الذي نشب بينه وبين السلطان ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) والذي تضافرت عدة عوامل في حدوثه؛ منها تعاظم نفوذه وصلاحياته، كذلك التحالف الذي قادته خاتون زوجة ملكشاه والوزير تاج الملك(٢).

فأدى في النهاية إلى تأزيم الموقف بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك مما أدى إلى أن تكون النتيجة مقتله سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م)(٣) والمتأمل في الرسالتين اللتين تم تبادلهما بين السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك الطوسي يكتشف مدى النفوذ الذي وصل إليه نظام الملك؛ فقد أرسل السلطان إلى نظام الملك رسالة شديدة اللهجة قال فيها: (أنك استوليت على ملكي وقسّمت مما لكي على أولادك وأصهارك ومماليكك كأنك شريكي في الملك أتريد أن آمر برفع دوارة الوزارة من بين يديك وأخلص الناس من استطالتك)(٤).

---

(١) البيهقي، تاريخ بيهق، ص١٨٤ ،ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٨٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٤١-٤٢.
(٢) البيهقي، تاريخ بيهق، ص١٨٤، الأصفهاني، جريدة العصر، ج٢، ص٧٧، ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩،.
(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧-٧٠، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٢٠٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٣-٥٥، محبوبة، نظام الملك، ص٥٤٩.
(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،

فهذه الرسالة الواردة من السلطان تؤكد وصول العلاقة بين السلطان ملكشاه ووزيره إلى طريق مسدود نتيجة لمساعي ودسائس أتت ثمارها بهذه الرسالة التي حملت طابع التهديد فكان رد نظام الملك على هذه الرسالة تأكيد بوصول العلاقة إلى طريق مسدود لا يمكن الوصول بعده إلى انفراج حيث كان رده على رسالة السلطان(قل لمولانا السلطان خلد الله أيامك كأنك اليوم عرفت أني مساهمك وفي الدولة مقاسمك فأعلم أن دواتي مقرونه بتاجك متى رفعتها رُفع ومتى سلبتها سُلب)(١).ولم تطل بعدها بقاؤه على قيد الحياة؛ فقد طعنه غلام

نزاري أثناء سفره خلف السلطان من أصفهان إلى بغداد، فقد نزل بقرية من قرى نهاوند فجاءه غلام ديلمي وطعنه فمات بتلك الطعنة(٢). وكان عمره عند مقتله ستا وسبعين سنة (٤٠٩-٤٨٥ هـ /١٠١٨-١٠٩٢م). ونتيجة لإرتباط مقتل نظام الملك بموقفه من ولاية العهد ولا بد من الإشارة إلى أنّ نظام الملك لم يعارض ملكشاه في تعيينه لأولياء العهد السابقين لأبنه محمود وهما ابنيه داؤد بن ملشكاه (ت٤٧٤هـ /١٠٨١م)(٣) وأحمد بن ملكشاه عينه وليا للعهد سنة (٤٨٩ هـ /١٠٨٧م)(٤) لأن السلطان ملكشاه كان قد عيّن كُلٌّ واحد منهما بإعتباره الأكبر سناً في تلك الفترة، فكان تأييد نظام الملك نابعاً من كونه يريد إرساء قاعدة تتضمن أن يكون ولي العهد أكبر أبناء السلطان الذكور سناً لذلك عارض تعيين محمود بن ملشكاه المولود سنة (٤٨١ هـ /١٠٨٧م) ولياً للعهد ودعم تعيين ابنه بركيارق بن ملشكاه (٤٧١-٤٩٨ هـ /١٠٧٨-١١٠٤م) من زوجته زبيدة خاتون بنت الأمير ياقوتي بن جغربك داؤد(٥) فالوزير نظام الملك الطوسي (٤٠٩-٤٨٥ هـ /١٠١٨-١٠٩٢م) لعب دوراً بارزاً في وصول ملكشاه بن ألب أرسلان ولياً للعهد سنة (٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) ثم سلطاناً بعد مقتل والده ألب أرسلان بن جغري بك داؤد سنة (٤٦٥ هـ /١٠٧٢م)، لكن هذا الدور الذي مارسه كان سبباً من أسباب القضاء عليه فيما بعد من قبل السلطان ملكشاه بن

ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٥-٥٦، محبوبة، نظام الملك، ص٥٦٢-٥٦٣.

(١) الراوندي، راحة الصدور ص٢٠٨، الحسيني أخبار الدولة السلجوقية ص٧٠، الأثير، الكامل، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٦، محبوبة، نظام الملك ص٥٦٣.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦،ص٢٩٩- ٣٠٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢٠٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٦٤-٦٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٦. إقبال، عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة، د. أحمد حلمي،ط١ ، ١٩٨٠، جامعة الكويت ، الكويت ، ص٧٤، وسيشار إليه لاحقاً هكذا،إ قبال، الوزارة.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٩٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٥.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٥٤، وانظر المزيد، الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٦١- ٦٨.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٨-٢٠٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٥، محبوبة، نظام الملك، ص٥٦٥، عقلة عصام ، المرأة في الإسلام الخواتين السلجوقيات(٤٤٧- ٥١١هـ/ ١٠٥٥- ١١١٧م) انموذجا ،مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، مجلد ٣٤، ملحق ٢٠٠٧م ،ص٧٩٥، وسيشارإليه لاحقا ، هكذا ، عقلة ، المراة في الإسلام .

ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) الذي توفي بعد قضاءه على وزيره نظام الملك الطوسي بفترة بسيطة لا تتجاوز الثلاثون يوماً(١).

دور الوزير تاج الملك أبو الغنائم[٢]:

بدأ تاج الملك حياته السياسية إدارياً في ديوان الرسائل، وكان والده وزيراً، فورث عن والده العمل الإداري، إذ عمل أولاً لدى قطب الدين ساوتكين عندما كان على كرمان وفارس والعراق، ثم قدمه ساوتكين للسلطان ملكشاه فعمل في ديوان السلطان ملكشاه ثم تولى أمر خزانته، ثم تسلم رئاسة ديوان الإنشاء وطغرائه(٣) ووزيراً لزوجته تركان خاتون(٤) التي كانت تريد جعل ابنها محمود بن ملكشاه (٤٨٠هـ /١٠٨٧م) ولياً للعهد وإقصاء ابنه بركيارق (٤٧١- ٤٩٨ هـ /١٠٧٨- ١١٠٤م) الابن الأكبر للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ / ١٠٧٢-١٠٩٢م)

من أبنائه الباقين على قيد الحياة(٥) فوافقها تاج الملك على مشروعها سعياً منه وراء إرتقاء إرتقاء منصب وزارة السلطان ملكشاه وهو ما قامت به تركان خاتون بالفعل فقد رفعت منزلته عند السلطان مقابل الوزير نظام الملك الطوسي الذي كان رافضاً لتعيين محمود ابن تركان خاتون ولياً للعهد، وكان يرجح كفة بركيارق (٤٧١-٤٩٨ هـ /١٠٧٨-١١٠٤م) بدلاً عنه، كون محمود كان لا يزال صغير السن، لا يتجاوز عمره الخمس سنوات.

---

(١) البيهقي، تاريخ بيهق، ص١٨٤،ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٦ الراوندي راحة الصدور، ص٢٠٧، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٦، البنداري دولة آل سلجوق، ص٨٠-٨١ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٠٨.

(٢) هو جمال الدين تاج الملك أبوالغنائم مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي، ولد سنه ٤٣٨هـ/١٠٤٦ م في فارس عاش ما يقارب ثمان وأربعون سنه وقتل سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م على يد غلمان نظام الملك الطوسي ثأراً له، لمساهمة تاج الملك في قتل نظام الملك الطوسي وتولى الوزارة بعده. الأصبهاني، جريدة العصر، ج٢، ص٧٧، ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٩٧.

(٣) إقبال، الوزارة، ص١٤٤-١٤٥.

(٤) تركان خاتون: هي تركان بنت طغراج الملك، من نسل أفراسياب ملك الفرس تزوجها ملكشاه سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤١، ص٢٤٠، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢ م) الوافي بالوافيات، تحقيق، أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٠، ص٢٣٥، وسيشار إليه لاحقاً هكذا الصفدي، الوافي.

(٥) أولاد السلطان ملكشاه هم: بركيارق، محمد، سنجر، محمود وهو أصغرهم سناً، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤.

وبوفاته ظل منصب ولاية العهد شاغراً حتى سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م) على الرغم من وجود أبناء السلطان ملشكاه الأخرين لكن نفوذ تركان خاتون حال دون تعيين أي منهم من أجل فسح المجال أمام ابنها محمود بن ملشكاه فبدأت منذ سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م) ترشح ابنها ولياً للعهد بمساندة(١) وزيرها تاج الملك أبو الغنائم ويكمن السبب في اختيار هذا التوقيت من قبل تركان خاتون ووزيرها تاج الملك أن ابنها محمود بلغ من العمر خمس سنوات وأرادت تعيينه ولياً للعهد حتى تنتقل إليه السلطة بعد والده ملكشاه في حال وفاته، وقد نجحت محاولات تركان خاتون ووزيرها، فقد استشار السلطان ملكشاه وزيره نظام الملك الطوسي في تعيين ابنه محمود فرفض نظام الملك هذه الفكرة وكان يميل إلى ترشيح بركيارق بن ملكشاه(٢).

ويمكن القول أن الدور الذي لعبه الوزير تاج الملك أبو الغنائم في ولاية العهد لمحمود ابن ملشكاه شبيه بالدور الذي لعبه الوزير عميد الملك الكندري في ولاية العهد لسليمان بن جغربك داؤد فعميد الملك الكندري لقي حتفه بوشاية من نظام الملك الطوسي وكذلك نظام الملك لقي حتفه بوشاية من تاج الملك الذي وافق تركان خاتون على مشروعها في تعيين ابنها محمود الذي كان صغير السن (٤٨٠-٤٨٥ هـ /١٠٨٧-١٠٩٢م) فعمره لا يتجاوز الخمس سنوات وكذلك سليمان بن داؤد فقد كان صبياً.

ولقد لعب تاج الملك أبو الغنائم دوراً سياسياً في تعيين محمود بن ملكشاه ولياً للعهد وبدأ هذا الدور من خلال موافقته ووقوفه إلى جانب سيدته تركان خاتون فهو وزيرها وهنا التقت مصلحة الطرفين (تركان خاتون وتاج الملك أبو الغنائم) فتركان تريد ابنها ولياً للعهد ليكون الأحق بترأس السلطنة، وهي بهذا أخذت باعتبارها وجود أخوته أبناء ملكشاه وعلى رأسهم بركيارق كمنافس بارز لابنها محمود، وتاج الملك يريد إزاحة نظام الملك من طريقه كوزير فاق التوقعات بنفوذه وصلاحياته من أجل الوصول إلى منصب الوزارة ، فبدأ المشروع بتعكير صفو العلاقة بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الطوسي(٣)والذي انتهى بقتل نظام الملك الطوسي سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م)(٤) المعارض الأبرز لتعيين محمود بن ملكشاه ولياً العهد فعيّن السلطان مكانه تاج الملك

---

(١) انظر حول دور تركان خاتون الفصل الثالث من هذه الدراسة الذي يتناول دور الخواتين في ولاية العهد ص ١٠٧- ١٢٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٦، الراوندي، راحة الصدر، ص٢٠٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول ص٥٥، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٥٦.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٩ ،الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٩-٧٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٥-٢٠٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٦، محبوبة، نظام الملك، ص٥٦٣.

(٤) الراوندي، راحة الصدور ص٢٠٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٧٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٦، محبوبة، نظام الملك، ص٥٦٥.

أبو الغنائم وزيراً(١) ثم إكتمل مشروع ولاية العهد بوفاة السلطان ملكشاه بعد وزيره نظام الملك بثلاث وثلاثين يوماً فتوفي سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م) مسموما(٢).

فبدأ كل من تركان خاتون ووزيرها تاج الملك أبو الغنائم في أخذ البيعة لمحمود بن ملكشاه وكانت قد كتمت وفاة ملكشاه حتى تتم البيعة لإبنها محمود وأرسلت إلى أصفهان من يقبض على المنافس الأبرز بركيارق بن ملكشاه واسترضت الأمراء وأخذت عليهم العهود لإبنها محمود واستوزرت تاج الملك أبو الغنائم وولت أمور العسكر والجيش إلى الأمير أنر لكن إنتشار خبر وفاة السلطان ملشكاه جعل النظامية يُخرجون بركيارق من سجنه ويخطبون له بأصفهان(٣).

وانهزم عسكر خاتون وقُبض على تاج الملك أبو الغنائم فاستوزره بركيارق لكنه لقي حتفه على يد غلمان النظامية ثأراً لمقتل زعيمهم نظام الملك الطوسي(٤). وبذلك انتهى دور تاج الملك أبي الغنائم في ولاية العهد وهو دور مشابه إلى حد كبير لدور عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرلبك فقد ساند تاج الملك تركان خاتون لدعم ابنها محمود رغم صغر سنه مثلماً دعم عميد الملك خاتون زوجة طغرلبك في دعم تعيين ابنها ولياً للعهد أيضاً رغم صغر سنه، كذلك سعى نظام الملك في قتل عميد الملك فكان قتله ـ أي نظام الملك ـ بوشاية من وزيرآخر هو تاج الملك الذي أراد أخذ مكانه في منصب الوزارة وقد استوزر السلطان ألب أرسلان عميد الملك ثم قتله، كذلك استورز بركيارق تاج الملك لكنه قُتِل على يد أتباع بركيارق من النظامية.

دور الوزراء في ولاية العهد في عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٨ هـ /١٠٩١-١١٠٤م)

وصل السلطان بركيارق بن ملكشاه إلى السلطنة بعد وفاة والده ملكشاه ونازعه فيها أخوه محمود بن ملكشاه بدعم والدته تركان خاتون ووزيرها تاج الملك كما ذكر سابقاً كذلك واجه صراع

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٨، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٥٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣١٣-٣١٤ ، الراوندي، راحة الصدور، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم،ج١٦، ص٣١٣ـ ٣١٤، الراوندي راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٩ ،الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٤-٧٥،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧-٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢-٦٤.

(٤) ابن الجوزي ،المنتظم، ج١٦، ص٢١٠-٢١١، ص٢١٤- ٢١٦، الراوندي، راحة الصدر، ص٢١٧-٢١٨ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، اليزدي، العراضة ، ص٧٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢-٦٣.

عمه تتش بن ألب أرسلان(١) وعمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان فأرضاه بركيارق بخراسان حتى يتخلص من عمه تتش ثم ثار مرة أخرى سنة (٤٨٨ هـ /١٠٩٥م) وظل أرغون يصادر ويقتل ويخرب حتى سنة (٤٩٠ هـ /١٠٩٦م) حين قُتِل(٢)، ومنذ سنة (٤٩٢ هـ /١٠٩٨م) دخل السلطان بركيارق مع أخيه محمد طبر في معارك وحروب حتى سنة (٤٩٧ هـ /١١٠٣م) عام المصالحة بين الأخوة بعد معارك تراوحت بين الربح والخسارة لكلاً الطرفين .

فهذه الحالة من الاضطراب والحروب والمنازعات التي تخللت فترة حكم السلطان بركياق (٤٨٧-٤٩٨ هـ /١٠٩١-١١٠٤م) جعلت مسألة تعيين ولي للعهد أمراً في غاية الصعوبة ويمكن إجمال أبرز الأسباب الكامنة وراء ذلك بـمايلي:

١- عدم الاستقرار السياسي إذ قضى بركيارق مدة حكمه في محاولة تثبيت عرشه وسلطانه.

٢- صغر سن إبنه ملكشاه بن بركياق الذي لم يكن يتجاوز عمره عند وفاة السلطان بركيارق ابن ملكشاه الأربع سنوات فقد ولد سنة (٤٩٤ هـ /١١٠٠م)(٣) وهو الأمر الذي كان عائقا لأغلب السلاطين الذي سبقوه من مثل طغرلبك عندما عهد لسليمان جغري بكل داؤد(٤) ووالده ملكشاه وابنه محمود(٥).

٣- أن السلطان بركيارق كان يواجه ثورات عمه تتش بن ألب أرسلان وعمه الآخر أرسلان أرغون، وأخوه محمد طبر(٦) فلا يمكن أن يعين إبنه ولياً للعهد وهو لا يزال يواجه منافسين له على السلطنة. فهو بنظر الخارجين عليه ليس صاحب الحق في تولي السلطنة.

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١-٢٢٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤.

(٢) البيهقي، تاريخ بيهق، ص٤٨٣، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٣-٢٦٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٧-٦٩.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠. منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٠، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٣٨٨.

(٦) البيهقي، تاريخ بيهق، ص٤٨٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، ص٤٨، ص٥٤، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١، ص٢٢٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩، ٢٢٢، ص٢٦٢-٢٦٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٠-٥٠٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٦، ص٦٧، ص٧٨-٨٢.

- دور الوزراء في ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر(٤٩٨-٥١٣ هـ /١١٠٤-١١١٩م).

تولى السلطان محمد طبر (القاطع) السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة (٤٩٨ هـ /١١٠٤م) الذي عهد بالسلطنة لإبنه ملكشاه بن بركيارق وكان عمره لا يتجاوز الأربع سنوات وثمانية أشهر وعين الأمير إياز أتابكا له وأخذ العهود والمواثيق على الأمراء بطاعة ابنه ومساندته واتجه الأمير إياز والأمير إيلغاري ابن أرتق شحنة بغداد من أجل إقامة الخطبة للسلطان ملكشاه بن بركيارق، فأعلنت الخطبة له سنة (٤٩٨ هـ /١١٠٤م)(١).

أما السلطان محمد طبر (٤٩٨-٥١٣ هـ /١١٠٤-١١١٩م) فقد اتجه إلى بغداد وعندما علم الأمير إياز باقتراب وصوله استشار الأمراء والوزير الصيفي الذي أشار بعكس ما أشار به الأمراء والقادة الذين أشاروا بمقاومة السلطان ومحاربته أما الوزير الصيفي بأشار قائلاً (كلهم أشار بغير الصواب، وإنما الصواب مصالحة السلطان محمد)

فراسل الأمير إياز السلطان محمد وطلب الأمان لملكشاه بن بركيارق والقادة فمنحنهم الأمان باستثناء الأمير ينال الحسامي والأميرصباووا فلم يشملهم عهد الأمان(٢).

وبدخول الأمير إياز، والسلطان ملكشاه بن بركيارق في طاعة السلطان محمد طبر (٤٩٨-٥١٣ هـ /١١٠٤-١١١٩ م) يكون السلطان محمد قد ترأس عرش السلطنة السلجوقية، بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق ابن ملكشاه (٤٨٥-٤٩٨ هـ / ١٠٩٢-١١٠٤)(٣) وقد شهد عهد السلطان محمد طبرأيضاً تحولاً في دور الوزراء الذين تراجع دورهم السياسي قياساً إلى الدور الذي كانوا يمارسونه خلال حكم السلاطين السلاجقة الذين سبقوا السلطان محمد طبر بدءاً بالسلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ / ١٠٤٠-١٠٦٣م) وانتهاءً بالسلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٥-٤٩٨ هـ / ١٠٩٢-١١٠٤م) فقد تقلص دور الوزراء في ولاية العهد منذ عهد السلطان ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢- ١٠٩٢م مقابل تصاعد دور الأمراء العسكريين باستثناء الدور الذي مارسه الوزير

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩٢، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤-٢٣٥، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٨-٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢-٣٨٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٨-٨٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥، اقبال، الوزارة، ص٢٢٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦، إقبال، الوزارة، ص٢٢٨.

أبوالمحاسن سعد الملك سعد بن محمد أبي الذي ساهم في إقناع الأمير إياز أتابك السلطان ملكشاه بركيارق بالدخول في طاعة السلطان محمد طبر(١) عندما كان أبو المحاسن وزيراً للامير إياز، وعند النظر في أسباب هذا التحول الذي طرأ على موقف الوزراء، نجد أن هناك أموراً استجدت ساهمت بشكل كبير في هذا التحول منها:

١- تعدد الوزراء وقصر فترة بقائهم في منصب الوزارة قياساً إلى الفترة، التي كان يبقى فيها الوزراء في منصب الوزارة فقد بقي السلطان محمد طبر في منصب السلطنة ما يقارب ثلاث عشر عاماً (٤٩٨- ٥١١ هـ/ ١١٠٤-١١١٧م) وتقلد منصب الوزارة خلال فترة سلطنته ثلاث وزراء هم(٢):

أ- نصير الدين أبو المحاسن سعد الملك سعد بن محمد أبي (٤٩٨-٥٠٠ هـ /١١٠٤-١١٠٦م) وهذا الوزير كانت تربطة علاقة خاصة بالسلطان محمد طبر فقد كان في معسكر السلطان محمد طبر في المصاف الخامس (الأخير) سنة (٤٩٦ هـ / ١١٠٢م) إضافة إلى أنه عمل بعد أن تصالح السلطان محمد طبر مع أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة (٤٩٧ هـ / ١١٠٣م) مستوفياً للسلطان محمد طبر، ثم عمل في سنة (٤٩٨ هـ /١١٠٤ م) في منصب الصدارة ثم اختاره السلطان محمد طبر أول وزير له بعد ترأسه السلطنة بعد وفاة السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة.

ب- نظام الملك أحمد بن نظام الملك (٥٠٠-٥٠٤ هـ /١١٠٦-١١١٠م)(٣).

ج- عماد الدين أبو منصور ربيب الدولة حسين بن محمد بن حسين الهمذاني(٤).

٢- انعدام التحالف التقليدي الذي كان سائداً من قبل خلال فترة السلاطين السلاجقة السابقين للسلطان محمد طبر (٤٩٨-٥١١ هـ / ١١٠٤-١١١٧م)، فقد جرت العادة أن يكون الوزير مدعوماً من الخاتون زوجة السلطان المحظية، لكن هذا لم يحدث في عهد السلطان محمد طبر بل إن زوجته كوهر خاتون بنت اسماعيل دسّ عليها بعض الوشاة واتهموها عند احتضار السلطان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠،م ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦، إقبال الوزارة، ص٢٢٨.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٣، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٩٠-٩١، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢١٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦، إقبال الوزارة، ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الرواندي، راحة الصدور، ص٢٣٤، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٧٢-٢٧٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٠-٩١، إقبال الوزارة، ص٢٣٥-٢٤٢.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤، اقبال الوزارة، ص٢٤٣.

محمد طبر بالسحر فأمر بحبسها قبيل وفاته فانتهز ذلك بعض الوشاة وسرقوا خاتم السلطان وأظهروا أنه أصدر أمراً بخنقها فخنقت وقت وفاة السلطان محمد طبر(١).

فكان فقد التحالف بين الوزراء والخاتون في عهد السلطان محمد طبر أضعف دور الوزراء في ولاية العهد مقابل تنامي دور الوزراء في ضبط الأخطار الداخلية في الدولة.

وبالتالي يمكن القول أن الدور الذي لعبه الوزراء في ولاية العهد منذ عهد السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ/ ١٠٤٠- ١٠٦٣م) حتى نهاية حكم السلطان ملكشاه (٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) كان مدعوماً بنفوذ الخواتين زوجات السلاطين السلاجقة رغبة منهن في ضمان وصول أحد أبنائهن إلى منصب ولاية العهد، ومن ثم إلى عرش السلطنة، وعندما تعارضت مصلحة أحد طرفي المعادلة (الوزراء والخواتين) كانت النتيجة ضعف دور الوزراء، وقتل الخاتون (كوهر خاتون) وبقاء ولي العهد وحيداً وسط موج متلاطم من القوى السياسية المتنافسة وهو ما حدث في نهاية حكم السلطان محمد طبر، حيث ضعف دور الوزراء وقتلت كوهر خاتون وظل السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وحيداً يواجه قوات عمه السلطان سنجر بن ملكشاه الذي استطاع إحراز النصر على قوات ابن أخيه سنة (٥١٣ هـ / ١١١٩م) وتصالح معه على أنه يكون سنجر نائباً وولي عهده وأن يخطب له بعده(٢)

ثانياً: دور الخواتين في ولاية العهد عند السلاجقة:

مارست المرأة دوراً سياسياً بارزاً في إدارة شؤون الدولة السلجوقية، وجاء هذا الدور بأكثر من صفة باعتبارها والدة السلطان أو زوجته، وهذا الدور مألوف عند السلاجقة؛ فقد كانت المرأة تمارس دوراً في إدارة شؤون القبيلة(٣). ولعل هذا الدور قد تطور مع السلاجقة الذي تحولوا من حياة القبائل إلى الدولة فتطور بذلك دور المرأة من التدخل في إدارة شؤون القبيلة إلى ممارسة الحياة السياسية في ظل الدولة، وبدأت ملامح هذا التدخل تظهر بدءاً من سنة (٤٤٨ هـ /١٠٥٦م) على أكثر من صعيد؛ فعلى صعيد الدولة العباسية برز دور المرأة السجلوقية من خلال

---

(١) البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١٢، منجم باشي، الدول، ص٩٤-٩٥.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١١، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٨٨-٨٤، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٥٧٨، البنداري، دولة آل سلجوق ص١١٢- ١٢٠، منجم باشي، جامع الدول ص٩٤-٩٥، عصام عقله، المرأة والسلطة في الإسلام ص٧٩٩.

(٣) عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٧٩٤، نقلاً عن أكرم، موقجي، زوجات وأمهات تركيات، ترجمة نصرت مروان، ٢٠٠٠م، مجلة ميزو بوتاميا، بغداد، ع ٤-٣.

المصاهرات التي عقدت بين الخلافة والسلاجقة سنة (٤٤٩ هـ /١٠٥٧م) فقد عقد الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧ هـ /١٠٣١-١٠٧٥م) قرانه على خديجة خاتون إبنة جغربك داؤد سنة (٤٤٨ هـ /١٠٥٦)(١) وكان الهدف من هذا الزواج سياسي بحت ودليل ذلك ما أورده الأصفهاني معلقاً على هذا الزواج بقوله (... وقصد بذلك (أي الخليفة) تعظيمه والتبجيل، ولئلا يجد الأعداء بهذه الوصلة إلى قطع سبيل المودة بينهما) (٢) فالخليفة العباسي تنبه إلى إمكانية إعادة هيبة الخلافة من خلال تقوية روابطه مع السلاجقة ووجد خير وسيلة لذلك مصاهرتهم إدراكاً منه لأهمية الخواتين ومكانتهن عند السلاجقة .

وكان تأثير الخواتين على السلاطين السلاجقة أمراً ظاهراً ودليل ذلك قيام الإمبراطور البيزنطي إسحاق كومنيين(٤٤٩-٤٥١ هـ / ١٠٥٧-١٠٥٩م) بمراسلتها (أي خاتون زوجة السلطان طغرلبك) لتتوسط له عند السلطان طغرلبك من أجل عقد هدنة معه سنة (٤٤٩-٤٥١ هـ /١٠٥٧-١٠٥٩م)(٣).

وهذا يدل على أن صدى دور الخواتين في الحياة السياسية عند السلاجقة لم يقتصر على الصعيد المحلي وإنما تجاوز ذلك إلى إدراك الامبراطور البيزنطي لذلك الدور فقرر مراسلتها لتهدئة الأجواء بينه وبين السلطان طغرلبك.

دور الخواتين في ولاية العهد في عند السلطان طغرلبك:

يكتسب الحديث عن دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ /) خصوصية، مرتبطة بكل من السلطان طغرلبك الذي يعد أول سلطان للسلاجقة فهو الذي بنى لهم الدولة على حد تعبير ابن الجوزي(٤) وتنبع خصوصية السلطان طغرلبك من كونه عقيم لا خلف له(٥).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٤، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٧-١٨، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦١٧، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٣، سبط ابن الجوزي مرأة الزمان، ص٣٧، منجم باشي، جامع الدول، ص١٧-١٨، عصام عقلة، المرأة والسلطة في الإسلام، ص٧٩٥ .

(٢) البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٣.

(٣) سبط ابن الجوزي مرآة الزمان، ص٦٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٥٥.

(٥) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٣.

مما يعني عدم وجود وريث للسلطان بعد وفاته، إضافة إلى عدم تعيين السلطان طغرلبك لولي عهده قبل سنة (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م) وهي السنة التي توفي فيها السلطان طغرلبك وهذا جعل التفكير في من يرث العرش أمر لا بد منه.

أما خصوصية الخواتين فنابعه من كون التدخل في تعيين ولي العهد سيكون له ميزة كونه السبيل إلى عرش السلطنة بوقت قصير ينم عن تعاظم دور الخواتين وتزايده بالتوجه في التدخل في تعيين ولي العهد لأن مصلحة الخاتون وسيطرتها مرتبطة بوجود ابنها ولياً للعهد، فالسلطان طغرلبك كان تزوج من الترنجان أم أنو شروان زوجة خوارزم شاه(١) وكانت تطمح ان يكون ابنها أنو شروان ولياً للعهد بل إنها طمحت لأكثر من ذلك سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨) عندما خرج طغرلبك إلى همذان لمحاربة أخوه إبراهيم ينال الذي تحالف مع إرسلان البساسيري طامحاً في السلطنة والملك، ووردت الأخبار بمحاصرة إبراهيم ينال لطغرلبك(٢) فوجدت في ذلك فرصة لتعيين ابنها أنو شروان سلطاناً مستغلة بذلك ضعفت موقف زوجها السلطان طغرلبك (٤٣٢-٤٥٥ هـ /١٠٤٠-١٠٦٣م) أمام خصمه أخوه إبراهيم ينال(٣).

وكان قد تولى أمر تنصيب أنو شروان بن خوارزم شاه سلطاناً الوزير عميد الملك الكندري الذي فرّق على الجند أموالاً من ماله ومال أنو شروان ومال الخاتون الترنجان، إضافة إلى مساعدة الخليفة العباسي لعميد الملك في مشروع نقل السلطة لأنو شروان من خلال إعانته لعميد الملك بالغلال، لكن عدم أهلية وكفاءة أنو شروان أبطلت نجاح المشروع الذي وجد معارضة من رؤساء الترك(٤) . أما ترنجان خاتون والدة أنوشروان فإنها كانت قد ساندت تعيين أبنها أنوشروان بعد الأخبار التي شاعت عن زواج السلطان طغرلبك من ابنة أبي كاليجار(٥) ابن بويه وأن السلطان مال إليها فخشيت الترنجان من زوال نفوذها ومكانتها، فقد كان السلطان يفوّض أمره إليها(٦) وكان سامعاً لها والأمور مردودة إلى عقلها ودينها(٧) وكان لها مكانة خاصة عند

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٦٢، عصام عقلة، المرأة في الإسلام ص٧٩٥.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠-٣١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٤٠-٦٤١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٨-١٩ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٢٢-١١٣، منجم باشي، جامع الدول ص٢١.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠-٣١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٠-٦٤١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٧-١٨ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١١٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢١.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠-٣١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٠-٦٤١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١١٣-١١٤.
(٥) أبو كاليجار:
(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٦٥، عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٧٩٨.
(٧) سبط، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٦٢، عصام عقلة، المرأة في الإسلام ص٧٩٨.

السلطان استطاعت بفضل تأثيرها أن تدير شؤون الدولة(١) لكن قيام حركة المعارضة ضد تعيين ابنها انوشروان سلطاناً جعلها تصرف النظر عن إتمام مشروعها في نقل السلطة، وقد تزامن هذا مع خشيتها من معرفة السلطان طغرلبك بما دبرت مع عميد الملك الكندري وإبنها أنو شروان، لذلك صرفت النظر عن محاولة تعيين إبنها خاصة أن سبط ابن الجوزي يذكر خبراً مفاده وصول الخبر إلى السلطان طغرلبك بما دبرت فأرسل كتاباً إلى الترنجان خاتون يطلب فيه القبض على وزيره عميد الملك الكندري وربيبه أنو شروان لكن ترنجان خاتون أطلعتهما على الكتاب وهيئات لهم سُبل الهرب(٢) وأظهرت بعد ذلك على مرأى ومسمع من حاشية السلطان وعسكره أن عدم لحاقها بالسلطان سببه منعها من قبل عميد الملك الكندري وانوشروان(٣) ثم خرجت الترنجان خاتون نحو زوجها طغرلبك لإنجاده فيمن بقي معها من الجيش يرافقها إبنها أنو شروان الذي عاد من مهربه وسار إلى جانبها صوب طغرلبك بهمذان(٤).

وهكذا أسدل الستار على أولى محاولات الخواتين نقل السلطة وتعيين سلطاناً وهو الهدف المرجو من ولاية العهد أصلاً، وعاد هذا المشروع مجدداً على يد خاتون أخرى هي أم سليمان أرملة جغربك داؤد التي تزوجها طغرلبك بعد وفاة أخوه جغربك داود سنة (٤٥١ هـ /١٠٥٩م)(٥) /١٠٥٩م)(٥) مستغلة عدم وجود ولي للعهد عند السلطان طغرلبك إضافة إلى أن السلطان طغرلبك طغرلبك كان عقيماً، فوجدت في ذلك فرصة مناسبة لاستخدام نفوذها والتأثير على السلطان طغرلبك لتعيين ابنها سليمان بن جغربك داؤد ولياً للعهد خاصة أن أم سليمان كانت تخشى من منافسة ألب أرسلان بن داؤد جغربك أخوه لميل السلطان طغرلبك له وكونه الأبرز من أبناء جغربك داؤد، وفي سنة (٤٥٥ هـ / ١٠٦٣م) مرض السلطان طغرلبك مرضه الذي توفى فيه فمارست أم سليمان تأثيراً كبيراً على السلطان طغرلبك حتى يوصي لأبنها سليمان بن داؤد. الذي كان صغيراً عمره خمس سنين فتم لها ما أرادت وأوصى السلطان بسليمان ولياً لعهده، وأن ينصبوه مكانه إذا توفى، وأن يستنيروا برأي الوزير عميد الملك الكندري وأخذ له العهد على ذلك وجلس سليمان بن داؤد على عرش السلطنة وكان أسرع ولي للعهد يتولى السلطنة لكن تحرك أخوه ألب أسلان ودخول الأمراء ياغي سيان وأردم إلى طاعته جعل كفة الأمور ترجح لصالحه فأضطر

---

(١) أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ الزمان ترجمة اسحاق أرملة، ١٩٨٦، دار الشروق، بيروت، ص١٠٥، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، ابن العبري، تاريخ الزمان، عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٧٩٨.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١١٥.

(٣) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١١٥.

(٤) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٥٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠-٣١، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٤٠-٦٤١، البنداري، دولة آل سلجوق ص١٧-١٨ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١١٥.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦، عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٧٩٥.

الوزير عميد الملك الكندري إلى إعلان الخطبة للسلطان ألب أرسلان بالري ولسليمان، بن داؤد من بعده(١).

دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٣م).

يعد السلطان ألب أرسلان السلطان السلجوقي الوحيد من بين سلاطين السلاجقة الذين سبقوه الذي استطاع تنصيب ولي عهد تمكن من الوصول إلى عرش السلطنة على أن هذا لا يعني أن طريق ملكشاه ما بين ولاية العهد سنة (٤٥٨ هـ /١٠٦٥م) والسلطنة سنة (٤٦٥ هـ /١٠٧٢م) كانت مليئة بالورود وإنما واجه مصاعب تمثلت بثورات وعصيان أفراد آل سلجوق وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة(٢).

ويمكن القول أنه لم يكن هناك دور للخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان ولعل السبب يتمثل بقيام السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) بتعيين إبنه ملكشاه بن ألب أرسلان ولياً للعهد، وإنما برز دورها في إدارة شؤون الدولة ومرافقة السلطان في رحلاته ومعاركه وقد تمتعت بنفوذ كبير عند السلطان فقد كانت صاحبه مكانة عالية عنده حتى أن الوزير نظام الملك وأمراء الجيش كانوا إذا وصلوا مع السلطان في أمر ما إلى طريق مسدود إلتجأوا إليها فتذهب إلى السلطان لتنهي الأمر معه(٣).

ويمكن القول أن انحسار دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م) يمكن إرجاعه إلى سببين رئيسيين:

١- إن السلطان ألب أرسلان عيّن ولياً للعهد له في فترة مبكرة من حكمه سنة (٤٥٨ هـ /١٠٦٥م)(٤) وبالتالي قطع الطريق على كل من يفكر في هذا المنصب، كذلك فقد نجح في مشروعه هذا، حيث تولى ابنه عرش السلطنة بعد وفاته سنة (٤٦٥ هـ /١٠٧٢م)(١).

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨١، الراوندي، راحة الصدور، ص١٨٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٣٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، ٢٠٦-٢٠٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٧، عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٨٠٠.

(٢) أنظر الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص٥٦- ٦١.

(٣) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠ هـ/١٢٦١م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٨م،ج٤، ص١٩٨٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ابن العديم ، بغية الطلب ، عصام عقلة، المرأة في الإسلام، ص٧٩٨-٧٩٩.

(٤) الرواندي، راحة الصدور، ص١٩٣، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٤٠-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٣.

٢- على الرغم من تزوج السلطان ألب أرسلان بأكثر من زوجة فقد تزوج سنة (٤٥٥ هـ /١٠٦٣م) عندما دخل الري زوجة طغرلبك واسمها عكة(٢). ثم تزوج سنة (٤٥٧ هـ /١٠٦٤م) ببنت قدر خان محمود بن مسعود بن سبكتكين بمرو وأرسلها إلى بلخ، وتزوج سنة (٤٥٧ هـ /١٠٦٤م) أيضاً ببنت ملك الأبخاز بقراط بن كيوركي ثم طلقها وتزوجها وزيره نظام الملك الطوسي(٣)، لكن ذلك لم يغير من مكانة زوجته خاتون السفرية التي ظلت الزوجة المحظية وصاحبة المكانة المرموقة عنده إضافة إلى عدم إنجابه من زوجاته المذكورة أعلاه.

- دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٨-١٠٩٢م)

مارست الخواتين دوراً لافتاً في ولاية العهد في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) وتحديداً زوجته الخاتون تركان بنت طمغاج خان الجلالية من سلالة ملوك القراخانين ملوك ما وراء النهر، وأول ما يشير إلى هذا الدور الرسالة التي أرسلها الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧ هـ /١٠٧٥-١٠٩٤م) سنة (٤٧٧ هـ /١٠٨٤م) لتتدخل لدى السلطان ملكشاه لطرد بني جهير من معسكر السلطان(٤).

وعندما تقدم الخليفة المقتدي بأمر الله بطلب الزواج من ابنة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة (٤٧٤ هـ /١٠٨١م)، وقد سعى في ذلك للخليفة المقتدي وزيره فخر الدولة بن جهير الذي خاطب نظام الملك وزير السلطان ملكشاه من اجل مخاطبة تركان خاتون والدة الصبية التي قالت: (قد رغب إلي في هذا ملك غزنة بابنه، وغيره من الملوك وبذل كل واحد أربعمائة ألف دينار فإن أعطاني أمير المؤمنين هذا القدر كان هو أحق منهم) وكان برفقة وزير الخليفة أرسلان خاتون زوجة القائم بأمر الله وبيّنت فضائل الخليفة وما سيصبح لها من الشرف والفصل وأنه من الخطأ طلب المال من الخليفة فقبلت لكنها أي تركان خاتون اشترطت شروطاً تمثلت بما يلي:

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٤-١٤٥، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٤، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٦-٧٧، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٤٧-٤٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠٦١.

(٢) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٢٣.

(٣) البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٣.

(٤) انظر ابن الموصلايا، العلاء بن الحسن بن وهب، أمين الدولة أبو سعد بن أبي علي الكاتب البغدادي، (ت٤٩٧هـ/١١٠٤م)، رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا، دراسة وتحقيق د. عصام مصطفى عبد الهادي عقلة، ط١، ص٢٠٠٣، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ص٤٣٤-٤٣٧، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، عصام عقلة، ابن الموصلايا، عصام عقلة، المرآة في الإسلام ص٧٩٩.

١- دفع مهر معجّل قدره خمسين ألف دينار.

٢- أن تكون الزوجة المحظية عند الخليفة وأن تنفرد في ذلك .

٣- أن تكون إقامة الخليفة عندها(١).

يتضح مما تقدم أن من سبق الخليفة في طلب يد إبنه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٨-١٠٩٢م) كان يتقدم إلى الخاتون التي تفرض شروطاً من مهر، وإقامة وغير ذلك، كما اشترطت على الخليفة، ولكن يمكن ملاحظة نقطة غاية في الأهمية وهي الواردة في الشرط الثاني (أن لا يبقى للخليفة سُرية ولا زوجة غيرها) وهذا يعني أن تركان خاتون تريد لابنتها أن تكون الزوجة المحظية عند الخليفة حتى تكون صاحبة النفوذ والتأثير، وهذا ينم عن طموح تركان خاتون السياسي في إخلاء الساحة أمام أبنتها حتى لا ينافسها أحد من زوجات الخليفة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧ هـ /١٠٧٥-١٠٩٤م)، وتُحكِم بذلك سيطرتها على الخليفة فيكون الخليفة العباسي والسلطان السجلوقي تحت سيطرة الخواتين.

دور تركان خاتون في ولاية العهد

مارست تركان خاتون دوراً بارزاً في ولاية العهد فاق دور من سبقها من الخواتين زوجات السلاطين السلاجقة وسبقت الإشارة في الفصل الثاني من هذه الدراسة إلى أن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان كان قد عين ابنه داؤد ولياً للعهد، وكانت تركان خاتون شديدة التأثير على السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) وصاحبة مكانة عالية عنده(٢)، فاستولت على الأمور نتيجة امتلاكها مخطط يهدف إلى ضمان وصول ابنها محمود بن ملكشاه إلى منصب ولاية العهد، ومن ثم إلى عرش السلطنة، فتحالفت في سبيل هذا مع وزيرها تاج الملك أبو الغنائم الذي وافقها على مشروعها رغبة منه في الوصول إلى منصب وزارة السلطان ملكشاه الذي كان يشغله الوزير نظام الملك الطوسي العائق الأبرز أمام تولية محمود بن ملكشاه عرش السلطنة لصغر سنه، وكذلك العائق الأكبر أمام وصول تاج الملك وزير تركان خاتون منصب وزارة السلطان ملكشاه، وبذلك التقت مصلحة الحليفين (تركان خاتون، والوزير تاج الملك أبو الغنائم).

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٢٢-٢٢٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٢٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٠٠-٤٠١، مستوفي، تاريخ كزيده، ٤٣٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٥.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤، البنداري، دولة آل سلجوق ص٨١، عصام عقلة، المرأة في الإسلام ص٨٠٠.

وبدأ الحليفين يخططان لإنجاح مشروعهما، فأوغرت تركان خاتون صدر السلطان ملكشاه ضد وزيره نظام الملك الطوسي(١)، وأتت الوشايات ثمارها وساءت العلاقة بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي، وانتهت بمقتل الوزير نظام الملك سنة (٤٨٥ هـ /١٠٩٢م) على يد غلام باطني، ووجهت أصابع الاتهام إلى السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان الذي عيّن الوزير تاج الملك أبو الغنائم خلفاً للوزير نظام الملك الطوسي لكن القدر لم يمهل السلطان ملشكاه طويلاً بعد مقتل نظام الملك الطوسي(٢) فاستغلت تركان خاتون ذلك واستطاعت التأثير على السلطان من أجل أن يعهد لابنها الصغير محمود بولاية العهد بعد أن تم الخلاص من العقبة الأكبر التي كانت تقف حائلاً في طريق تعيين إبنها محمود ولياً للعهد وهو نظام الملك الطوسي.

وتم لتركان خاتون ما أرادت فقد نصّب السلطان ملكشاه ابنه محمود ولياً للعهد، وأخذ العهود على ذلك، وعندما توفي باشرت تركان خاتون في استكمال مشروعها الرامي إلى تعيين ابنها سلطاناً فهو ولي العهد، وقد استعانت في سبيل هذا بحليفها التقليدي الوزير تاج الملك فابتدأت بتجديد العهد لابنها من قبل العسكر وهناك عدة أمور سهلت أخذ البيعة لمحمود من قبل العسكر منها:

١- العلاقة القائمة بين قادة الجند وبين تركان خاتون منذ أيام السلطان ملشكاه، وهذا الأمر يؤكد امتلاك تركان خاتون مشروع تعيين ابنها محمود ولياً للعهد أثناء حياة السلطان ملشكاه مما جعلها تعزز علاقتها مع القادة العسكريين لإدراكها لأهميتهم بترجيح كفة ابنها محمود مقابل الابن الأكبر للسلطان ملكشاه بركيارق.

٢- توظيفها المال لكسب ولاء العسكر والجند لصالح ابنها محمود، فقامت بتفريق الأموال على الجند وقادتهم، فأخذت البيعة فهم لابنها محمود[٣].

---

(١) انظر تفصيل ذلك عند الحديث عند دور الوزراء في ولاية العهد ص٨٤- ١٠٧.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٤-٢٠٥، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧، ص٧١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧٨، ص٧٩، ص٨٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٨-٤٧٩، مستوفي، تاريخ كزيدة، ٤٣٨، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٥٦-٢٥٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٥-٥٦، عصام عقلة، المرآة في الإسلام، ص٨٠٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٤، الراوندي، راحة الصدور ص٢١٦-٢١٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢٠٦٣. محبوبة ، نظام الملك، ص٥٦٨-٥٦٩، عصام عقلة، المرأة في الإسلام ص٨٠٠.

بعد أن أخذت تركان خاتون البيعة لابنها محمود من الجيش وقادته لتضمن وقوفهم إلى جانبهم، شرعت بالخطوة التالية المتمثلة بأخذ الشرعية من الخليفة العباسي فراسلته في إعلان الخطبة لابنها محمود فوافق لكن بشروط هي:

١- أن يكون اسم السلطنة لولدها محمود، والخطبة له.

٢- أن يكون الأمير أنر المدبر لزعامة الجيوش، ورعاية البلد ويصدر ذلك عن رأي الوزير تاج الملك.

٣- يكون ترتيب العمال، ووصاية الأموال بيد الوزير تاج الملك[١]. نلاحظ في هذه الشروط أن الخليفة العباسي المقتدي (٤٦٧-٤٨٧ هـ /١٠٧٥-١٠٩٤م) قد استغل صغر سن السلطان محمود بن ملكشاه وحاجته للشرعية من الخلافة فوجد فيها فرصة لإعادة هيبة الخلافة وسلطتها على السلاجقة الذين فرضوا نفوذهم على الخلافة منذ دخولهم بغداد سنة (٤٤٧ هـ /١٠٥٥م)، كذلك نجد أن تركان خاتون قد قبلت بشروط الخليفة لكن على مضض لأنه لا مجال أمامها سوى الإذعان لمطالب الخليفة فهي تريد أن تثبت ابنها في السلطنة ثم تتفرغ للخليفة. وهذا يعني أنها قبلت بشروط الخلافة كفترة مؤقتة. ولا تريد أن تفتح على نفسها أكثر من جبهة في الوقت نفسه، ثم شرعت تركان خاتون فيما بعد في استكمال مشروع تنصيب ابنها محمود سلطاناً، فقامت بتعيين تاج الملك ابو الغنائم وزيراً له، وأرسلت الأمير كربوغا إلى اصبهان حتى يقبض على بركيارق بن ملكشاه الأخ الأكبر لمحمود بن ملكشاه، وبذلك تكون تركان خاتون قد تخلصت من أقوى منافسية وضمنت ترأس ابنها للسلطنة. واستطاع كربوغا القاء القبض على بركيارق وسجنه، لكن وصول خبر وفاة السلطان ملكشاه إلى الغلمان النظامية بأصبهان وتعيين تاج الملك وزيراً لمحمود جعلهم يثورون ويخرجون بركيارق من سجنه وينصبوه سلطاناً في أصبهان[٢].

فسارت تركان خاتون يرافقها جيشها إلى أصبهان، لكن محاولة إنشقاق حدثت في جيشها وكان السبب فيها الوزير تاج الملك أبو الغنائم وذلك أن تاج الملك كان قد وعد العسكر أن يعطيهم من الأموال الموجودة في قلعة برجين وعندما وصل إليها برفقة خاتون والجيش الذي يرافقها صعد إليها بحجة جلب الأموال ولكن عصى ورفض النزول فتابعت تركان خاتون السير برفقة الجيش

---

[١] ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤، اليزدي، العراضة، ص٧٢-٧٣ .

[٢] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٤، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢-٦٣.

الذي حاولت امتصاص غضبه على الوزير تاج الملك، وعندما وصلت تركان خاتون أصبهان لحقها تاج الملك متذرعاً بأن مستحفظ القلعة حبسه، وأنه جاءها هارباً منه فقبلت عذره فهي لا تريد مزيد من الانشقاق خاصة وأنها اقتربت من المواجهة مع بركيارق الذي خرج به الغلمان النظامية إلى الري من أجل الاستعداد للمواجهة مع تركان خاتون، وقد انضم لبركيارق كل من الأمير أرغش النظامي وعسكره إضافة إلى عدد من الأمراء والغلمان النظامية الذين كانوا أصلاً مع بركيارق يجمعهم العداء للوزير تاج الملك أبو الغنائم لأنه كان المتهم بقتل زعيمهم نظام الملك وعدوه اللدود[١].

وانطلق بركيارق برفقة الأمراء والجيش الذي معه من الري إلى باب أصفهان، وعندما شعرت تركان خاتون باقتراب المواجهة مع بركيارق وجيشه الذي بدأ موقفه راحجاً نتيجة انحياز عدد من الأمراء إليه. وهنا وظفت تركان خاتون الأموال مرة أخرى لحسم الموقف، فقامت بإغداق الأموال على الجيش وقادته لحفزهم استعداداً للقاء بركيارق. كذلك لجأت إلى طريقة أخرى، فقد اجتمع كل من مجد الملك القمي، وتاج الملك أبو الغنائم مع أمير الجيش أنر، والأمير بلكابك سرمز شحنة مدينة أصفهان، وحاولوا مفاوضة بركيارق، وعرضوا اعطاؤه مبلغ خمسائة ألف دينار من ميراث والده مقابل خروجه عن المدينة (أصفهان) واستلم بركيارق المال وعاد إلى همذان، فاستغلت تركان خاتون الموقف وحاولت طعن بركيارق من الخلف فراسلت اسماعيل بن ياقوتي خال بركيارق تحرضه على محاربة بركيارق مقابل زواجه منها وأمدته في سبيل هذا بالأموال والآلات العسكرية التي تسانده في حربه مع بركيارق(٢).

فالتقى عسكر بركيارق بجيش اسماعيل خاله في منطقة الكرج(٣) سنة (٤٨٧ هـ /١٠٩١م) وأثناء القتال حدث انشقاق في جيش اسماعيل بن ياقوتي، إذ انحاز الأمير يلبرد إلى جيش بركيارق، فانهزم جيش اسماعيل بن ياقوتي الى إصبهان، حيث تقيم تركان خاتون التي كافئته بإعلان الخطبة له بعد ابنها محمود بن ملكشاه، وضربت اسمه على الدنانير، لكن الأمر لم يتم فقد خشي أمراء الجيش منه خاصة الأمير أنر فأحس اسماعيل بن ياقوتي منهم ذلك، فخرج وبدأ بمكاتبة أخته زبيدة خاتون والدة بركيارق التي رحبت بقدومه إليها وأقام عندها بضعة أيام وفي

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧-٢١٨، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي جامع الدول، ص٦٣.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤، اليزدي، العراضة، ٧٣-٧٤ .

(٣) الكَرَجُ: مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وهي أقرب إلى همذان، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦.

أثناء خلوته مع بعض أمراء جيش بركيارق أمثال كمشتكين الجاندار، وآقسنقر، وبوزان، ذكر لهم انه ينوي قتل بركيارق والاستيلاء على السلطنة، فقتلوه(١).

وخرج على بركيارق عمه تتش بن ألب أرسلان فاتجه بركيارق إلى أصفهان. وعندما أدرك أنه لا قدرة له بعمه تتش رأى بركيارق ضرورة توحيد صفوفه مع أخيه محمود خاصة أن والدته تركان خاتون قد توفيت سنة (٤٨٧ هـ /١٠٩٧م)، لكن الأمراء أنر وبلكابك عندما وجدا أن بركيارق تصالح مع أخيه محمود قبضا على بركيارق وسجناه، وأراد كحله لكن إصابة أخوه محمود بالجدري، وتردي حالته الصحية جعل الأمراء يتريثون قليلاً، فتوفي محمود، فأخرجوا بركيارق من سجنه ونصّبوه على العرش، فقرر بركيارق مواجهة أرسلان أرغون وعندما تجهز للقائه ثار أحد غلمان أرسلان أرغون وقام بقتله فتخلص بركيارق من شر ملاقاته، فسار بركيارق باتجاه ترمذ فنصب أخاه سنجر والياً عليها واتجه إلى العراق(٢).

دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٦-٤٩٨ هـ /١٠٩٣-١١٠٤م).

أتسم حكم السلطان بركيارق (٤٨٦-٤٩٨ هـ /١٠٩٣-١١٠٤م) بعدم الاستقرار نتيجة للحروب التي خاضها في سبيل وصوله الى السلطنة؛ فمنذ بداية حكمه واجه صراعاً مع زوجة والده تركان خاتون وجيشها، ثم مع اسماعيل بن ياقوتي خاله الذي استقطبته تركان خاتون إلى جانبها ثم مع عمه تتش بن ألب أرسلان، وكذلك أرسلان أرغون الذي قتل على يد أحد غلمانه سنة (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م) ثم دخل في صراع طويل مع عمه أخيه محمد طبر ابتداء من سنة (٤٩٣-٤٩٧ هـ /١٠٩٩-١١٠٣م) وقد خاض خلالها الأخوان خمسة حروب كبيرة انتهت أخيراً بالتصالح واقتسام المملكة بينهم، فكان لمحمد من نهر أسبيدروذ إلى باب الأبواب وديار بكر والجزيرة

---

(١) الرواندي، راحة الصدور، ص٢١٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٤، اليزدي، العراضة، ٧٤-٧٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤-٦٥.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩-٢٢٠-٢٢١، اليزدي، العراضة، ٧٥-٧٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٥-٦٩.

والموصل والشام وبلاد سيف الدولة صدقه، وأن لا تكون المكاتبة بينهما وإنما بين وزيريهما ولسنجر خراسان وما وراء النهر والسلطنة بالعراقيين لبركيارق(١).

وبعد أقل من عام على صلحه مع أخيه محمد طبر الذي تم سنة (٤٩٧ هـ /١١٠٣م) أصيب السلطان بركيارق بمرض، وعندما أحسن بدنو أجله عيّن ابنه ملشكاه الثاني بن بركيارق ولياً للعهد وكان عمره وقتئذ أربع سنوات وأشهر، وعين الأمير إياز أتابكه، وطلب منهم المسير إلى بغداد وكان السلطان بركيارق قد أقام بيزدجرد ولم يستطع الوصول إلى بغداد لاشتداد المرض عليه. فلما يسيروا مسافة طويلة حتى أتاهم الخبر بوفاة السلطان بركيارق وعمره سبع وعشرون سنة (٤٩٨ هـ /١١٠٤م)(٢).

وبناء على ما تقدم يمكن القول أن دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه كان معدوماً نظراً لعدم الاستقرار والحروب التي دارت أثناء حكم بركيارق، كذلك فإن بركيارق لم يقم بتعيين ولياً للعهد إلا عندما اشتد به المرض فهو يدرك أن سلطانه كان غير مقبول فكيف إذا عيّن ابنه ولياً للعهد ليتولى السلطنة بعد وفاته، إضافة الى صغر سن ملكشاه الثاني الذي لم يتجاوز عمره عند تعيينه اربع سنوات وأشهر.

- دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر بن ملكشاه (٤٩٨-٥١٣ هـ /١١٠٤-١١١٩م).

تسلم السلطان محمد طبر عرش السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان بركيارق ملكشاه سنة ٤٩٨هـ /١١٠٤م(٣). وكان محمد طبر عند وفاة والده ملكشاه صغير السن عمره إحدى عشر سنة، اصطحبته تركان خاتون أم محمود معها، أثناء ذهابها لتنصيب ابنها محمود سلطاناً في أصفهان، وأثناء حصار بركيارق لأصفهان هرب محمد طبر من معسكر تركان خاتون إلى معسكر بركيارق وانضم إلى والدته تاج الدين التي كانت في معسكر بركيارق، وفي سنة ٤٨٦ هـ /١٠٩٣م عينه

---

(١) البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٦-٨٧، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٧-٢٢٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٨-٦٩.

(٢) البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٨ ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠، ابن العبري، مختصر الدول، ص٣٤٣-٣٤٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢-٨٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الرواندي، راحة الصدور، ص٢٣٤-٢٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤-٣٨٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧-٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢-٨٣، إقبال، الوزارة، ص١٧٩-١٨٦.

السلطان بركيارق حاكماً لولاية كنجة(١) ثم ما لبث أنه استقل ولايته كنجة، وانتزعها من فضلون بن أبي الأسوار الروادي، وظل الأمر كذلك حتى سنة ٤٩٢ هـ /١٠٩٨م. حيث التجأ إليه الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك الذي أبعده السلطان بركيارق عن وزارته فاتجه للإنتقام من السلطان بركيارق بتحريض أخوه محمد طبر على الخروج عليه والمطالبة بالسلطنة وأصبح وزيراً للسلطان محمد طبر الذي أعلن خروجه على أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٥-٤٩٨ هـ /١٠٩٢-١١٠٤م) وبدأت بينهما الحروب من سنة (٤٩٣ هـ /١٠٩٩م) حتى سنة(٤٨٧ هـ /١١٠٣م)، حيث تصالح الأخوان السلطان بركيارق بن ملشكاه وأخوه محمد طبر واتفقوا على اقتسام أراضي الدولة، حيث اتفقا على أن يكون بركيارق سلطاناً ومحمد طبر ملكاً، وأن تكون أصفهان والري والعراق لبركيارق ولمحمد طبر من أسبيذروذ أي من بداية جنوب بلاد زنجان حتى باب الأبواب وهي تشتمل على آذربيجان وكنجة وأران والموصل وديار بكر والشام(٢).

ولم يستمر التصالح أكثر من سنة فقد توفى السلطان بركيارق سنة ٤٩٨ هـ /١١٠٤م وتسلم محمد السلطنة بعد دخول الأمير اياز أتابك ملكشاه بركيارق في طاعته. وإعلانه الأنطواء تحت راية السلطان محمد طبر(٣).

وبعد أن تولى السلطان محمد طبر عرش السلطنة، اتجه إلى ضبط وتنظيم أمور الدولة الداخلية وإحكام قبضته على نواحي الدولة، فقد أدرك السلطان محمد طبر أن لا بد من تثبيت جبهته الداخلية حتى يستطيع الانطلاق إلى الخارج بقوة.

وتجدر الإشارة إلى أن انصراف السلطان محمد طبر (٤٩٨-٥١١ هـ /١١٠٤-١١١٧م) إلى الاهتمام بالأمور الأمنية. جعله يصرف النظر عن الاهتمام بقضية ولاية العهد، خاصة، أن السلطان محمد طبر قد ابتدأ عهده بمواجهة الأخطار الداخلية، كذلك كان لإنعدام التحالف التقليدي بين الخواتين والوزراء، دوراً في عدم إثارة قضية ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر بفترة مبكرة من حكمه.

---

(١) كنجة: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أران، وكنجة: من نواحي كردستان بين خوز ستان وأصبهان، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٨٥-٩٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٣-٢٢٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٦-٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٧-٣٧٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٠-٨١، إقبال، الوزارة، ص١٨١-١٨٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٧٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٩، ص٣٨٥-٣٨٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥، إقبال، الوزارة، ص١٨٥.

وهنا لا بد من إلقاء الضوء على الأوضاع الداخلية للدولة السلجوقية عند تسلم السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١ هـ /١١٠٤-١١١٧م ابتدأ السلطان محمد طبر حكمه بالقضاء على الأمير إياز أتابك ملكشاه بن بركيارق فعلى الرغم من إعلانه الدخول في طاعة السلطان محمد طبر إلا أنه ظلّ موضع شك ومصدر قلق للسلطان محمد طبر الذي استغل فرصة دعوة الأمير إياز له لوليمة في بيته، فحضر السلطان محمد طبر وقدم له الأمير إياز هدايا كثيرة، وأمر الأمير إياز غلمانه بلبس السلاح لعرضهم على السلطان محمد طبر فاستكثر ذلك، وقال: (إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد) فأدرك أن الأمير إياز يريد الغدر فترصد له ودعاه للاستشارة في قصره وأمر غلمانه بقتله، ونهب أمواله فتفرق عسكره(١).

وفي سنة ٤٩٩ هـ /١١٠٥م. خرج على السلطان محمد طبر ابن عمه منكبرس بن بوري برس بن ألب أرسلان بن داؤد، فتصدى له محمد طبر بمساعدة زنكي بن برسق وسلموه للسطان محمد طبر الذي حبسه عنده. وفي سنة ٥٠٠ هـ /١١٠٦م قرر السلطان محمد طبر التصدي للخطر الباطني الذي إزداد أثناء الحروب التي جرت بين السلطان بركيارق وأخيه محمد طبر خلال الفترة من سنة ٤٩٣-٤٩٧ هـ /١٠٩٩-١١٠٣م. فجهز جيشاً بقيادة وزيره سعد الملك أبي الذي كان على عداء قوي مع الباطنية واستطاع الانتصار عليهم وقتل أحمد بن عبد الملك رئيس باطنية أصفهان(٢).

ثم تحارب السلطان محمد طبر مع سيف الدولة صدقة صاحب الحلة. سنة ٥٠١ هـ /١١٠٧م، فقتل صدقة وانتصر السلطان محمد طبر(٣).

وخلال الفترة ما بين سنة ٥٠٢هـ /١١٠٨م إلى سنة ٥٠٨ هـ /١١١٤م واجه السلطان محمد طبر العديد من حالات خلع الطاعة والعصيان والتي استغرقت وقتاً وجهداً من السلطان محمد طبر لإخمادها وإعادة الأمور إلى نصابها، ففي سنة ٥٠٢ هـ /١١٠٨م ثار عليه الأمير جاولي فأرسل إليه السلطان محمد طبر جيشاً مما اجبره إلى العودة لطاعة السلطان، وففي سنة ٥٠٨ هـ /١١١٤م ثار ايلغازي صاحب ماردين، وطغتكين صاحب دمشق فأرسل إليهم جيشاً يقيادة برسق بن برسق وأخيه زنكي ليخضعا إيلغازي وطغتكين، ثم يتوجه جيش برسق ليقاتل الأفرنج في

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥-٢٣٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٧-٣٨٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦-٨٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٩-١٠٢، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٥-٤٤٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩-٨٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٧١-٢٧٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦-٩٠، إقبال، الوزارة، ص٢٢٨-٢٣١.

(٣) ابن الأثير ، الكامل ج١٠ ، ص٤٤٠-٤٤٨.

بلاد الشام، واستطاع جيش برسق أحراز النصر على طغتكين وإيلغازي، وسيطر على مناطق واسعة من بلاد الشام إضافة إلى منطقة كفر طاب(١) والمعرة(٢)، لكن جيش روv] الفرنجي حارب جيش(٣) برسق وأخوه زنكي، فقتل أكثر جيشه، وهرب الأخوين إلى همذان حيث توفيا هناك(٤).

وفي سنة ٥١١ هـ /١١١٥م مرض السلطان محمد طبر وعندما اشتد عليه المرض عهد إلى ابنه محمود الذي كان صغيراً آنذاك؛ فقد كان عمره أربع سنوات وعين الوزير عماد الدين أبو منصور ربيب الدولة حسين بن محمد بن حسين الهمذاني وزيراً له حتى يكون مشرفاً على ولي العهد الصغير.

وضماناً لوصول محمود بن محمد طبر سلطاناً، فالسلطان محمد طبر عندما أدرك بقرب وفاته أراد اختيار وزير يرعى شؤون ولي العهد السياسية ويكون وصياً عليه عندما يصبح سلطاناً وهو الهدف الأبرز من إختيار ربيب الدولة، وقد استطاع الوزير تنصيب محمود بن محمد طبر سلطاناً حتى سنة ٥١٣ هـ /١١١٧م حيث قاد سنجر بن ملكشاه حرباً على ابن أخيه محمود بن محمد طبر واستطاع الوصول إلى السلطنة وانتقلت بذلك السلطنة السلجوقية عن العراق إلى خراسان(٥).

يمكن القول بناء على ما تقدم أن الظروف التي عاشها السلطان محمد طبر خلال فترة حكمه التي امتدت من سنة ٤٩٨-٥١١ هـ / ١١٠٤-١١١٥م.والتي قضاها في إخماد الثورات التي قامت ضده، كذلك انصرف الوزراء إلى مهمات أمنية بدل الانطلاق في فتتوحات خارجية أو مواجهة الخطر الصليبي باستثناء حملة واحدة بقيادة برسق ابن برسق سنه ٥٠٨ هـ /١١١٤م، وهذه الحملة كان لها هدف أني يتمثل أولاً بإخضاع إيلغازي، وطغتكين ثم التوجه نحو الخطر الصليبي الذي كان في بلاد الشام. كذلك غاب التحالف التقليدي بين الوزراء الذين انصرفوا إلى الأمور الأمنية الداخلية والخواتين.

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٤٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٠-٨٢ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٩-٩٤، إقبال، ص٢٣٦.

(٢) كفر طاب، بلدة بين المعرة ومدينة حلب، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٧٠.

(٣) المعرة، هي معرة النعمان، وهي مدينة من أعمال حمص بين حلب وحماة، الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٥٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠٢-٥٠٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٢.

(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٥٨-٢٦٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٤-٨٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٨-٥٥٣ ، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١٤، خواندمير، دستور الوزراء، ص٢٨٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٧-١٠٠، إقبال، الوزارة، ص٢٥٧.

فقد تعرضت كوهر خاتون زوجة السلطان محمد طبر لمؤامرة قادها أمراء القصر إلى الإطاحة بها إذ دبروا مكيدة لها تتضمن تحريض السلطان محمد طبر على حبس كوهر خاتون فقد اتهموها أثناء مرض السلطان محمد طبر أنها سحرته. وأكملوا المؤامرة بأنه سرقوا خاتم السلطان وأظهروا أنه أصدر بقتلهما فتم قتلها(١)كُلّ ذلك جعل دور الخواتين في ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١ هـ/١١٠٤- ١١١٥م، يكاد يكون معدوماً.

ثالثاً: دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد.

برز دور الأمراء العسكريين على مسرح الحياة السياسية في الدولة السلجوقية في أواخر عهد السلطان طغرلبك ٤٢٩-٤٥٥ هـ/ ١٠٣٧-١٠٦٣) عندما بدأت أعراض مرض الموت تظهر على السلطان طغرلبك، وتدخلت زوجته ام سليمان التي رغبت في تعيين ابنها سليمان بن جغربك ولياً للعهد الذي كان صغير السن، وهي تريد بذلك أن يستأثر ابنها سليمان بالسلطة في ظل وجود إخوته من أبناء جغربك داؤد وعلى رأسهم ألب أرسلان بن جغربك داؤد الذي كان أميراً على خراسان، ويعد أبرز المتحمسين لتولي السلطنة بعد وفاة السلطان طغرلبك(٢). وتنبع أهمية دور الأمراء العسكريين من كونهم أصحاب الحسم في حال تحالفهم مع أحد المتنافسين على منصب السلطنة أو ولاية العهد.

ودليل ذلك أن السلطان طغرلبك عندما عَهَد إلى سليمان بن جغربك داؤد بولاية العهد جعل الوزير عميد الملك الكندري وصياً عليه، فأثار هذا التعيين غضب أمراء وقادة العسكر الذين عبروا عن ذلك صراحةً، وتزعم هذا الاعتراض الأميران إردم وباغي سيان(٣) اللذان كانا من كبار قادة عسكر جيش السلطان طغرلبك، واللذان كانا يميلان لصالح ألب أرسلان وأعلنا ذلك صراحة أمام

---

(١) البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١١-١١٢، منجم باشي، جامع الدول،ص٩٢، عصام عقلة، المرأة والسلطة في الإسلام ، ص٧٩٥..

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ٨١-٨٢، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٨-٢٠٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٣٠، ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص١٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

السلطان طغرلبك حيث قال الأمير أردم: (ما اخدم أحداً بعدك، وأمضي إلى ألب أرسلان، أبن أخيك داود وأنزل عليه)(١).

وكان الرفض العلني لتعيين سليمان بن طغرلبك داؤد ولياً للعهد يمثل أول عصيان عسكري لأمر السلطان طغرلبك وكذلك أول تدخل عسكري في السلطة السياسية، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن هذا التدخل قد جاء في فترة ضعف السلطان طغرلبك نتيجة نزاعه قبل وفاته، وإن كانت بوادره ظاهرة لأغلب رجالات الدولة، ودليل ذلك ما أورده ابن الجوزي عند حديثه عند وفاة السلطان طغرلبك والأحداث التي وافقت نقل السلطة إلى ولي العهد سليمان بن طغرلبك داؤد حيث قال: (... ولما توفي طغرلبك بُعث إلى عميد الملك، وكان سبعين فرسخاً فجاء قبل أن يُدفن، وأخذ البيعة السليمان بن داؤد ابن أخي طغرلبك وكان طغرلبك قد نص عليه، وحطّ من القلعة سبعمائة ألف دينار وكسر، وستة عشر ألف ثوب من ديباج وسفلاطون وسلاحاً تساوي مائتي ألف دينار ففرقها على العسكر ولم يبق لهم خوف إلاّ من الملك ألب أرسلان، وهو محمد بن داؤد فإن العسكر مالوا إليه)(٢). فقد كان ظاهراً ميل الجيش إلى ألب أرسلان بن طغرلبك داؤد.

وهذا الأمر ساهم في ترجيح كفة ألب أرسلان وفوزه بمنصب السلطنة فالناظر في مجرى الأحداث بعد وفاة السلطان طغرلبك يجد أن الأمور حسمت عسكرياً، فوصول ألب أرسلان إلى السلطنة لم يكن بتوافقٍ سياسي وإنما بتغلب القوى العسكرية التي كانت تساند ألب أرسلان في ظل وجود ولي للعهد صغير السن ووزير متغلب يهدف إلى الاستبداد السلطة والاستئثار بها لتحقيق مآربه وأهدافه، وهذا يسجل للقوى العسكرية التي أدركت أن أفضل الخيارات الإنطواء تحت راية ألب أرسلان كونه أقدر المتنافسين على منصب السلطنة(٣). ودليل ذلك أن الوزير عميد الملك الكندري عندما أعلن خبر وفاة السلطان طغرلبك جمع العساكر وخطب فيهم وأظهر نفسه أمامهم بمظهر الزاهد في مكاسب السلطة ومنافعها.

وبعد أن قام بتوزيع الأموال والسلاح على العساكر، إتجه إلى عاصمة السلطنة الري من أجل البدء بإجراءات مراسم تنصيب السلطان سليمان بن طغرلبك سلطاناً على السلاجقة خلفاً لعمه وزوج والدته السلطان طغرلبك الذي توفي سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٤م. وكان هذا التنصيب قد سّرع في

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص١٩٣.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨٢.
(٣) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨١-٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

اقتراب المواجهة ما بين الجيش الذي يترأسه الوزير عميد الملك الذي يدعم ويؤازر سليمان بن جغربك داؤد، والجيش الذي يترأسه ألب أرسلان بن طغرلبك الذي قصد عاصمة السلطنة الري قادماً من خراسان، وعندما اقترب من الري اضطر عميد الملك الكندري إلى الدخول في طاعته وإعلان الولاء له(١) وهكذا حسمت الأمور لصالح ألب أرسلان بفضل إنحياز أمراء الجيش إلى جانبه مما رجّح كفته مقابل ولي العهد سليمان بن طغرلبك داؤد الذي نص عليه السلطان طغرلبك قبل وفاته ليكون ولياً للعهد وخليفته بعد وفاته، لكن تزايد شعبية ألب أرسلان أمير خراسان الذي كان يخطى بتأييد ومساندة كبار الأمراء العسكريين الذين رفضوا القبول بسليمان بن جغربك داؤد مما زاد فرصته في الوصول إلى عرش السلطنة، وبذلك أُسدل الستار على قضية ولاية العهد والسلطنة بعد وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥ هـ/١٠٦٣م.

دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥ هـ/١٠٦٣-١٠٧٢م).

أدرك السلطان ألب أرسلان بن جغرلبك داؤد منذ أن تسلم عرش السلطنة أن ولاية العهد هي الطريق الأفضل للوصول إلى عرش السلطنة. وهذا أصبح أمراً معلوماً لدى السلاجقة ودليل ذلك ما قامت به أم سليمان زوجة طغرلبك من خلال التأثير على طغرلبك ليعهد لابنها سليمان ليصبح ولياً للعهد، لذلك نجد ألب أرسلان يتجه إلى تعيين ابن ملكشاه ولياً للعهد ليضمن تسلمه السلطنة بعد وفاته.

وهذا يعني أن ألب أرسلان استعرض تجربته في الوصول إلى السلطنة فأدرك أن ولاية العهد لابنه ملكشاه نتطلب عدة أمور وهي:

أولاً: أن يعهد لإبنه ملكشاه في فترة مبكرة حتى يضمن نجاح توليته، وهو بهذا الأمر يريد تجنب ما حدث مع أخيه الأصغر سليمان بن داؤد جغرلبك(٢). الذي كان عامل السن وتعيينه قُبيل وفاة السلطان طغرلبك أحد العوامل التي جعلت فرصته للظفر بالسلطنة ضعيفاً.

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩. ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨١-٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٨١-٨٢، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٢٧-٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.

ثانياً: ضرورة تدريب ولي العهد من خلال إشراكه في المعارك والحروب التي كانت تخوضها الدولة السلجوقية مع القوى المحيطة مثل الروم والكرج والأرمن(١) وما في هذا الترتيب من جلب للشعبية والشرعية لمكشاه بن ألب أرسلان خاصة أنها جاءت في الفترة التي سبقت تعيين ملكشاه ولياً للعهد فقد كانت هذه المعارك سنة ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م. أما تعيينه ولياً للعهد فقد كان سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م.

ثالثاً: أن السلطان ألب أرسلان أراد استرضاء إخوة ملكشاه وأفراد الأسرة السلجوقية حتى يضمن عدم ثورتهم ضد تعينه ابنه ملكشاه ولياً للعهد(٢).

بهذه الخطوات التي قام بها السلطان ألب أرسلان من أجل نجاح تعيينه ابنه ملكشاه ولياً للعهد يكون قد أرسى معالم يمكن اعتبارها ركيزةٌ في ولاية العهد، ودليل ذلك نجاح مشروع ألب أرسلان في تعيين ابنه ولياً للعهد، ومن ثم وصوله إلى عرش السلطنة سنة ٤٦٥ هـ/١٠٧٢م بعد مقتل ملكشاه بن ألب أرسلان ولي العهد الأوحد الذي نجح في تسلسله السياسي كولي العهد ثم سلطان وهذا النجاح تأكد من خلال الخطوات التي اتبعها ألب أرسلان بمساندة الأمراء العسكريين الذين أخذ عليهم العهود والمواثيق وخلع عليهم عندما عين على ابنه ملكشاه ولياً للعهد سنة ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م(٣) .

وهنا يمكن ملاحظة التحول الذي طرأ على دور الأمراء العسكرين في عهد ألب أرسلان والمتمثل بتراجع دورهم في ولاية العهد واقتصار دورهم على مبايعة ولي العهد، ولهذا التحول مبررات يأتي في مقدمتها وجود السلطان ألب أرسلان على رأس السلطنة وهو المتمتع أصلاً بتأييد الأمراء العسكريين الذين ساهموا في وصوله للسلطنة مما جعل مستقبل الأمراء العسكريين مرتبط باستمرار وجود ألب أرسلان وابنه ملشكاه من بعده، على الرغم من وجود قوى معارضة لحكم

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٣٥-٣٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨-٣٩، منجم باشي، جامع الدول، ٣١-٣٢.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٨-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٣٨-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

السلطان ألب أرسلان منذ تولية عرش السلطنة وكان بإمكان هؤلاء الأمراء العسكريين التحالف مع أحد هذه القوى لكن ولائهم ومحبتهم للسلطان ألب أرسلان جعلهم يخلصون له ولولي عهده(١).

دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥ هـ/ ١٠٧٣-١٠٩٢م.

ارتبط دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد خلال عهد السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥ هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م بدور تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ووالدة إبنه الأصغر محمود التي حرصت على إقامة تحالف مع أمراء الجيش قبل أن يهمد السلطان لإبنهما محمود بولاية العهد، ودليل ذلك ما أورده الحسيني حيث قال: (... وكانت محسنة للأجناد فقدموا ولدها)(٢) إضافة إلى تحالفها السياسي مع وزيرها تاج الملك أبو الغنائم ومجد الملك القمي(٣)، وهذا التحالف جزء من استراتيجية تبنتها تركان خاتون لتضمن وصول ابنها إلى عرش السلطنة، وقد أخذت في حسابها أن صغر سن ابنها محمود ووجود منافس من أبناء ملكشاه أكبر سناً منه وهو بركيارق يمكن أن يُشكل خطراً على إمكانية وصول ابنها محمود للسلطة، لذلك قامت بسلسلة تحالفات؛ فهي تدرك تأثير أمراء الجيش في حال اضطرت للمواجهة العسكرية، وكذلك التحالف السياسي حتى يكونوا أعواناً لابنها في إدارة شؤون الدولة.

وقد بدأت أولى خطوات الدور العملي للأمراء العسكريين والتحالف السياسي، بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، حيث أخذت العهد من الأمراء والوزير تاج الملك على الوفاء لأبنها بأن يكون السلطان باعتباره ولي العهد الذي تنتقل إليه السلطة بعد وفاة السلطان، وأغدقت مزيد من الأموال والهدايا على أمراء الجند من أجل حثهم على مزيد من الطاعة، وقررت تركان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٩.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٤.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢.

خاتون التوجه نحو أصبهان من أجل تنصيب ابنها سلطاناً(١)، والمتتبع لإجراءات تركان خاتون من أجل تنصيب ابنها محمود سلطاناً يجد أنها استفادت من علاقتها مع الأمراء؛ فعندما توفي السلطان ملكشاه ضبطت الأمور وأرسلت بخاتم السلطان الأمير قوام الدولة صاحب الموصل إلى قلعة أصبهان ليتم تسليمها ثم أرسلت الأمير قماج لتحكم السيطرة على القلعة ثم خاطبت الخليفة في إعلان الخطبة لابنها وتم لها ذلك وشرعت بعد ذلك في عملية التوجه إلى اصفهان حتى يتم إعلان محمود بن ملكشاه سلطاناً في العاصمة، فبعثت الأمير كربوغا ليلقى القبض على بركيارق وحبسه وتمكن من ذلك(٢).

وبدأت تركان خاتون بالتوجه نحو أصبهان يرافقها ابنها محمود والوزير تاج الملك أبو الغنائم والجيش، لكن خلافاً حدث في أثناء السير نحو أصبهان بين أمراء الجيش والوزير تاج الملك، فقد طالب العسكر وأمراء الجيش بالأموال التي وعِدوا بها أثناء مسيرهم، إلا أن تاج الملك امتنع في قلعة برحين فرد العسكر بنهب أغراضه(٣) فحدث نتيجة ذلك فتور بين العسكر أدى إلى تقاعسهم فيما بعد في الدفاع عن سلطانهم محمود الذي عاهدوه على الولاء والإخلاص وقد ثبت هذا الفتور بوصول تركان خاتون وابنها السلطان محمود ومن سار معهم من الجيش إلى قرب أصفهان فلحق بها الوزير تاج الملك معتذراً عن امتناعه في قلعة برجين وإذ خشي من أمراء الجيش أن يقتلوه؛ فقبلت تركان خاتون عذره، لكن غلمان النظامية عندما علموا بوصول تركان خاتون وابنها السلطان محمود وجيشها إلى قرب أصفهان أخرجوا بركيارق من سجنه واتجهوا برفقته إلى الري، وهنا بدأت الأحداث تأخذ طابع الصدام والمواجهة والتي غيرت الموقف لصالح بركيارق، فقد بدأ ابتاعه من النظامية يتزايدون حيث انضم إليه الأمير أرغش النظامي فاستطاع الاستيلاء على قلعة طبرك، وبدأ بركيارق يقترب من اصفهان فاتجهت تركان خاتون إلى التفاوض معه إدراكاً منها لتحسن موقف بركيارق مقابل موقف ابنها السلطان محمود فاجتمعت مع مجد الملك القمي، والوزير تاج الملك وقائد الجيش أمر الأمير بلكابك شحنة أصفهان وعرضوا على بركيارق مبلغ خمسمائة ألف دينار مقابل ترك اصفهان، وكانت تركان خاتون بهذه الوسيلة تريد كسب الوقت، فقد أخذ بركيارق المال واتجه إلى همدان، بينما تركان خاتون جهزت جيشاً لمحاربة بركيارق والقضاء

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول ص٦٢.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٦-٢١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥-٢١٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢.

عليه، لكن جيشها هُزم نتيجة انحياز عدد من الأمراء لصالح بركيارق مثل الأمير يلبرد وكمشتكين الجاندار، وانكسر جيش تركان خاتون الذي كان بقيادة الوزير تاج الملك الذي ألقى القبض عليه من قبل جيش بركيارق وأراد أن يستوزره فحاول الوزير تاج الملك كسب ود أمراء النظامية لفتح صفحة جديدة من العلاقات معهم لإدراكه تأثيرهم ونفوذهم عند بركيارق، لكن غلمان النظامية أصروا على موقفهم ولم ينس دور تاج الملك في التحريض على قتل الوزير نظام الملك الطوسي(١) وبمقتله تحسن موقف بركيارق بن ملكشاه الذي بدأ يشق طريقه نحو رئاسة السلطنة بمساندة أمراء النظامية إضافة إلى غلمان الخاصكية الذين انضموا إلى بركيارق، ورجحوا كفته، وبذلك تمكن من عقد صلح مع اخيه محمود وأمه تركان خاتون خصص بموجبه لهما اصبهان وفارس وبقية المناطق تكون لبركيارق.

دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد في عهد بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨ هـ / ١٠٩٤-١١٠٤م.

حظي السلطان بركيارق بن ملكشاه بتأييد الأمراء العسكريين خاصة النظامية وجزءاً من الأمراء العسكريين المساندين لتركان خاتون وابنها السلطان محمود بن ملكشاه الذي أقصاه الأمراء العسكريون وساندوا بركيارق ورجحوا كفته ضد محمود بن ملكشاه فبمساندتهم تمكن بركيارق من استعادة حقه في تولي عرش السلطنة باعتباره الأكبر سناً من أبناء ملكشاه بن ألب أرسلان الباقين على قيد الحياة، فالدور الذي مارسه الأمراء العسكريون هو إقصاء ولي العهد الذي نُصّ عليه ومن ثم أصبح سلطاناً، وساندوا بركيارق إلى أن استطاع الوصول إلى مرحلة تمكنه من مواجهة السلطان محمود بن ملكشاه وأمه تركان والوزير تاج الملك وقواتهم والانتصار عليهم(٢).

وكان من أسباب انتصار بركيارق على قوات تركان خاتون وابنها السلطان محمود بن ملكشاه انحياز عدد من الأمراء العسكريين الذين كانوا في عسكر تركان خاتون الذين لهم وزنهم العسكري بين الجنود مثل الأمير يلبرد وكمشتكين الجاندار، إذ إزداد بهم قوة، وفتّ هذا في عضد تركان خاتون وابنها السلطان محمود الذين انهزمت قواتهم، بل طرأ تحول على موقف الوزير تاج

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨-٢١٩، ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥-٢١٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، ابن العبري، مختصر الدول، ص٣٣٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣. ٨١

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥- ٢١٦ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١.

الملك أبو الغنائم الذي ألقى القبض عليه بعد انهزام قوات تركان خاتون التي كان يقودها تاج الملك، فقد وافق على استيزاره من قبل بركيارق بن ملكشاه، وحاول استرضاء كبار أمراء النظامية بالمال لكن ذلك لم ينفعه فلقي حتفه على يد صغار غلمانهم، واستطاع بركيارق بفضل ازدياد عدد أنصاره من الأمراء والجند أن يعقد صلحاً مع أخيه السلطان محمود بن ملكشاه الذي لم يبقَ أمامه خيار سوى الاكتفاء بما مُنِحَ لهُ وهو فارس واصبهان(١).

واتجه بركيارق بعد ذلك نحو إخضاع المعارضة التي قامت ضده مثل عمه تتش الذي كان بالشام وخاله إسماعيل ياقوتي بن داؤد جغربك داؤد الذي تحالف مع تركان خاتون ضد بركيارق لكنه قتل. واستطاع بركيارق التربع على عرش السلطنة وخطب له في بغداد سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م(٢) وبقي السلطان بركيارق بن ملكشاه في الحكم حتى سنة ٤٩٨ هـ /١١٠٤م حيث مرض بأصبهان وكان متجهاً إلى بغداد، فعين ابنه ملكشاه الثاني ولياً للعهد، وكان عمره حينها أربع سنين وثمانية أشهر، وعين الأمير إياز أتابكاً له وأخذ له العهد من الأمراء، وأمرهم أن يتجهوا إلى بغداد، لكن خبر وفاته جعلهم يعودون بعد أن ساروا مسافة قريبة متجهين صوب بغداد(٣).

وبعد وفاة السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤م سار الأمير إياز إلى بغداد لأخذ البيعة من الخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ /١٠٩٤-١١١٨م وإقامة الخطبة له ببغداد، وتم بملكشاه الثاني حيث خطبت ببغداد، ولقب بألقاب جده ملكشاه بن ألب أرسلان حيث لقب بجلال الدولة(٤).

وكان الأمير إياز أتابك السلطان ملكشاه الثاني بن بركيارق والأمير إيلغازي شحنة بغداد والأمير طغايرك قد بذلوا جهداً واضحاً في البقاء على العهد الذي قطعوه للسلطان بركيارق عندما حضرته الوفاة بأن يساندوا ملكشاه في منصبه. وهنا لا بد من الإشارة إلى دور كل من الأمير إياز أتابك ملكشاه الثاني، والأمير إيلغازي شحنة بغداد إضافة إلى الأمير طغايرك فهولاء الأمراء هم الذين تولوا أمر تنصيب الأمير ملكشاه الثاني ولياً للعهد ثم أخذ البيعة له ليصبح سلطاناً فخاطبوا

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠١ ، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥-٢١٦ ، البنداري، دولة آل سلحوق، ص٨١ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٣٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥-١٠، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٥-٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٩-٢٢٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١-٨٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٠-٥٠٥، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٤٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٥-٦٨.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، ج١٠، ص٣٨٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧-٨٨، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣-٣٤٤، منجم باشي جامع الدول، ص٨٢-٨٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧،ص٩٠،ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٢٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧-٨٨، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٤٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٣.

الخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ /١٠٩٤-١١١٨م ليأخذوا له الاعتراف الشرعي من الخليفة سيراً على نهج من سبقه من سلاطين السلاجقة(١).

لكن الأمر لم يستقيم للسلطان ملكشاه الثاني بن بركيارق، نتيجة تحرك عمه محمد طبر فعندما وصل إليه خبر وفاة أخوه السلطان بركيارق بن ملكشاه تحرك مطالباً بالسلطنة، واتجه من أذربيجان إلى الموصل مطالباً صاحبها جكرمش بتسليمها لكنه رفض كون خبر وفاة السلطان بركيارق لم يصله بعد فظل على وفائه حتى وصله خبر وفاة السلطان بركيارق، وهنا يمكن ملاحظة أن السلطان محمد طبر بدأت الأمور تتجه لصالحه مقابل تراجع موقف السلطان ملكشاه الثاني.

فقد دخل جكرمش أمير الموصل في طاعته بعد أن قاوم في البداية لكن انتشار خبر وفاة السلطان بركيارق جعله يعرض موقفه على أهل البلد (الموصل) الذين كانوا يحبون الأمير جرمكش فأشاروا عليه بالدخول في طاعة السلطان محمد طبر، وتم ذلك بواسطة وزير السلطان محمد طبر الذي توسط بين جكرمش والسلطان محمد طبر فأقره السلطان محمد طبر على بلاده بعد أن دخل في طاعته وسار السلطان محمد يرافقه سلمان القبطي إضافة إلى جكرمش، وعدد من الأمراء، نحو بغداد حيث كان سيف الدولة صدقة يجمع العساكر ويراسل السلطان محمد طبر طالباً منه الإسراع في القدوم إلى بغداد(٢).

وهنا يمكن ملاحظة أن بغداد أصبحت ترحب بقدوم السلطان محمد طبر ليتولى السلطنة وبدأ موقف الأمير إياز أتابك السلطان ملكشاه الثاني بن بركيارق يضعف فرحل عن بغداد إلى خارجها عندما أحس بقرب السلطان محمد طبر من مشارف بغداد، وبدا مشاوراته مع أمراء الجيش ليتأكد من موقفهم من حرب السلطان محمد طبر فوجدهم يؤيدون محاربته دفاعاً عند سلطنة ملكشاه الثاني بن بركيارق(٣)، لكن وزير الأمير إياز أبو المحاسن أشار عليه بعد ان انفرد به بغير ما أشار به الأمراء حيث قال: (يا مولانا الأمير، لا تصغ إلى قولهم، فإنهم يكونون أعدى عدوك

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣-٣٤٤، منجم، باشي، جامع الدول، ص٨٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٢-٣٨٥، ابن العبري، مختصرتاريخ الدول، ص٣٤٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٤-٨٥.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٣٨٥-٣٨٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦.

بعد انقلاب الحال، والرأي أن تصالح السلطان محمد، فإنه يكرمك وزيد في إقطاعك إذا لا اعتماد على رجالنا، ومع ذلك أنت تعلم بما نحن فيه من قلة المال) (١).

ولكن الأمير إياز لم يقتنع بنصيحة وزيره الصيفي أبو المحاسن. وقرر التجهيز لمحاربة السلطان محمد طبر فجمع الأمراء، وأراد أن يستحلفهم على الأخلاص للسلطان ملكشاه الثاني بن بركيارق إلا أنهم رفضوا أن يقسموا مرة أخرى بحجة أنهم أقسموا على ذلك من قبل، ولا داعي لذلك مرة أخرى، فتأكد للأمير إياز واقعية نصيحة وزيره الصيفي أبو المحاسن، وعن ذلك قرر التراجع عن مواجهة السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ / ١١٠٤-١١١٧م وإرسال من يتفاوض فأرسل وزيره الصيفي أبو المحاسن(٢)-٥١١هـ /١١٠٤-١١١٧م الذي كان مائلاً أصلاً إلى مهادنة السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ / م، إن لم يكن أصلاً موكلاً من السلطان محمد طبر لإقناع الأمير إياز بالدخول في طاعة السلطان محمد طبر ودليل ذلك قوله للأمير إياز (...فإنه يكرمك ويزيد في إقطاعك)(٣).

أفلا يمكن اعتبار إقناع الوزير ابو المحاسن للأمير إياز بالدخول في طاعة السلطان محمد. وعرضه إمكانية أن يزيد في إقطاعه دليل على ميل الوزير الصيفي أبو المحاسن إلى جانب السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ / ١١٠٤-١١١٧م. إضافة إلى أنّ السلطان محمد طبر بعد أن تلقى رسول الأمير إياز ومنح الآمان له وللسلطان ملكشاه الثاني بن بركيارق، باستثناء الأمير ينال الحسامي والأمير صباوو اللذين كانا رافضين الدخول في طاعة السلطان محمد طبر، بل كانا يميلان إلى محاربته والدفاع عن سلطنة ملكشاه الثاني بن بركيارق مقابل عمه محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ /١١٠٤-١١١٧ م(٤).

---

(١) منجم باشي، جامع الدول، صل٨٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١، ابن الأثير الكامل، ج١٩، ص٣٨٥-٣٨٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠-٩١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٦، البنداري، دولة آل سلجوق ص٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦.

دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر بن ملكشاه ٤٩٨-٥١١هـ / ١١٠٤-١١١٧م.

تسلم السلطان محمد طبر عرش السلطنة بعد وفاة أخوه السلطان بركيارق بن ملكشاه سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٤م بعد أن دخل الأمير إياز أتابك ابن أخيه السلطان ملكشاه الثاني في طاعته وطلب الامان له وللسلطان ملكشاه الثاني.

ابتدأ السلطان محمد طبر عهد بالقضاء على الأمير إياز بتدبر مكيدة لقتله، فقد دعاه إياز لوليمة أقامها. وكان إياز قد ألبس غلمانه السلاح من أجل استعراضهم أمام السلطان محمد طبر، فدخل مهرج على غلمان الأمير إياز فألبسوه الدرع، وعندما دخل بين غلمان السلطان محمد طبر ورآه السلطان، فاستغرب لباسه فطلب منه أحد غلمانه أن يتبين أمره دون أن يشعر به أحد، فوجده يلبس الدرع تحت لباسه فخشي السلطان محمد طبر من تزايد قوة عساكر الأمير أياز، وقال في ذلك (إذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح، فكيف الأجناد) فقرر التخلص منه فدبر مكيدة استدعي على أثرها إلى قصره بحجة أن الأمير قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش نزل بديار بكر وينبغي التجهز لقتاله وأن الاختيار وقع على الأمير إياز، فدبر من يتولى قتله في القصر عندما يحضر وتم التخلص منه بحضور وزير السلطان محمد طبر سعد الملك، وسيف الدولة ونهب بيته(١).

واتجه السلطان محمد طبر بعد قتل الأمير إياز إلى ضبط شؤون سلطنته الداخلية والقضاء على الأخطار التي هددتها مثل خروج ابن عمه الأمير منكبرس بن يوري برس بن ألب أرسلان بن جغربك داؤد، إضافة إلى التخلص من الباطنية بقتل رئيسهم ابن عطّاش وقد استغرق السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ / ١١٠٤-١١١٧م جّل مدة حكمه في ضبط شؤون سلطنته، دون الاهتمام بمسالة ولاية العهد، لذلك نجد السلطان محمد طبر لم يعين ولياً للعهد إلا عندما حضرته الوفاة سنة ٥١١هـ / ١١١٧م، إذ مرض مرضه الذي توفي فيه فخلع على ابنه محمود، وكان عمره أربع عشرة سنة، فأحضر الأمراء وقرئت الوصية التي أوصى بها، لكن المصادر لا تذكر نصها، وإنما اكتفت بذكر دعوته فيها إلى العدل والإحسان إلى الرعية، وكان المدبر لشؤون دولة السلطان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٧-٣٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦-٨٧.

محمود بن محمد طبر وزيره الربيب أبو منصور(١)، وهكذا اختفى دور الأمراء في ولاية العهد في عهد السلطان محمد طبر وحل مكانه دور الوزراء الذي عاد من جديد كسابق عهده في أيام السلاطين السلاجقة الأوائل (طغرلبك ألب أرسلان، ملكشاه بن ألب أرسلان).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٥٩-١٦٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٢٥، ٥٣٣، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٤-٩٥.

الفصل الرابع

الصراع على ولاية العهد

الصراع بين الأمراء السلاجقة على ولاية العهد في عهد طغرلبك.

يمثل التنافس على منصب ولاية العهد في عهد السلطان طغرلبك الشرارة التي انطلقت منها أغلب نزاعات وحروب السلاجقة فيما بعد ليست على ولاية العهد فقط، وإنما ما تلاها من صراع على السلطنة نفسها التي فتح مجال الصراع عليها عدم قدرة السلاجقة على إقامة نظام لولاية العهد، فولاية العهد هي الطريق والمدخل إلى رئاسة السلطنة، ومما عزز فكرة التنافس على هذا المنصب في عهد السلطان طغرلبك عدم وجود وريث له كونه عقيم، إضافة إلى عدم قيام السلطان طغرلبك بتعيين ولي للعهد له في فترة مبكرة، فيقطع بذلك الطريق على المتزاحمين والمتدافعين نحو ولاية العهد، على أن الناظر في أولئك المتنافسين على ولاية العهد يجدهم القادة العسكريين من أفراد الأسرة السلجوقية، ويمكن أن يُعزى ذلك إلى الميراث العسكري الغزي الذي يرى في قائد الفتح الزعيم الأحق بتولي رئاسة الدولة أو القبيلة، وكذلك يمكن اعتباره انعكاساً للفتوحات التي أنجزها هؤلاء القادة بعد انتصارهم في داندانقان (٤٣١هـ /١٠٣٩ م).

تنافس على ولاية العهد في عهد السلطان طغرلبك ثلاثة من أفراد الأسرة السلجوقية سيتم تناولهم وفق التسلسل الزمني لتحركهم في المطالبة بولاية العهد.

أولاً: إبراهيم ينال:

يعد إبراهيم ينال صاحب السبق في إعلان العصيان والرفض لسلطة الدولة، واللجوء إلى التمرد والخروج على السلطان كوسيلة لإيجاد مكان له في قيادة الدولة وعرشها، مستنداً على خبرة عسكرية باعتباره الذراع العسكري في أغلب الفتوحات التي قام بها السلاجقة في طريقهم نحو بناء الدولة، قبل معركة داندانقان(١) وبعدها(٢) إضافة إلى الثقل القبلي الذي يستند عليه، والمتمثل بزعامته لثلث القبائل الغزية التي ورثها عن والده يوسف بن موسى، وهنا تجدر الإشارة إلى أمور كانت عاملاً مساعداً على العصيان .

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص٦٠١-٦٠٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥ ص٣١٤، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٠، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٤٨١-٤٨٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص ٣١٤ ،ابن الأثير، الكامل،ج٩،ص٥٠٧-٥٤٦، ابن تغردي بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج٥ ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ج٥ص٤٣ ، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة.

أولاً: إن إبراهيم ينال قائد عسكري بالدرجة الأولى وهذا يعني أنّ تمرده بمثابة انشقاق عسكري كان يمكن أن يفت في عضد الدولة باعتبار أن الجيش السلجوقي جيشاً قبلياً يعتمد في ولائه على طاعته إلى قائدة وزعيمه القبلي.

ثانياً: إنّ إعلان إبراهيم ينال لعصيانه الأول في فترة مبكرة سنة ٤٤١هـ /١٠٤٩م(١) قبل أن يحصل السلاجقة على الاعتراف الشرعي من الخليفة وبالتالي كان يُشكل بادرة سيئة لدولة لا زالت في طور النشأة.

العصيان الأول لإبراهيم ينال: ٤٤١هـ /١٠٤٩م

عند النظر في الزمن الذي أعلن إبراهيم ينال تمرده الأول يجد الباحث أن هذا أمرٌ طارئ خاصة أنه حدث في زمن زعيمهم القبلي الأول والذي حظي بتأييد أغلبية السلاجقة، والذي أسس فيما بعد الدولة لكن عدم وجود وريث للسلطان طغرلبك، اضافة الى عدم نضوج الفكر السياسي لدى أمراء وقادة السلاجقة، كل هذه الأمور سهلت لإبراهيم ينال فكرة التمرد الأول الذي أعلنه سنة ٤٤١هـ /١٠٤٩م والذي تتمثل أسبابه بمايلي:

أولاً : نزع كثير من الإقطاعات من إبراهيم ينال .

ثانياً: عدم تعيينه ولياً للعهد رسمياً .

ثالثاً : تحول طغرلبك لسلطان يحاول الإنفراد بالسلطة.

رابعاً : تركيز الولايات الكبرى مثل خراسان بيد جغربك داؤد وأولاده .

خامساً : توجس طغرلبك من إبراهيم ينال وطموحه.

مما أدى إلى تأزم العلاقة بين السلطان طغرلبك وأخيه إبراهيم ينال الذي رفض القبول بتلك السياسة المتبعة ضده وخلع طاعة السلطان طغرلبك فوقع القتال بينهما كانت نتيجته خسران إبراهيم ينال المعركة وانتقال ما كان بحوزته من مناطق إلى سلطة طغرلبك ثم عادت العلاقة بينهما وتصالحا وعرض عليه طغرلبك أن يمنحه مناطق جديدة، أو أن يقيم عنده فاختار الإقامة عنده(٢).

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٥٦-٥٥٧، منجم باشي، جامع الدول، ص١٤-١٥.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٥٥٦-٥٥٧، منجم باشي، جامع الدول، ص١٤-١٥.

وهنا يتضح أن طغرلبك أراد فرض سلطته باعتبارها رمز لسيادة الدولة التي لم تكن واضحة على ما يبدو سوى في فكر طغرلبك وهي كذلك رسالة إلى كل من يفكر في الخروج على سلطة وطاعة السلطان طغرلبك، ودليل ذلك أنّ السلطان طغرلبك عاد وقبل بالتصالح مع إبراهيم ينال لأكثر من سبب:

الأول: حاجة السلطان طغرلبك لإبراهيم ينال باعتباره أحد أفراد القادة العسكريين والدولة السلجوقية، إذ كانت لا تزال أمامها العديد من المناطق التي تحتاج لبسط السيطرة والسلطة عليها.

ثانياً: الحفاظ على وحدة العائلة السلجوقية، فالسلطان طغرلبك لا يريد حدوث انشقاقات بين أفراد أسرة آل سلجوق على الأقل في هذه المرحلة من مراحل بناء الدولة السجلوقية.

ثالثاً : قوة قبائل إبراهيم ينال .

العصيان الثاني:

ظلّت نفس إبراهيم ينال تواقة إلى السلطة راغبة في الملك طامحة إليه تبحث عن الوصول له، وتنتظر الوقت المناسب لتحقيق هذه الرغبة، وقد تواترت الأخبار إلى السلطان طغرلبك الذي وضع إبراهيم ينال تحت المراقبة بعد عصيانه الأول الذي كان بمثابة الظاهرة الأولى بالنسبة للسلاجقة الذين آلفوا الطاعة والولاء للقائد، أنّ إبراهيم ينال يُفكّر بالعصيان والتمرد مرة أخرى، ويبدو أن إبراهيم ينال قد أدرك أن السلطان طغرلبك على علم بنواياه فتوسط لدى الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليبعد الشبهات عن نفسه، ويتمكن من النجاح في مخططه ودليل ذلك الرسالة التي أرسلها الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى السلطان طغرلبك من خلال رئيس الرؤساء الذي خاطب السلطان طغرلبك على لسان الخليفة قائلاً: (قد راسلتك أيها السلطان عند وقوع الإرجاف عليه بعصيانه ـ أي إبراهيم ينال ـ عليك بان لا تقبل فيه قول قائل ولا تعجل عليه، فللناس أغراض يبلغونها بك، ويتسوفون بها عندك.

وقد قال تعال: (قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) وما يبلغني عنه إلا الطاعة الخالصة والمحبة الصادقة، والموالاة المؤكدة، بحيث أنني قد اشتهيت أن أراه، وقد شوقني ما أسمع عنه إلى مشاهدته فقال السلطان طغرلبك: (إذا أمر أمير المؤمنين سيّرته إلى خدمته ثم شرع يشكوه، فقال: سلمت إليه الجبل وعولت عليه، عصى

عليّ وجاهرني فسرت إليه فظفرت به وعملت معه الجميل، ولو كان ما ذُكر عنه الآن من العصيان حقاً لسرت إليه بنفسي وأخذت برقبته، وما أخاف إلا من شغلي به فتبقون أنتم ها هنا بحيث يتمكن العدو من انتهاز الفرصة فيكم)(١).

يظهر من رسالة الخليفة أن السلطان طغرلبك أراد أن يؤكد للخليفة صدق شككوه ومعلوماته عن إبراهيم ينال بأن عرض عليه إرساله للخدمة عند الخليفة، إضافة إلى تنبيهه للخليفة من خطورة عصيان إبراهيم ينال محاولاً كسب الخليفة إلى جانبه في موقفه من ابراهيم ينال بعد أن شعر أن لغة الخليفة تمدح إبراهيم ينال وتحاول أن تدفع عنه الشكوك، وقد بين أن خطر البساسيري سيكون أكبر في حال أعلن إبراهيم ينال عصيانه.

وتجدر الإشارة إلى أن حال عدم الثقة بين السلطان طغرلبك وأخوه إبراهيم ينال وصل إلى ذروته بينهما نتيجة خروج إبراهيم ينال من الموصل التي ولاه السلطان طغرلبك إياها سنة٤٤٩هـ /١٠٥٧م إلى بلاد الجبل معلناً العصيان فأرسل السلطان طغرلبك إليه من يستقطبه ويرجعه وأرسل إليه خلعاً وكتاباً من من الخليفة القائم يدعوه فيها إلى العودة إلى طاعة أخيه السلطان طغرلبك فعاد إلى بغداد وقد إستغل البساسيري وقريش بن بدران خروج إبراهيم ينال عن الموصل فتوجها إليها فاستوليا عليها ، فقرر السلطان طغرلبك التوجه إلى الموصل لقتال البساسيري وقريش بن بدران وعندما علما بإقترابه هربا فتبعهم السلطان إلى نصيبين، وفي تلك الأثناء خرج إبراهيم ينال بإتجاه همذان٢)

وكان إبراهيم ينال عندما أعلن عصيانه مستنداً على تحالفه مع الفاطميين الذين وجدوا في طموح إبراهيم ينال الفرصة المواتية للتخلص من خطر السطان طغرلبك وقد أورد الشيرازي تفاصيل هذا التحالف مبيناً أن إبراهيم ينال هو من بادر بالإتصال بالبساسيري وقريش بن بدران أثناء وجودهما في بالس قرب حلب مرسلاً إليهما كتاباً يطلب فيه مناصرته ضد أخيه طغرلبك إذ يقول الشيرازي: (... يخاطباني – أي البساسيري وقريش بن بدران على التوثق له أي – لإبراهيم ينال – بأن أسوق إليه ما يلتمسه من الحضرة النبوية من الاموال الجزيلة والخلع والألقاب والألوية حتى يبطش بطغرلبك البطش الشديد الذي يهد قوته، ويطفء نائرته، فتصير جميع ممالكه في قبضته وحوزته ، ويكون هو ملكها ، وعلى أن تكون الخطبة لنا – أي الفاطميين – بالخلافة

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٠٨.
(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٢، ابن الأثير ، الكامل ، ج٩، ص٦٣٩-٦٤٠.

والإمامة مقدمة على خطبته) ١) وهنا ضعف موقف طغرلبك العسكري نتيجة انشقاق إبراهيم ينال الذي سانده نصف الجيش الذي كان برفقة طغرلبك، وهذا يؤكد المكانة المهمة لإبراهيم ينال بين صفوف الجند باعتباره القائد العسكري المحنك، و بدأت الأحداث تتلاحق في فكر طغرلبك الذي كان حاله العسكري ضعيفاً، لكن ذلك كان لا يعنيه بقدر سيطرة إبراهيم ينال على همذان عاصمة الملك، فقرر التوجه نحو همذان بإعتبارها عاصمة الملك، فوصلها قبل وصول إبراهيم ينال (٢).

أما البساسيري فإنه تمكن وحليفه قريش بن بدران من دخول بغداد سنة ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م وقد قاوم العامة وبعض الجند الذين كانوا في بغداد لكنها كانت مقاومة ضعيفة استطاع البساسيري وقريش بن بدران سحقهما ودخول المدينة ونَهَبَ عسكر البساسيري وقتلْ أما الخليفة فقد استجار بقريش بن بدران بواسطة رئيس الرؤساء فأجاره حيث قال: (يا علم الدين ـ مخاطباً قريش ـ أمير المؤمنين يستدنيك، فدنا منه فقال له رئيس الرؤوساء: إن الله تعالى قد أتاك منزلاً لم ينلها أمثالك فإن أمير المؤنين يستذمّ منك على نفسه وأهله وأصحابه بذِمام الله تعالى، وذِمام رسوله(ص) وذِمام العربية، فقال قريش: (قد أذّم الله تعالى له) (فقال رئيس الرؤساء: ولي، قال: ولكَ، فقال: فأين الذِمام؟ فخلع قلنسوته فأعطاها الخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماماً) وقد أغاظ هذا الأمان الذي منحهُ قريش البساسيري، فراسل من الجانب الغربي للمدينة حليفهُ قريش بن بدران قائلاً: (ما هذا الأمان الذي انفردت به دوني؟. وقد كنا تعاهدنا على أن لا يستبد أحد منا بشيء دون رضى أصحابه، فأجابه قريش: إني ما عدلتُ عن ما استقر بيننا، والخليفة فما بينك وبينه عداوة؟ عدوك ابن المسلمة فخذهُ إليكَ وأنا أخذ الحليفة، وقد كنا شرطنا أن نتساوى في القسمة في كل شيء نظفر به، والآن واحد لي وواحد لك)(٣) فرضي البساسيري بذلك.

وأرسل قريش بن بدران رئيس الرؤساء، إلى البساسيري فأمر به فقتل لكن البساسيري عاد واختلف مع قريش بن بدران في أمر الخليفة، فكان رأي البساسيري إرساله إلى مصر وتسليمه إلى المستنصر بالله الفاطمي، بينما كان رأي قريش بن بدران أن يعتقل في بعض القلاع حتى يموت.

---

(١) المؤيد في الدين هبة الله بن أبي عمران موسى الشيرازي ، (من القرن الرابع هجري) مذكرات داعي دعاة الدولة الفاطمية ، حققه وقدم له د. عارف تامر ، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م ، بيروت ، ص٢١٨-٢١٩، وسيشار إليه لاحقاً هكذا ، الشيرازي ، داعي الدعاة.

(٢)ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص١٧، ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٣٩-٦٤٥، البنداري، دولة آل السلجوق، ص١٧ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٢٠، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص٩، منجم باشي، جامع الدول،ص١٤-١٥ .

(٣) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء ص١٩٣، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٣، ابن الأثير، ج٩، ص٧٤٢-٦٤٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٢٠، ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج٥، ص١١.

وكان الخليفة العباسي مطّلعاً على الخلاف الذي حدث بين البساسيري وقريش بن بدران فعاد وطلب الأمان مرة أخرى من قريش الذي سلمهُ إلى مهارش بن مجلي (١) مستحفظ قلعة الحديثة وكان قريش قد طلب من مهارش تسليمه إلى المستنصر بالله الفاطمي لكن مهارش أخذه إلى قلعة وخدمة فيها.

أما السلطان طغرلبك فقد كتب إلى زوجته خاتون ووزيره عميد الملك الكندري أن ينجداه بعد حصاره من قبل إبراهيم ينال، وفي أثناء ذلك جرت محاولة انقلابية من انو شروان بن خاتون والوزير عميد الملك الكندري، مستغلين فترة حصار السلطان طغرلبك في همذان وبذل عميد الملك الأموال لإستقطاب الأتباع وأخذ العهد لأنو شروان، وهنا ضعف كذلك موقف خاتون التي ثار من كان معها من الغز على الثياب والسلاح والأموال التي كانت بحوزتها، فاضطربت الأوضاع وأخفقت مساعي كل من الوزير عميد الملك الكندري وأنو شروان وأخذت خاتون تحاول جمع من تبقى معها لتنجد طغرلبك وسارت نحو همذان ثم لحق بها الوزير عميد الملك وأنو شروان، واعتذرا عما بدر منهما ووصلت الأخبار إلى إبراهيم ينال أن خاتون قادمة لنجدة طغرلبك فقرر إرسال مجموعة من الجيش لنهبها والحيلولة دون وصولها لكن هذه الخطة التي عزم على تنفيذها إبراهيم ينال كانت بداية النهاية لتفوقه، فالعسكر الذي أرسلهم لملاقاة خاتون ظنوا نفسهم أنهم سيغنمون الأموال التي بقيت مع خاتون، فبدأ من تبقى مع إبراهيم ينال يتبعون الجيش الذاهب لملاقاة عسكر الخاتون طمعاً في الغنائم والنهب، فأصبح إبراهيم ينال في عسكر قليل وكانت الأخبار تصل للسلطان طغرلبك بذلك الذي طلب النجدة والمساعدة من ابن أخيه ألب أرسلان واستغل الفرصة بقلة العسكر الباقين مع إبراهيم ينال والنجدة التي جاءته من خراسان من ابن أخيه ألب أرسلان بن جغربك داؤد ،إضافة إلى وصول خاتون بمن معها ناجية من جند إبراهيم ينال الذين دخل بعضهم في طاعة السلطان طغرلبك وبعضهم عاد إلى ابراهيم ينال عندما وجد أن الحصول على الغنائم من جيش خاتون أمر مستبعد، وبذلك تحسن الموقف العسكري لطغرلبك فخرج وقاتل إبراهيم ينال ومن تبقى معه وانتصر عليه وقُتِلَ أغلب من كان معه وهرب ابراهيم ينال إلى قزوين فأدركه طغرلبك وقتله(٢) وبذلك تخلص طغرلبك من إبراهيم ينال وخطرهُ على الدولة وبقتلهِ أعاد طغرلبك سيادة الدولة وهيبتها بعد أن تضعضعت أوضاع السلطنة السلجوقية، وكاد ما بناه السلاجقة أن يزول، وينتهي ذكره نتيجة مطامع الملك التي ظلت تراود إبراهيم ينال،

---

(١) مهارش بن مجلي، أمير العرب بحديثه عانة توفي سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، ابن العمراني تاريخ الخلفاء، ص٣٠٩.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٥-١٩٦، ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٤٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩، ابن الأثير، الكامل ج٩، ص٦٤٦-٦٤٧، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٨ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٣٥، ابن تغري بردي،ج٥ ص١١- ١٢.

والتي أربكت طغرلبك إلى درجة حصاره في همذان والتي ذهب إليها حفاظاً على ملكه من الزوال على يد إبراهيم ينال ودليل هذا ما ذكره طغرلبك في رسالته إلى ابن أخيه ألب أرسلان عندما طلب النجدة منه حيث قال: (إنّ أخي ـ يقصد إبراهيم ينال ـ نازعني حقي وسعى في إفساد ملكي ولا بد لي من إعانتك وإمدادك)(١)، وبالقضاء على إبراهيم ينال يكون السلطان طغرلبك قد قضى على أعظم خطر واجه الدولة السلجوقية في عهد مؤسسها طغرلبك.

ثانياً: ألب أرسلان بن جغربك داؤد.

كان الأمير ألب أرسلان بن جغربك داؤد من القادة العسكرين البارزين، وكان أبوه قد ولاّه خراسان(٢) التي تعد من أعظم مناطق الدولة السلجوقية، إضافة إلى أن ألب أرسلان يمثل أكبر أولاد جغربك داؤد، وكان السلطان طغرلبك قد استنجد به أثناء حصاره في همذان فانجده وانتصر طغرلبك على أخيه إبراهيم ينال وقتله.

كان الأمير ألب أرسلان يعد نفسه صاحب الحق في تولي عرش السلطنة السجلوقية بعد عمه طغرلبك، خاصة أنه وردت إشارة عند سبط ابن الجوزي تُبيّن الطموح السياسي لألب أرسلان الذي لم يجرؤ على المطالبة بولاية العهد في أثناء حياة عمه السلطان طغرلبك، بل سانده ضد من كان يطالب بهذا الحق، ولعل هذا ذكاءً من ألب أرسلان الذي أراد إخلاء الساحة أمام طموحاته وتطلعاته حيث قال سبط ابن الجوزي: (وفيها أي سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م وردت الأخبار بأن ألب أرسلان بن داؤد كان يجدد الأراجيف بالسلطان وقد جمع عسكره وجنده، ومقدار عسكره الذين في صحبته عشرون ألفاً وعشرة آلاف راجل وسار طالباً الري فلما تحقق عافية السلطان ووصوله إلى الري عاد إلى خراسان، ولم يحدث حدثاً وكان قد سار في عساكر عظيمة وهيبة جليلة وعدل شامخ)(٣).

فألب أرسلان كان من أوائل المتطلعين إلى السلطنة ولكن بعد وفاة السلطان طغرلبك لذلك نجده حسب الرواية أعلاه عاد من حيث أتى بمجرد تأكده من عافية السلطان لذلك يمكن القول أن ألب أرسلان كان يُعدّ نفسه بمثابة ولي العهد الذي يترأس السلطنة بمجرد إعلان وفاة السلطان أو

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص١٩.
(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩٩، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٢٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٩، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٦.
(٣) سبط، ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٩٩.

قرب وفاته، وما يميز طموح ألب أرسلان أنه كان سلمياً في حياة السلطان طغرلبك، بعكس طموح إبراهيم ينال الذي كاد ان يقضي على الدولة السلجوقية بل تحالف مع القوى الخارجية (الدولة الفاطمية) من خلال أحد دعاتها أرسلان البساسيري.

فألب أرسلان كان أحد المطالبين بولاية العهد ولكن في أواخر السلطان وتحديداً في مرحلة الأخبار التي بدأت ترد عن تدهور صحته سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م لذلك تم تناوله هنا.

الصراع على ولاية العهد في عهد السلطان ألب أرسلان بن طغرلبك داؤد ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م.

وصل ألب أرسلان إلى رئاسة الدولة السلجوقية متغلباً على أخيه السلطان سليمان بن جغربك داؤد الذي عيّنه السلطان طغرلبك قُبيل وفاته وليا للعهد ثم أصبح سلطانا بعد وفاته، لكن ألب أرسلان بعد أعلنت وفاة السلطان طغرلبك رفضت القبول بسلطنة سليمان، وسار من خراسان حيث يحكم إلى الري عاصمة السلطنة معلناً الحرب، ومطالباً بأن يكون السلطان مستنداً على شعبيته الواسعة بين الجند وأمراء الجيش أمثال ياغي سيان والأمير أردم؛ مما جعل الوزير عميد الملك الكندري يعرض مبادرة على ألب أرسلان تتضمن منحه عدداً من المناطق مقابل التراجع عن المطالبة بالسلطنة، لكن ألب أرسلان رفض تلك المبادرة، وصمم على قصدهِ فأضطر عميد الملك الكندري لإعلان الخطبة له(١).

بوصول ألب أرسلان إلى السلطنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م، يكون هذا أول نجاح لعصيان رفض الاعتراف بسلطنة ولي العهد، كذلك كان بداية لظهور إتجاه توريث الأبناء كأولياء للعهد في حياة أبائهم وهذا ما قام ألب أرسلان فقد عين ابنه ملكشاه ولياً للعهد سنة ٤٥٨هـ / ١٠٧٥م(٢). واتخذ الإجراءات الكفيلة بذلك مثل توزيع الأراضي والإقطاعات على أبنائه وأفراد الأسرة السلجوقية(٣). ، وتجدر الإشارة إلى أن نجاح توريث الابن ولاية العهد، ارتبط بأكثر عامل منها:

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص١٩٩ ،ابن الجوزي المنتظم، ج١٦، ص٨٢، ص٨٦-٨٧، الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٢٩ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩، البنداري، دولة آل سلجوق،ص٣٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٤٠-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٣.

(٣)انظر تفصيل ذلك الفصل الثاني من هذه الدراسة ص٥٦- ٥٧.

١- بقاء والده السلطان على قيد الحياة حتى يضمن ولاء قادة الجيش والأمراء لأبنه ولي العهد؛لأن استمرارية بقاء ولي العهد في منصبه مرهون ببقاء السلطان الأب على قيد الحياة.

٢- سن ولي العهد حتى يكون اختياره مقنعاً إلى جانب الحصول على تأييد الأمراء وقادة الجيش.

وهذان الأمران انطبقا على ابنه ملكشاه، وقد واجه السلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م ، عند ترؤسه الدولة العديد من حركات التمرد والعصيان التي كانت تطمح للملك، فقد انطلق أفراد الأسرة السلجوقية يتنافسون في الوصول إلى رئاسة الدولة السلجوقية من خلال إعلان التمرد والثورة، وسيتم تناول هذه الحركات وفق تسلسلها الزمني.

أولاً: عصيان فخر الملك بيغو٤٥٥هـ / ١٠٦٣م:

كان مقيماً بهراة خرج على السلطان ألب أرسلان عندما تسلم رئاسة الدولة السلجوقية، فسار إليه السلطان ألب أرسلان وحاصره في قلعة هراة التي كان متحصناً بها، فاضطر أمام ضغط الحصار إلى الإستسلام إلى السلطان ألب أرسلان فأكرمه(١).

ثانياً: عصيان قتلمش سنة ٤٥٦هـ /١٠٦٣م.

هو شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق، جد ملوك الروم من السلاجقة في آسيا الصغرى التي تأسست على يد ابنه سليمان الأول بن قتلمش، عندما تسلم السلطان ألب أرسلان السلطنة خرج طالباً السلطنة لنفسه، فجهز جيشاً عظيماً وقصد الري، وكان قتلمش يستند على جيش كبير وأموال طائلة وحصل على ذلك من خلال غزوه للروم والكرج منذ أيام السلطان طغرلبك فتجمع لديه المال والرجال، فقرر السلطان ألب أرسلان التوجه لقتاله فأرسل على مقدمة جيشه أحد قادته اسمه ساوتكين إلى الري، وسار السلطان ألب أرسلان من نيسابور وعندما وصل إلى دامغان(٢)أرسل السلطان ألب أرسلان إلى قتلمش يحاول استقطابه ونهيه عن الوصول إلى الصدام والقتال، لكن قتلمش رفض ذلك مستنداً على الأعداد الغفيرة من الجند الذين كانوا معه؛ إذ سمح لهم بنهب قرى الري، وفتح الماء باتجاه وادي الملح حتى لا يستطيع السلطان ألب أرسلان وجنوده سلوكها، فأجرى السلطان ألب أرسلان فرسه في الماء وتبعه عسكره واستطاعوا الخروج

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٩.
(٢) دامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٣.

منه إلى الجهة التي كان فيها قتلمش وجيشه وكان مع السلطان ألب أرسلان الوزير نظام الملك الطوسي الذي كان يشد عزيمة السلطان ويقول:

(قد جعلتُ لك من خراسان جنداً ينصرونك ولا يخذلونك، ويرمون دونك بسهام لا تخطئ، وهم العلماء والزهاد، فقد جعلتَهم بالإحسان إليهم من أعظم أعوانك)(١).

يقصد الوزير بهذا علماء خراسان الذين يدعون له بالنصر والفوز، إضافة إلى أن جيش السلطان ألب أرسلان قد ضم كبّار الأمراء العسكريين، فقد كان الأمير قطب الدين كلسارغ والأمير بهلوان شنكلوا على ميمنة الجيش، والأمير التونتاق على الميسرة، والأمير يلداجي والأمير سنقرجه والأمير اغاجي وغيرهم من الأمراء في القلب مع السلطان ألب أرسلان والتقى الجيشان وانهزم جيش قتلمش، وهرب قتلمش باتجاه قعلة كردكوه مثقلاً بجراحه وبعد انتهاء المعركة وجِد متوفياً، وبذلك تخلّص السلطان ألب أرسلان من أول منافس له على السلطنة(٢).

ثالثاً: عصيان قاورد بن جغربك داؤد: ٤٥٦هـ /١٠٦٣م.

كان قاورد مستولياً على كرمان سنة ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م منذ عهد السلطان طغرلبك ثم وسّع إقطاعه إلى شيراز سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣(٣) وعندما تولى الب أرسلان رئاسة الدولة السلجوقية خطبَ له قاورد بك ولنفسه من بعدِهِ وأرسل إليه قائلاً: (قد غنمنا هذه الأموال الكثيرة ولي فيها حصة معلومة ويدي خالية من المال وقاصرة، كما احتاج إليه ومن معي من الرجال فإن أنصفتني فيما يقتضيه دينك ومرؤتك فهو المعهود منك، وإن لم تفعل شكوتك إلى الله تعالى ورضيت بجميل الرأي منك) (٤).

فأرسل إليه السلطان ألب أرسلان أختهما كوهر خاتون لتقريب وجهات النظر بينهما، لكن وساطة كوهر خاتون لم تنفع فقد إتجه قاورد إلى كرمان حيث كان يقيم، وفي السنة التالية ٤٥٧هـ /١٠٦٤ م اتجه السلطان ألب أرسلان إلى شيراز وعندما وصلها تحصن قاورد منه في قلعة إلبير

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٠-٣٢، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٣٦-٣٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠-٣١.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦-٣٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٠.

(٣) البنداري، دولة آل سلجوق، ص٣٣.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص.٢١٦

واستأمن بعض عسكره إلى السلطان ألب أرسلان وحُمل قاورد إلى السلطان ألب أرسلان فأكرمه وأقره على اقطاعه كرمان(١).

وهكذا يتبين أن قاورد كان مطالباً بالإقطاع والغنائم وهي جزء من نظرة الغُز إلى الفتوحات التي قام بها السلاجقة مما يعكس جهلهم بفكرة الدولة، فقاورد لم يخرج عن طاعة السلطان ألب أرسلان، وإنما قصد الحصول على إقطاع أكبر وبعض الأموال.

الصراع على ولاية العهد في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م.

وصل السلطان ملكشاه إلى رئاسة الدولة السلجوقية سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م بعد أن كان ولياً للعهد ما يقارب السبع سنوات ٤٥٨-٤٦٥هـ /١٠٦٥-١٠٧٢م (٢) ويكون بهذا أول ولي للعهد وصل إلى رئاسة الدولة من خلال ولاية العهد بنجا

أولاً: عصيان قاورد بك بن جغربك داؤد سنة ٤٥٦-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢ م.

مثلما ورث السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان عرش الدولة السلجوقية عن والده ورث كذلك صراع وتنافس أفراد الأسرة السلجوقية، وكان أول الخارجين على السلطان ملكشاه عمه قاورد بن جغربك داؤد الذي سبق وأن خرج في عهد السلطان ألب أرسلان سنة ٤٥٦هـ /١٠٦٣م لكن خروجه آنذاك كان طمعاً في الأموال والإقطاع ولم يكن طلباً للسلطنة والسلطان، ومما شجّع قاورد بك على الخروج على السلطان ملكشاه هو المكانة التي يتمتع بها بين الجند(٣) وقد جرت مراسلات متبادلة بين السلطان ملكشاه وعمه قاورد بك يُبيّن كل منهما الدافع وراء مطالبته بالسلطنة(٤) فكان ذلك دافعاً لقاورد لأن يتحرك باتجاه عاصمة الدولة السلجوقية الري، لكن السلطان ملكشاه سبقه إليها، وجهز العساكر للقاء عمه، وكان العساكر في جيش السلطان ملكشاه مائلون إلى عمه قاورد بك باستثناء العساكر من العرب الذين كانوا بقيادة بهاء الدولة الأسدي(٥) وشرف الدولة مسلم بن

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٢٢١.

(٢) الحسيني، اخبار الدولة السجلوقية، ص٣٨-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص١٤٥، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٨-١٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٤١.

(٤) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص٥٨- ٥٩.

(٥) هو أبو كامل، منصور بن دبيس، نور الدولة الأسدي، أبو الفتح والد سيف الدولة صدقة مشهور بالكرم والشجاعة، وكان مطاعاً في العرب، الأصبهاني، جريدة العصر، ج٤، ص١٥٧.

قريش العقيلي(١) فكانوا منحازين إلى جانب السلطان ملكشاه وقد ثبت صدق موقفهم في المعركة عندما التقى جيش السلطان ملكشاه وجيش عمه قاورد بك ففي بداية المعركة انهزمت ميمنة السلطان ملكشاه نتيجة لموقف العساكر في جيشه وكادت الهزيمة أن تتم على جيش السلطان ملكشاه لولا تدخل بهاء الدولة ومسلم بن قريش بمن معهم من العرب الذين استطاعوا الإنتصار على ميمنة قاورد بك وقلب كفة الحرب لصالح السلطان ملكشاه، فاستطاع بذلك تحقيق النصر على جيش عمه قاورد بك، وقد قام عدد من العساكر المنهزمين من جيش السلطان ملكشاه في بداية المعركة بالهجوم على أمتعة بهاء الدولة وشرف الدولة كنوع من التعبير عن غضبهم نتجية تحسن موقف السلطان ملكشاه وقلب الفوز لصالحه، أما قاورد بك فقد هرب إلى إحدى القرى القريبة من موقع المعركة فُدّل عليه السلطان ملكشاه فأمر بإحضاره فلما وقف بين يدي ملكشاه قال له: (يا عم، كيف أنت من تعبك أما تستحي من هذا الفعل؟ أطرحت وصية أخيك، وأظهرت الشماتة به وقصدت ولده، وفعلت ما ألقاك جوابه) فقال قاورد بك: (والله ما أردت قصدك، وإنما عسكرك واصلوا مكانتي)(٢).

فرقّ قلب السلطان ملكشاه له، فقال لوزيره نظام الملك الطوسي (أنا لا أقطع رحماً وأضيع نسباً وعم الرجل بمنزلة أبيه) فقال له: نظام الملك الطوسي: (الملْكُ عقيم وهولا ينظر إليك إلا بعينٍ فيها من وجودكَ قذى، ولا يواليكَ إلاّ بصدرٍ ينطوي من ملككَ على أذى، ولو ظفر بكَ ما أخذتهُ فيكَ رحمةً ولا رحم) فقال السلطان ملكشاه: (هل على وجه الأرض أخسرُ صفقة ممنْ قطعَ يمينهُ بشمالهِ وقتلَ عمهُ الذي هو بمنزلةِ أبيه)(٣) فأمرَ بأن يُعتقل في همذان، من أجل أن يتم مصادرة الأموال التي كانت مفاتيحها بحوزته، وعندما طُلِبت منه قالَ: (بلاد كرمان تضايقت حدودها، دخلها قليل وساكنها عليل، وكل مالي فيها من الأموال والخزائن تحفة مني لغلام من غلمان السلطان فأطلقوني حتى أسير إلى بلاد عُمان وأكون للسلطان عماً مطيعاً ووالداً حدباً، فإني قد علمّتُ أن ماء وجهي صار غوراً ولا استطيع له طلباً)(٤).

فأمر السلطان ملكشاه أن يُحّمل عمه إلى همذان مقيّداً ليُعّتقل فيها خشية أن ينتصر العسكر له أو يتسبب في عصيان بين الجنود نتيجة مكانته بينهم، ثم أمر السلطان ملكشاه بقتله وقيل أن قتلهُ

---

(١) من أمراء بني عقيل، شاعر، وأديب، الأصبهاني ، جريدة العصر،ج٤، ص١٥٨.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٥-١٤٦، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٥٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٨-٧٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٥٠ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٤١.
(٣) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٥٧-٥٨.
(٤) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٥٧-٥٨.

تم بمشورةٍ من الوزير نظام الملك الطوسي الذي خوّف السلطان ملكشاه منه(١)خاصة أن العسكر بعد أن عادوا برفقة السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك الطوسي طالبوا بزيادة أرزاقهم وأوصلوا مطالبتهم إلى الوزير نظام الملك الطوسي ليوصلها بدوره إلى السلطان ملكشاه، وحملتْ رسالتهم نوعاً من التهديد أنه إذا لم تتم الاستجابة لمطالبهم فإنهم سيدعون لقاورد فلجأ الوزير نظام الملك الطوسي لإجراء تمثل بتهدئة الجند حيث قال: (إنني سأحدثُ السلطان بذلك هذا المساء وسأحقق لكم مقصودكم) وحثّ السلطان على التخلص من عمه قاورد بك حتى لا يشكل الجند من خلاله وسيلة ضغط على السلطان ملكشاه فأصدر السلطان أمراً بقتله خنقاً وهناك من يقول أنه أُسقي سماً وسملوا أعين ولديه، وفي اليوم الثاني عندما عاد الجند لمطالبهم اتخذ الوزير نظام الملك الطوسي من مقتل قاورد بك ذريعة بأن السلطان حزين لوفاة عمه ومن غير المناسب التحدث معه بأي أمر في ظل حزنه على عمه ؛ فكان ذلك سبباً لهدوء الجند الذين فقدوا أميرهم الذي هددوا بالدعوة له إن لم يستجيبوا لمطالبهم(٢).

ثانياً: عصيان تكش بن ألب أرسلان الأول: ٤٧٣هـ /١٠٨٠م.

عصى تكش على أخيه السلطان ملكشاه سنة ٤٧٣هـ /١٠٨٠م وقد هيأ السلطان ملكشاه سبب العصيان، وذلك أنه حضر عرض عسكري في العاصمة الري فأمر بأسقاط سبعة آلاف جندي منهم وقد حذره وزيره نظام الملك الطوسي من مغبة هذا القرار الذي يبدو أن إقدام السلطان ملكشاه عليه كان لأسباب اقتصادية بهدف ضبط النفقات، ودليل ذلك ما قاله الوزير نظام الملك الطوسي للسلطان: (إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية، إذا أُسقِطوا لا نأمن أن يقيموا أحداً فيفسدوا في البلاد ويخرج من أيدينا أضعاف ما لهم من الجاري قبل أن نظفر بهم)(٣).

لكن السلطان ملكشاه لم يأخذ بنصيحة الوزير، الذي صدقت توقعاته، فقد توجه هؤلاء الجند إلى شهاب الدين تكش الذي كان مقيماً ببوشج(٤) فوجد فيهم مادة خصبة للثورة على أخيه السلطان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص١٤٥-١٤٦، الراوندي، راحة الصدور، ص١٩٨-ص٢٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٧٨-٧٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٥٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٠٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٤١.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٠، اليزدي، العراضة، ص٦٠ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٨٨-١١٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٩٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٤-٤٥.

(٤) بلدة خصيبة في وادٍ مشجر من نواحي هراة. بينهما عشرة فراسخ، الحموي معجم البلدان، ج١، ص٥٠٩.

ملكشاه فأعلن الثورة واستولى بهم على أغلب بلاد خراسان وأراد التوجه نحو نيسابور لكن السلطان ملكشاه سبقه إليها، فاتجه تكش إلى ترمذ وتحصن بها، فحاصره السلطان ملكشاه بها، وكان قد أسر جماعة من أنصار السلطان ملكشاه فتفاوض مع السلطان بشأنهم وأطلقهم وتصالحوا وأقرّه على ولايتهِ بلخ وعفا عنه(١).

ثالثاً: عصيان تكش بن ألب أرسلان الثاني سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م.

ظل الخروج على طاعة السلطان ملكشاه والثورة ضده يدور في خلد تكش الذي لم يتعض من المرة السابقة في ثورته وعصيانه التي باءت بالفشل. وسبب خروجه أنه رأى أن السلطان ملكشاه أصبح بعيداً عنه، وكان أصحابه يحرضونه ليخرج على السلطان ملكشاه وهدفهم النهب والسلب فوافقته الفكرة، فنهب كل من مرو الروذ، ومرو الشاهجان، وسرخس، فسار إليه السلطان ملكشاه وقد دبر والي نيسابور أبو الفتوح الطوسي مكيدة كانت السبب في هزيمة تكش، فقد كتب كتاباً بخطه الذي يتشابه مع خط نظام الملك الطوسي الذي يبدو أنه كان معروفاً لدى تكش إلى مسعود بن ياخز صاحب سرخس وأدّعى فيه أن السلطان اقترب بعسكره من بلاده وطلب منه عدم إشاعة ذلك حتى يتفاجئ بهم تكش فتقع عليه الهزيمة.

وأعطى أبو الفتوح الطوسي الكتاب إلى أحد رجاله وطلب منه أن يتجه إلى حيث يقيم تكش بعسكره ويتظاهر أنه يريد الدخول إلى البلد، إلى أن يُلقي جنود تكش عليه القبض فيتظاهر بالإمتناع عن إظهار أي شيء بحوزته حتى يتعرض للضرب فيُخّرج الكتاب، وعندما نجحت الخطة وقرأ تكش الكتاب سار وجنوده من لحظتهم، وأخذوا من أمتعتهم ما قدروا على أخذه خوفاً أن يدركهم السلطان ملكشاه فاتجه إلى مرو لكن أهلها رفضوا أن يفتحوا لهم البلد ، فوصلت في تلك الأثناء مقدمات جيش السلطان ملكشاه بقيادة الأمير بزان وانضم إليه كل من أمير سرخس مسعود بن ياخز، والأمير برسق، وأصبحوا يسيرون خلف تكش الذي أسرع بإتجاه بلخ ليستخرج أمواله وذخائره منها وعندما اقترب السلطان ملكشاه منه تحصن بقلعة بلخ وأرسل رسول غزنة يتوسط له لدى السلطان ملكشاه ليعفو عنه، لكن السلطان ملكشاه رفض قبول الوساطة واستمر يحاصره وأثناء حصاره أرسل تكش إلى السلطان ملكشاه رسولاً يعرض مطالبه لعقد مصالحه مع السلطان وإنهاء حاله الحصار والحرب، وتمثلت مطالبه بـ:

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١٨-١١٩، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٠٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٤-٤٥.

١- إستعداده للحضور بين يدي السلطان ملكشاه كنوع من التعبير عن الخضوع والعودة إلى طاعة السلطان ملكشاه، لكن بشرط ان يكون الضامن لسلامته الوزير نظام الملك الطوسي.

٢- تسليم القلاع التي بيده.

٣- أن يقره السلطان ملكشاه على عمله.

وبعد أن أخبر السلطان ملكشاه بهذه الشروط كان رده:

١- الموافقة على إقراره في عمله في بلاده.

٢- إبقاء قلاعه في يده ويزيد في إحسانه.

٣- أن يحضر عند السلطان وسيحصل على الضمان الذي يريد لسلامته، وإن خشي الحضور يتم تعيين موقع آخر له في بلاده.

٤- أن يُسلّم طخارستان للسلطان.

فرد تكش على عرض السلطان ملكشاه.

١- أنه سيقوم بتخريب القلاع التي في يده.

٢- لن يحضر للقاء السلطان ملكشاه، وإنما يلتقيان كل واحد منهما على رأس جبل بينهما الوادي. ويتعاهدان.

٣- أن تسلم إليه هراة وأن يكون موفد السلطان ملكشاه إليه خواجه برزك أسوة بمسلم بن قريش الذي بعث السلطان ملكشاه إليه خواجه برزك للتعاهد معه فرض السلطان ملكشاه مطالب تكش أمر بضرب رسول تكش ورده إليه(١).

والناظر في المفاوضات التي جرت بين السلطان ملكشاه وأخيه تكش يجد أن السلطان ملكشاه قد راعى الرحم والقربى في أخيه وخيّره بين أكثر من خيار، لكن تعنت وإصرار تكش على موقفه ومطالبه جعل السلطان ملكشاه يتجه للحل العسكري وتجدر الإشارة إلى أنه هناك أمران عجلا وسهلا نهاية تكش بن ألب ارسلان وهما:

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٢٤-٤٢٥.

١- الأمر المعجل: رفض تكش لعروض السلطان ملكشاه عليه بأن يقره في بلاده ويمنحه الإقطاعات.

٢- الأمر المسهل: الخطة المحكمة التي دبرها الوزير نظام الملك الطوسي والتي جعلت تكش يصبح محاصراً في قلعة بلخ، ويتكاتف ضده كل من أمير سرخس مسعود بن ياخز، والأمير بوزان الذي كان على مقدمة جيش السلطان ملكشاه، والأمير برسق(١) مما أضعف الموقف العسكري لتكش مقابل جيش السلطان ملكشاه الذي كان مقدمة جيشه من انضم إلى مقدمته قبل برسق يحاصرونه تكش، وعندما وصل السلطان ملكشاه إلى بلخ أخذ تكش بعد أن وعده أن لا يمسه بسوء، فسلّمَ تكش إلى ابنهِ أحمد ليقوم بكحله وسجنه حتى يبرّ بيمينه بعد أن أشار عليه من كان في مجلسه بذلك(٢).

وبعد إلقاء القبض على تكش وسجنه وكحله، يكون السلطان ملكشاه قد تخلص من أخر خطر على الدولة قاده أحد أفراد الأسرة السلجوقية.

الصراع على ولاية العهد في أعقاب وفاة السلطان ملكشاه بن أب أرسلان ٤٨٥هـ /١٠٩٢م.

يُعد الصراع على ولاية العهد في عهد السلطان محمود بن ملكشاه أمراً حتمياً لأكثر من سبب:

أولاً: أن تعيين محمود بن ملكشاه ولياً للعهد قبيل وفاة السلطان ملكشاه هو إقصاءٌ وتجاوزٌ لحق بركيارق بن ملكشاه في تبوء منصب ولاية العهد، وهذا الأمر أسس لصراع بين الأخوة (محمود وبركيارق) فيما بعد.

ثانياً: وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان المفاجئة سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م (٣)؛ مما جعل ولي العهد الصغير (محمود ملكشاه) أمام مواجهة مرتقبة مع بركيارق الأبن الأكبر للسلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان من أبنائه الباقين على قيد الحياة.

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٦٣-٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٧-١٣٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٩٢-٤٢٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٩-٥٠.

(٢) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٣-٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٣٧-١٣٨، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٩٨-٤٢٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٩-٥٠.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦ ص٣٠٨، ٣١٣، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٩، ٢١٢، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢١٠-٢١١، البنداري، دولة سلجوق، ص٧٠، ٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧، منجم باشي، جامع

كانت تركان خاتون والدة السلطان محمود ووزيرها تاج الملك أبو الغنائم، اللاعبان الرئيسيان في الصراع على ولاية العهد فهما من أعلن انطلاق هذا الصراع من خلال قيام تركان خاتون بمساندة وزيرها تاج الملك أبو الغنائم بالتأثير على السلطان ملكشاه لتعيين أبنها محمود ولياً للعهد(١) على الرغم من وجود الأخ الأكبر غير الشقيق له بركيارق مخالفين بذلك الطريقة التي جاء السلطان ملكشاه نفسه الذي اختاره والده السلطان ألب أرسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢ م) ليكون ولياً للعهد باعتباره أكبر ابناءه سناً[٢].

ولا بد قبل الدخول في أحداث الصراع على ولاية العهد من تناول مجريات الأمور التي وقعت خلال الفترة الممتدة ما بعد وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م وتنصيب ولي عهده ابنه محمود سلطاناً إلى حين تولي السلطان بركيارق بن ألب أرسلان السلطنة سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م.

شغر منصب رئاسة الدولة السلجوقية بوفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) المفاجئة، وتبعاً لهذا فإن العادة جرت أن يتولى ولي العهد منصب الرئاسة خلفاً للسلطان المتوفى وهنا بدأت الأحداث تُهيئ للمواجهة، فقد تبنت تركان خاتون مشروعاً يتضمن وصول ابنها للسلطنة وبقاؤه فيها فقامت بسلسلة خطوات كانت موجهة للجبهة الداخلية، وأول عمل قامت به كتمان خبر وفاة زوجها السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان(٣) حتى تتخذ التدابير اللازمة لذلك فابتدأت بأمراء الجيش فأسترضتهم بإغداق الأموال عليهم(٤) ثم بعثت بخاتم السلطان ملكشاه مع الأمير قوام الدولة صاحب الموصل إلى مستحفظ قلعة أصبهان التي كانت مستودع الأموال والخزائن ليقوم بتسليمها وكأن الأمر موجّه من السلطان ملكشاه ثم أرسلت الأمير قماج ليستولي على القلعة، ثم راسلت الخليفة المقتدي ليعلن الخطبة لابنها محمود فاستغل صغر سن أبنها ليعيد جزء من مكانة الخلافة المسلوبة فرفض في البداية قائلاً (إن ابنك صغير وهو لا يليق للملك).

الدول، ص٥٨-٥٩.

[١] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، ٢١٤-٢١٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٨٨.

[٢] الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٣٨-٤١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٣٢-٣٣.

[٣] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩-٣٠٠، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ٢١٤-٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧٠، ٨١ سبط ابن الجوزي، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢.

[٤] ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٦، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢١٤-ص٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول ص٦٢.

وجرت مفاوضات سريعة بين تركان خاتون والخليفة للحصول على الاعتراف الشرعي منه لسلطنة ابنها محمود، وكانت هذه المفاوضات قد جاءت في وقت كانت العلاقة متأزمة بين الخليفة العباسي والسلطان ملكشاه، الذي كان قد قرر تغيير الخليفة المقتدي وإخراجه من بغداد قبيل وفاته فوسّط الخليفة الوزير تاج الملك أبو الغنائم لإعطائه مهلة قبل خروجه عن بغداد فأعطاه السلطان ملكشاه عشرة أيام فمات السلطان قبل أن تنتهي مهلة إخراج الخليفة عن بغداد وكان سبب تأزم العلاقة بينهما شكوى ابنته (أي السلطان ملكشاه) من زوجها الخليفة الذي كان هاجراً لها(١).

وقد استغل كل من الخليفة المقتدي (٤٦٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٧٤-١٠٩٤ م) وتركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه حاجة الآخر له، فالخليفة كان يريد إعادة هيبة الخلافة التي سلبت لصالح السلاجقة والثأر لنفسه من سياسة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان قبيل وفاته تجاهه(٢) فأملى شروطه، وكانت تركان خاتون تريد أخذ العهد لإبنها محمود بن ملكشاه ونقطة ضعفها الوحيدة صغر سن إبنها، وحاجتها للوقت حتى لا ينتشر خبر وفاة السلطان ملكشاه الذي كتمته إلى أن تدبر الامور قبيل انتشاره(٣). وقد لجأت تركان إلى ممارسة الضغط على الخليفة من خلال توددها إلى الأمير جعفر بن الخليفة من زوجته (مهملك خاتون) إبنه السلطان ملكشاه وكانت تناديه بحضور والده الخليفة (يا أمير المؤمنين) فعندما أراد السلطان ملكشاه تغيير الخليفة قبيل وفاته كان الخيار المطروح أن يتم المناداة بجعفر ابنه خليفةً وأن تُبنى داراً للخلافة وحرماً ملحقاً بها في أصبهان(٤).

أما الخليفة فكانت شروطه هي:

أولاً: أن تكون الخطبة للخليفة وإسم السلطنة لمحمود بن ملكشاه.

ثانياً: أن يكون المسؤول عن إدارة الجيوش وشؤون البلد الأمير أنر بشرط الرجوع إلى رأي الوزير تاج الملك في ذلك(٥).

ثالثاً: أن يكون المسؤول عن جباية الأموال وتعيين العمال الوزير تاج الملك(١).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢١٤، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٥-٢١٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٧٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٨.

(٣) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج١٦، ٢٩٩، ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥ ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان، ص٤٧٥، منجم باشي ، جامع الدول ، ص٥٨.

(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٦.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩-٣٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢

وقد رفضت تركان خاتون شروط الخليفة في البداية، لكنها لا تملك خياراً آخر خاصة في ظل صغر سن ابنها محمود الذي كان عمره خمس سنوات وأشهر فأذعنت وقبلت تلك الشروط إدراكاً منها لضرورة حسم الموقف سريعاً قبل انتشار خبر وفاة السلطان، وكان المخاطب لها في صغر سنه الإمام الغزالي فخُطِب لأبنها بعد أن تم القبول بشروط الخليفة الذي مارست تركان خاتون ضده ضغطاً من خلال ابنه جعفراً وتلقب السلطان محمود بناصر الدنيا والدين، وخُطب له بالحرمين الشريفين(٢).

ثم قامت تركان خاتون بعد ذلك بإرسال الأمير كربوغا ليقبض على بركيارق(٣) حتى لا يبقى منافس للسلطان محمود فقبض عليه وحبسه، ولكن انتشار خبر وفاة السلطان ملكشاه جعل الغلمان النظامية يثورون بسلاحهم الذي حصلوا عليه من من مخبئ للسلاح كان لنظام الملك فأخرجوا بركياروق من سجنه في أصبهان إلى مدينة ساوة(٤) ومنها إلى بلدة آبة(٥) وسبب ذهاب النظامية ببركيارق إلى آبه وجود قائد جيشه الأتابك كمشتكين جاندار، الذي أصطحبه مع النظامية إلى مدينة الري وأجلسوه على العرش ونصبوه سلطاناً، واجتمع مع بركيارق عدد كبير من الأتباع يقدر بعشرين ألف رجل(٦).

أما تركان خاتون فإنها توجهت برفقت ابنها محمود بن ملكشاه والوزير تاج الملك إلى أصبهان وفي أثناء سيرها بدأت أولى الانقسامات والانشقاقات في جيشها، فقد طالب العسكر المرافق لها الوزير تاج الملك بالأموال فظلّ يؤجّلهم حتى وصلوا قلعة برجين فصعد إليها وعصى على تركان خاتون ولم ينزل بحجة الخوف من العسكر وكان قد فرّغ خزانته من محتوياتها فعندما نهبها العسكر بعد عصيانه لم يجدوا شيئاً ؛ مما يدل على أن الوزير تاج الملك كان يضمر العصيان، فأكملت تركان خاتون المسير باتجاه أصهبان وعندما وصلت لحق بها الوزير تاج الملك

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩-٣٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ٣٠٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٣١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥

(٤) ساوة: مدينة بين الري وهمذان في وسط بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً. الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٧٩.

(٥) آبة: بلدة صغيرة تقابل ساوة تعرف بين العامة بأوه أهلها شيعة وأهل ساوة سنة وقامت بين البلدتين حروب سبب المذهب، الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٠.

(٦) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠-٣٠١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧، الحسني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣.

متذرعاً بان مستحفظ القلعة حبسه، وأنه على العهد للسلطان محمود فقلبت اعتذاره(١). فهي ليست بحاجة لمزيد من الانشقاق والعصيان خاصة في هذه الفترة الحرجة فتركان كانت تراهن على كسب الوقت ضد بركيارق أما بركيارق فكانت شعبيته وانصاره في إزدياد، فقد انضم إليه في الري الأمير أرغش النظامي بعساكره إضافة إلى جماعة الأمراء، فصار جيش بركيارق بهم قوياً وقرر التوجه نحو أصبهان حيث تقيم تركان خاتون والدة أخوه محمود ووزيرها تاج الملك أبو الغنائم الذي كان وجوده إلى جانب محمود بن ملكشاه ووالدته تركان خاتون لصالح بركيارق الذي حظي بتأييد النظامية الذين يكرهون الوزير تاج الملك لقناعتهم بأنه السبب في قتل الأب الروحي لهم الوزير نظام الملك الطوسي(٢).

فحاصر بركيارق بمن معه قلعة طبرك وسيطر عليها، واتجه صوب أصبهان وعندها سيّرت تركان خاتون جيشاً بقيادة الوزير تاج الملك لقتال بركيارق والتقى الجيشان قرب بروجرد(٣). فإنضم عدد من الأمراء الذين كانوا في جيش تركان خاتون مثل الأمير يلبرد وغيره من الأمراء إلى جيش بركيارق فتحسّن موقف بركيارق العسكري وبدأ الضعف ينخر جيش تركان خاتون الذي هُزم في المعركة وهرب باتجاه أصبهان وسار جيش بركيارق خلفهم فحصرهم بأصبهان وأثناء حصاره أحضر بعض عسكره الوزير تاج الملك أبو الغنائم الذي هرب بعد انهزام الجيش الذي يقوده إلى إحدى قرى بروجرد، فأراد بركيارق أن يُعيّنه وزيراً له لكفايته فبدأ الوزير تاج الملك يحسن علاقته مع كبار أمراء النظامية لإزالة الحقد الدفين تجاهه نتيجة مساهمته في قتل أميرهم الوزير نظام الملك الطوسي سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م

فوظّف المال لذلك ونجحت مساعيه في ذلك لكن نهاية الوزير تاج الملك كانت على يد صغار غلمان النظامية الذين حرضهم عثمان والي نظام الملك على مدينة ساوة، ، وتمكنوا من قتله ثأراً لأميرهم نظام الملك الطوسي وبذلك أُسدل الستار على حياة الوزير تاج الملك أبو الغنائم،

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠-٣٠١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠-٣٠١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣.

(٣) بَرُوجرد: بلدة بين همذان وبين الكرج، بينها وبين همذان ثمانية عشر فرسخاً وبينها وبين الكرج عشرة فراسخ، الحموي، معجم البلدان، ص١، ص٤٠٤.

ونُصّب بركيارق سلطاناً في أصهبان(١) على أن انتصار بركيارق على قوات تركان خاتون لم ينهي طموحها بل استمرت في غايتها في التخلص من بركيارق المنافس القوى والخطير والذي ازدادت قوته مقابل تراجع تركان خاتون بهزيمة جيشها.

الصراع على ولاية العهد في عهد السلطان بركيارق ٤٨٦ ـ ٤٩٧ هـ/ ١٠٩٣ـ ١١٠٣م

أولاً: عصيان تتش بن ألب أرسلان الأول سنة ٤٨٦ هـ/١٠٩٣م

قبل أن يتخلص بركيارق من خطر تركان خاتون وإبنها محمود ابن ملكشاه، خرج عليه عمه تاج الدولة تتش الذي كان مقيماً بدمشق من قبل أخيه السلطان ملكشاه، وكان قد سار إليه قبيل وفاته سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م عندما كان في بغداد، وعندما بلغه خبر وفاة السلطان ملكشاه كان قد وصل إلى منطقة هيت فاستولى عليها ثم عاد إلى دمشق يتجهز للخروج مطالباً بالسلطنة باعتباره أخ السلطان ملكشاه وأن ولي عهده صغير السن عمره خمس سنوات وأشهر وأخوه الثاني بركيارق أربع عشر سنة، فرأى ـ بحسب تفكيره ـ إمكانية الوصول إلى رئاسة السلطنة. فابتدأ بحلب وكان فيها قسيم الدولة آقسنقر فتحالف معه وكان قد تحالف مع تتش مضطراً لأنه أدرك أن تتش لا يمكن دفعه وأن أولاد ملكشاه في نزاع وشقاق(٢).

ثم دخل في حلفه الأمير ياغي سيان صاحب أنطاكية، وبوزان صاحب الرُها وحرّان وكان هؤلاء الأمراء قد أخذوا برأي الأمير قسيم الدولة أقسنقر الذي أشار عليهم بالدخول في طاعة تتش إلى أن تتضح معالم النزاع بين أبناء السلطان ملكشاه (محمود، وبركيارق)، وتوسع تتش في فتح العديد من المدن والمناطق ففتح نصيبين ونهبها، وأخذ الموصل بمساندة أقسنقر وبوزان ونهبها وكان يريد من الموصل طريقاً إلى بغداد ليُعلن الخطبة له من الخليفة العباسي وأرسل إلى الخليفة في ذلك فامتنع الخليفة ورد رسوله قائلاً: (إنما تصلح للخطبة إذا حصلت الدنيا بحكمك، والخزائن التي بأصبهان، وتكون صاحب الشرق وخراسان، ولم يبق من أولاد أخيك من يخالفك وأما في هذا

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٣٠٠-٣٠١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩، الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ص٧٥-٧٦، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٢١٩-٢٢٠، البنداري، دولة أل سلجقوق، ص٨٢-٨٣ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٩-٤٩٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤.

الحال فلا سبيل إلى ما التمسته، وليكن خطابك صراحة لا تحكماً وسؤالاً وتجبراً، وإن أبيت قاتلناك ورديناك، وانابك من لأفضل لك به)(١).

نلاحظ من رد الخليفة العباسي على كتاب تتش بن الب أرسلان، أن الخليفة عدد شروط حصول إعلان الخطبة له والمتمثلة بـ :

أولاً: سيطرته على أصبهان، وخراسان والشرق.

ثانياً: أن يصبح السلطان الأوحد من آل سلجوق الذي لا ينازعه أحد سواء بالسيف أو بالتوافق.

ثالثاً: أن تكون طريقة المطالبة والمخاطبة أكثر لباقة ولطفاً.

رابعاً: في حال رفضت هذه الشروط سيكون السيف هو الخيار والرد ويمكن القول بناءً على هذا أن الخلافة العباسية وجدت في نزاع أفراد الأسرة السلجوقية وتنافسهم فيما بينهم على السلطنة وسعيهم لدى الخلافة العباسية للحصول على الاعتراف الشرعي بالسلطنة وإعلان الخطبة لهم وسيلة للتحرر منه قيود السلاجقة الذي أذهبوا بها هيبة الخلافة العباسية وجردوها من صلاحياتها وجعلوها مقتصرة على الأمور الدينية فقط.

وحارب تتش إبراهيم بن قريش بن بدران أمير بني عقيل لأنه رفض أن يبايع له فقاتله تتش بمساندة أقسنقر وبوزان واستطاعوا هزيمة إبراهيم بن قريش ومن معه من أمراء العرب فأمر بقتلهم ونهب أموالهم، وملك الموصل فأقام عليها علي بن شرف الدولة والياً وكانت أمه لعلي صفية عمة تتش التي كانت متزوجة من شرف الدولة وبعد وفاته تزوجت باخيه إبراهيم الذي قُتِل على يد تتش الذي اتجه إلى ديار بكر وميافارقين وأخضعها لحكمه، ثم إلى أذربيجان، فوصلته الأخبار أن بركيارق قد استولى على الري وهمذان، وأنه قرر مواجهته، وعندما التقى جيش بركيارق وجيش عمه تكش قال الأمير أقسنقر للأمراء بوزان، وياغي سيان يحرضهما على الإنسحاب من جيش تكش لصالح بركيارق قائلاً: (إنما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر ابنه، ونريد أن نكون معه على ذلك)(٢).

وكان انحياز الأمراء لصالح بركيارق على قدر كبير من الأهمية بحيث أنه جعل تتش ينسحب ويعود إلى الشام، مما سهل طريق بركيارق نحو بغداد وإعلان الخطبة له وآجّل الصراع

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٢-٨٣، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢١-٢٢٢، سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان، ص٤٩٠-٤٩١، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤.

بينهما لكنه لم ينهه ووصل بركيارق إلى بغداد فعزل كوهرائين شحنة بغداد الذي ساند تتش في عصيانه ضد بركيارق فلما عاد تتش إلى الشام عاد كوهرائين إلى بركيارق معتذراً عما بدر منه، لكن بركيارق أخذ إقطاعه وعزله من منصبه فأل ذلك كله إلى الأمير يلبرد(١).

عصيان إسماعيل بن ياقوتي بن جغربك داؤد

بعد انسحاب تتش وعودته إلى الشام، عادت تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه إلى مسرح الحياة السياسية التي ابتعدت عنها لفترة بسيطة بهدف البحث عن حليف يساندها ضد خصمها بركيارق بن ملكشاه فوجدت هدفها في اسماعيل بن ياقوتي بن جغربك داؤد خال بركيارق والذي كان أميراً في أذربيجان، فراسلته ووعدته بالزواج منها وطلبت منه التحالف معها ومحاربة بركيارق، فتحالفا على ذلك، فجمع عدداً كبيراً من التركمان، وأرسلت إليه تركان خاتون مدداً يرأسه عدد من الأمراء، فسمع بركيارق بتحالف خاله وزوجة أبيه فسار إليه والتقى الجيشان(٢) عند الكرج فإنحاز عدد من الأمراء إلى جيش بركيارق فانهزم جيش التحالف (إسماعيل بن ياقوتي، وتركان خاتون) وهرب إسماعيل ياقوتي إلى اصبهان حيث تقيم تركان خاتون مع إبنها محمود بن ملكشاه فأكرمته وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد اسمه ابنها محمود، لكن تدخل الأمراء الذين كانوا في حلف تركان خاتون منذ صراعها مع بركيارق عجّل بنهاية التحالف ونهاية عمر إسماعيل بن ياقوتي، وقد تزعم ذلك الأمير أنر الذي كان صاحب النفوذ الأقوى بين جيش تركان خاتون فقد خشي الأمير أنر من تعاظم نفوذ ومكانة إسماعيل بن ياقوتي؛ مما يهدد مكانته ونفوذه، فزاد النفور بينهم (الأمراء، وإسماعيل ابن ياقوتي)، ففارق إسماعيل تركان خاتون، وأرسل أخته زبيدة خاتون والدة بركيارق لتتوسط له عند بركيارق فقبل بركيارق وساطتها وعفا عنه وأقام عندها – أي أخته زبيدة - لكنه كان يضمر الغدر ببركيارق فقد أطلع الأمراء أثناء إحدى الخلوات أنه يريد قتل بركيارق وترأس السلطنة فقتلوه(٣) وبذلك تخلّص بركيارق من أحد الأخطار التي كانت تحيط به إضافة إلى تراجع أمل تركان خاتون بعد أن قُتِلَ إسماعيل بن ياقوتي أما بركيارق فقد خُطِب له في بغداد ولقب ببرهان أمير المؤمنين وخَلعَ عليه الخليفة المقتدي خلع السلطنة بعد أن راسله في ذلك فأُجيب طلبه وأُعلنت الخطبة له سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م وكان السلطان بركيارق (٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤- ١١٠٤م) قد راسل الخليفة المقتدي في طلب إعلان الخطبة له فوافق على

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٥، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤-٦٥.

(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤-٦٥.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨، بن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٤-٦٥.

ذلك وعندما عُرضت الخلع عليه توفي فجاءة فبويع إبنه المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ /١٠٩٤-١١١٨م)(١).

عصيان تتش بن ألب أرسلان الثاني ٤٨٧هـ /١٠٩٤م

بعد أن عاد تتش بن ألب أرسلان من أذربيجان منسحباً من بركيارق نتيجة انحياز الأمراء الذين كانوا في جيشه إلى جانب بركيارق ظلّ التطلع إلى عرش السلطنة ورئاستها يراوده فعمل في سبيل هذا على جمع العساكر وحشد الأتباع وزيادتهم على نية العودة إلى قتال بركيارق مرة أخرى وانتزاع زعامة الدولة السلجوقية منه فخرج من دمشق قاصداً حلب(٢)، وهنا اختلفت الروايات عند وصوله إلى حلب فهناك من يذكر أنه عندما تحرك قاصداً أخذْ حلب كتب كل من قسيم الدولة أقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرُها وحران إلى السلطان بركيارق (٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤- ١١٠٤م) يستنج به على تتش، فلم يعر الأمر اهتمامًا لانشغاله بالشرب وانشغال أتابكه الأمير كمشتكين الجاندار الذي كان على علاقة مع زبيدة خاتون والدة بركيارق(٣).

وعندما وجد الأميران آقسنقر وبوزان أن السلطان بركيارق لم يهتم لمراسلاتهم والخطر الداهم على سلطنته الذي قاده تتش قرر الأميران أن يواجها الخطر بنفسيهما وبما توافر لديهما من قوات، طالما أن السلطان بركيارق لم يحرك ساكناً لنجدتهم فلما التقوا هُزِمَ آقسنقر، وبوزان وقُتِل آقسنقر أما بوزان فانهزم إلى حلب فحاصره تتش بداخلها حتى ملكها وأخذ بوزان أسيراً فأبقاه حياً وإتجه إلى بلاده بوزان الرُها وحران فحاصرهما ولما امتنعتا عليه قتل بوزان وأرسل رأسه إليهما فسلم أهلهما البلدين إليه(٤).

أما الرواية الثانية لتحرك تتش بن ألب أرسلان وموقف السلطان بركيارق بن ملكشاه (٤٨٧-٤٩٧هـ /١٠٩٤ - ١١٠٣م) فتذكر أن السلطان بركيارق بن ملكشاه بعد أن وصلته رسالة قسيم الدولة آقسنقر بعث السلطان بركيارق إلى بوزان أمير الرها وحرّان يطلب منه التوجه لنجدة

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٢٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٥-٦٦.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، الحسيني، أخبار الدول السلجوقية، ص٧٥-٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٦.
(٣) الفارقي، تاريخ ، ص ٢٤٣- ٢٤٤، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٥-٧٦،البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٢-٨٣.
(٤) الفارقي، تاريخ ، ص ٢٤٣-٢٤٤ ، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٥-٧٦ البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٢-٨٣.

آقسنقر، وأرسل مدداً بقيادة الأمير كربوغا فنزل آقسنقر من قلعة حلب والتقى ببوزان وكربوغا فساروا جميعاً للقاء تتش فالتقوا بين قنّسرين وتل السلطان فأنهزم آقسنقر وقتل أما بوزان وكربوغا فهربا باتجاه حلب وتحصنا بداخلها فسار إليهما تتش وحاصرهما داخل حلب حتى استولى عليها فأرسل كربوغا إلى سجن في حمص، وأما بوزان فإن تتش اتجه إلى بلاده الرها وحران فامتنع أهلها ورفضا تسليمهما فقتل بوزان وأرسل رأسه إلى اهل حران والرها فسلموه البلد إليه(١).

بعد أن تم تناول الروايات التي ذكرت تحرك تتش الثاني ضد السلطان بركيارق واستغاثة واستنجاد الأمير قسيم الدولة آقسنقر بالسلطان بركيارق لنجدته، ضد خطر عمه الذي سبق و أن سبب له متاعب ومصاعب في عصيانه الأول يمكن القول أن السلطان بركيارق لا يمكن أن يشتغل عن استغاثة الأمير آقسنقر ويترك خروج عمه تتش دون أي اهتمام وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أن الأمير قسيم الدولة آقسنقر هو من أكابر الأمراء في الشام، وكان له دوراً في حماية الثغور فلا يمكن للسلطان بركيارق أهمال طلب النجدة الذي يرسله أمير بمكانة آقسنقر(٢).

ثانياً: إرسال الأمير كربوغا وتحرك بوزان لنجدة قسيم الدولة آقسنقر كان بأمر السلطان بركيارق الذي أراد إرسال نجدة عاجلة لآقسنقر ومن ثم يتجهز بجيش كبير ليلحق بكربوغا فيعينهم على تتش. بعد أن انتصر تتش على أمراء السلطان بركيارق واصل مسيرته نحو إخضاع العديد من المناطق والمدن ففتح أسد وميافارقين أما بركيارق فإنه أمام إزدياد خطر عمه تتش سار من بغداد للقائه وكان في قلة من الجيش على الرغم من وجود عدد من أكابر الأمراء برفقته مثل الأمير برسق وكمشتكين الجاندار، لكن تتش انسحب من لقاء بركيارق بسب مراسلة تركان خاتون والدة محمود ابن ملكشاه تدعوه للقدوم إلى همذان وتطمعه في نفسها والتي رأت في تتش أملاً أخيراً في القضاء على بركيارق وعودة السلطنة إلى إبنها محمود على يد تتش، فتوجه تتش نحو همذان وأرسل أحد أمراء جيشه وهو يعوقب بن آبق للقاء بركيارق الذي تمكن من هزيمة بركيارق الذي توجه إلى أصبهان ليقوم بجمع الأتباع والأنصار لملاقاة عمه تتش الذي سيطر على أخلاط، ومنازكرد وأرمينيا ثم توجه إلى همذان فأصبح نفوذ تتش يمتد من الري إلى القدس فراسل الخليفة المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ / ١٠٩٤-١١١٨م) يطلب منه إقامة الخطبة له(٣) سعياً من تتش

---

(١) الفارقي، تاريخ ، ٢٤٣- ٢٤٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٦.
(٢) البنداري، دولة آلى سلجوق، ص٨٢.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٥-١٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٩٥-٤٩٦، ص٤-٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٦.

للحصول على الإعتراف الشرعي من الخليفة بزعامته ورئاسته للدولة السلجوقية، وكما لعبت تركان خاتون أم محمود أرملة ملكشاه دوراً سياسياً وعسكرياً أثناء حياتها فقد أدت وفاته في شوال من سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م إلى تغيير مجرى الأحداث، فقد وصل خبر وفاتها إلى بركياق أثناء مسيره إلى إصبهان فقرر التوجه إلى همذان ودخول البلد والتحالف مع أخيه محمود بن ملكشاه بعد زوال سبب الخلاف الذي كان بينهما والمتمثل بدور تركان خاتون، لكن أمرائها الذين ملكوا البلد رفضوا في البداية السماح لبركيارق بدخول البلد، ثم اتفقوا على خديعة تتضمن السماح له بدخول البلد والقبض على عليه وكحله لتعود السلطنة لمحمود، وعندما دخل بركيارق تصالح مع أخيه محمود الذي لم يلبث أن أُصِيبَ بالجدري فأراد الأمراء كحل بركيارق وسجنه فنصحهم أمين الدولة بن التلميذ الطبيب قائلاً: (إن الملك محمود قد جُدّر، وما كأنه يسلم منه، وأراكم تكرهون أن يليكم، ويملك البلاد تاج الدولة، فلا تعجلوا على بركيارق فإن مات محمود، أقيموه ملكاً، وإن سلم محمود، فأنتم تقدرونه على كحله)(١).

وصدقت نصيحة أمين الدولة، فقد توفي محمود بن ملكشاه سلخ شوال من سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م فأجلس الأمراء بركيارق مكانه؛ نظراً لكونهم يكرهون تتش فاختاروا بركيارق، ونصّبوه سلطاناً لكن بركيارق لم يلبث أن أُصيب بمرض أخوه محمود فجدّر وأشرف على الهلاك وهنا استغل تتش مرض بركيارق فكاتب أمراء إصبهان يعرض عليهم الدخول في طاعته والتحالف مع، فأجابوه بالموافقة وكانوا في الحقيقة ينتظروا تعافي بركيارق وعندما شفي بركيارق أرسلوا إلى تتش (ليس بيننا غير السيف) وكان بركيارق قد استوزر مؤيد الملك أبو بكر عبيد الله بن نظام الملك الذي لعب دوراً بارزاً في جمع الأتباع والأنصار لبركيارق، فقد كاتب أمراء العراق و أمراء خراسان يدعوهم للدخول في طاعة السلطان بركيارق فوافقوه فزاد عسكر بركيارق إذ أصبح قرابة الثلاثين ألفاً بينما كان عسكر تتش قرابة الخمس عشر ألفاً والتقى الجيشان في قرية تسمى داشيلو(٢) وإنتصر بركيارق وقتل تتش(٣).

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٦-٦٧.

(٢) داشيلوا : قرية بينها وبين الري إثنا عشر فرسخاً بها كان مقتل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان في صفر سنة ٤٨٨هـ. الحموي ، معجم ، ج ٢، ص ٤٣٣ ،

(٣) الفارقي، تاريخ ، ص٢٦٤، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٩، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٣٤-٢٣٥، ص٢٤٤-٢٤٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٣-٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٥٠٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٧.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن نصر السلطان بركيارق على تتش لا يُعزى فقط إلى الأعداد الكبيرة من الجند والأمراء الذين ساندوا بركيارق ودور الوزير مؤيد بن نظام الملك، وإنما يُضاف إلى ذلك كله سياسة تتش التي اتبعها تجاه الأمراء والجند الذين كانوا معه سواء في عصيانه الأول سنة ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م حيث أقدم على قتل عدد من الأمراء بعد قتله آقسنقر بوزان، وقتل كذلك أولاد الأمير بكجور الذي كان من أكابر الأمراء فكان هذا سبباً في هروب بكجور ولجوئه إلى السلطان بركيارق وكذلك عصيانه الثاني سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م حيث نادى بركيارق قبل بدء المعركة بينه وبين أبن أخيه بركيارق قائلاً: (من ظفر تم به من عسكر بركيارق فاقتلوه، ومن بقي بعد الحرب فإنا أقتله) وعندما التقى الجيشان إنحاز أكثر جيش تتش إلى بركيارق مما سرع في هزيمة تتش(١).

رابعاً: عصيان أرسلان أرغون بن ألب أرسلان بن جغربك داؤد سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م

بعد أن تخلّص السلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤ - ١١٠٤م من خطر عمه تتش بن ألب أرسلان الذي كاد أن يؤدي بسلطانه وحياته خرج عليه عمه أرسلان أرغون فاستولى على خراسان وترمذ وبلخ، وراسل ابن أخيه السلطان بركيارق يطلب منه إقراره على هذه المناطق، فوافق السلطان بركيارق لإنشغاله بعمه تتش وقبل بسيطرة أرسلان أرغون على هذه المناطق لحين الإنتهاء من خطر عمه تتش، لكن سكوت السلطان بركيارق عن عمه أرسلان أرغون جعله يحول طموحه من الإقطاع والولاية على خراسان وبلخ وترمذ إلى المطالبة بالسلطنة فأرسل السلطان بركيارق إليه جيشاً بقيادة عمه الأمير بوري برس بن ألب أرسلان فهزمه فهرب أرسلان آرغون إلى بلخ، أما بوري برس فاتجه إلى هراة ليجمع مزيد من العساكر ويعود إلى قتال أرسلان أرغون(٢).

وفي أثناء ذلك قام أرسلان أرغون وتوجه إلى مرو فحصرها ثم ملكها، فسار إليه بوري برس من هراة، فالتقيا فانهزم بوري نتيجة انحياز عدد من الأمراء الذين كانوا معه إلى جانب آرسلان أرغون، وسبب انحياز الأمراء؛ أن السلطان بركيارق ٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤ - ١١٠٤م كان قد أرسل مع بوري برس عدداً من الأمراء منهم أمير أُخر ملكشاه وهو من أكابر الأمراء،

---

(١) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٥٠٥.
(٢) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٨-٦٩.

والأمير مسعود بن تاجر، وكان أبده مقدم عسكر جغربك داؤد، وكان له منزلة عظيمة لدى الجند، وكان الأمير أخر تربطه علاقة مودة وصداقة قديمة مع أرسلان آرغون فأرسل إليه يستميله ويدعوه إلى الدخول في طاعته ومخالفة بوري برس فاجابه لذلك واحتجز أمير أُخر وابنه الذي قَدِم لزيارته؛ مما جعل بوري برس في موقف ضعيف نتيجة تفرق الجند عند بانحياز الأمير أُخر وقتل الأمير مسعود بن تاجر(١).

بعد هذا الحال الذي آل إليه موقف بوري برس العسكري كان من الطبيعي أن تكون الهزيمة نتيجة اللقاء بين بوري برس وآرسلان آرغون، وأُلقي القبض على بوري برس فأُخذ أسيراً إلى أرسلان آرغون الذي أمر بحبسه في ترمذ ثم أمر بقتلهِ بعد سنة من اعتقالهِ حيث قُتِلَ سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م فقرّر السلطان بركيارق أمام تزايد خطر عمه أرسلان آرغون أن يُسيّر جيشاً للقضاء عليه فجهز جيشاً بقيادة أخيه سنجر لكن هذا الجيش ما أن وصل إلى الدامغان(٢) حتى آتاه الخبر بمقتل أرسلان أرغون على يد أحد غلمانه نتيجة سياسته الشديدة والسيئة في تعاملهم معهم(٣).

بعد قتلْ أرسلان أرغون نصّب أمراء جيشه ابنه الصغير وعمره سبع سنوات أميراً مكانه، وعندما سمعوا بوصول السلطان إليه انهزموا باتجاه جبال طخارستان وراسلوا السلطان بركيارق في طلب الأمان فمنحهم الآمان وتسلّمَ السلطان بركيارق بن أرسلان أرغون ومنحه ما كان لأبيهِ من الإقطاع في أيام السلطان ملكشاه ٤٦٥- ٤٨٥هـ /١٠٧٢- ١٠٩٢ م وتولت زبيدة خاتون والدة السلطان بركيارق رعايته وتربيته، أمّا جيش أرسلان أرغون فتفرق وذهبت كل جماعة منهم إلى أمير يكونوا في طاعته واتجه السلطان بركيارق إلى ترمذ، وأقيمت له الخطبة فيما وراء النهر وسمرقند وولّى أخاه سنجر على خراسان واتجه إلى بغداد(٤).

خامساً: عصيان الأمير أنر:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن تناول عصيان الأمير أنر في الحديث عن الصراع على ولاية العهد سببهُ أن عصيان الأمير أنر جاء بتحريض من الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك الذي

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٣-٢٦٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٨-٦٩.
(٢) الدامغان: بلد كبير بين الي ونيسابور، الحموي، معجم، ج٢ ، ص ٤٣٣.
(٣) الفارقي، تاريخ ، ص٢٦٤ ، الراوندي: راحة الصدور، ص٢٢١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٢-٢٦٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٨-٦٩.
(٤) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٥؛ منجم باشي، جامع الدول، ص٦٩.

توجه إلى اليه – أي الأمير أنر - بعد أن عزله السلطان بركيارق عن وزارته سنة ٤٨٧-٤٨٨هـ /١٠٩٤- ١٠٩٥م.

وكان عزل مؤيد الملك عن وزارة السلطان بركيارق قد تم نتيجة تعاون وتحالف كل من مجد الملك أبو الفضل، وزبيدة خاتون والدة بركيارق الذي قدم من اصفهان إلى الري فاستعطف زبيدة خاتون فساندته وأعلت مكانته فقبض على علي المستوفي فسمله وراسل فخر الملك أبو الفتح المظفر بن نظام الملك وزير تتش وكان وقتئذ بالري وأطمعه في تولي منصب أخوه مؤيد الملك فوافق وتولاها إلى أن أفرجت عنه فهرب متنقلاً بين نهاوند ومشكان(١).

أما الأمير أنر، فإنه كان قد تولى بلاد فارس جميعها عندما سار السلطان بركيارق إلى خراسان، وكان فيها أي بلاد فارس أكراداً من الشوانكارة من مختلف البطون والقبائل فتحالفوا مع صاحب كرمان الأمير إيران شاه بن قاورد بك ضد الأميرأنر فهزموه فعاد إلى اصبهان وراسل السلطان بركيارق يخبره بما حل به طالباً ان يلحق به إلى خراسان، لكن السلطان بركيارق ولاّه إمارة العراق فأقام بأصبهان التي انتشر فيها أمر الباطنية فتولى قتالهم، وفي تلك الأثناء وصل إليه مؤيد الملك ابن نظام فحرضه على الخروج على السلطان بركيارق ودعاه إلى مراسلة محمد بن ملكشاه وكان في كنجة(٢). وظلّ مؤيد الملك يدعو الأمير ويحرضه قائلاً له: (إنك لست أقل من محمود بن تركان خاتون وكان السلطان ملكشاه يعزك أكثر من سائر أولاده، وكان يتخذك ولداً، ولك هيبة في القلوب أكثر مما لسائر الأمراء وكنت أكثرهم علماً وفضلاً، والرعية تحبك وتميل إليك فتولى العرش فإنك متى انتصرت نصراً واحداً سلِمت لك الدنيا بأسرها)(٣) فاستطاع بذلك أن يجعل الأمير أنر يخلع طاعة السلطان بركيارق فاتخذ طبولاً ملكية ونقش ألقابهَ عليها، وجهّزَ جيشاً وخرج من أصفهان باتجاه الري وراسل السلطان بركيارق قائلاً: (أنه مملوك ومطيع، وإن سلم إليه مجد الملك البلاساني، وإن لم يسلمه إليه فهو عاصٍ خارج عن الطاعة)(٤).

فعصيان الأمير أنر تم بتدبير وتحريض من الوزير مؤيد الملك بن نظام الذي أقاله السلطان بركيارق من الوزارة، نتجية وشاية وتدخل والدته زبيدة خاتون ومجد الملك أبو الفضل(٥)، فأصبح

---

(١) الراوندي، راحة الصدوري، ص٢٢٣ ، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٤-٨٥ منجم باشي، جامع الدول، ص٧٠.
(٢) كنجة: مدينة عظيمة وهي قصبة بلاد أران ، الحموي، معجم ، ج ٤، ٤٨٢.
(٣) الرواندي، راحة الصدور، ص٢٢٣.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٢.
(٥) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٣، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٤-٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٠.

مؤيد الملك يبحث عن وسيلة للانتقام من السلطان بركيارق ٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤- ١١٠٤م والعودة إلى مسرح السياسية التي أُبعِدَ عنها فقرر السلطان بركيارق التوجه لقتال أنر، الذي فتح بعصيانه على السلطان بركيارق نار الإنقسام والحرب التي قادها أخوه محمد طبر بن ملكشاه لكن تعرض الأمير أنر لمحاولة اغتيال أدت إلى مقتله(١) خلصت السلطان من أنر وحربه، وبدأ السلطان بركيارق يواجه أخوه محمد طبر بن ملكشاه(٢).

سادساً: عصيان محمد طبر بن ملكشاه سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٨م.

كان مؤيد الملك بن نظام الملك قد حرك كل من الأمير أنر ومحمد طبر على الخروج على السلطان بركيارق وخلع طاعته، وبعد أن قتل الأمير أنر، بدأت المواجهة والصراع بين السلطان بركيارق وأخوه محمد طبر، الذي كان مقيماً ببغداد عند وفاة والده السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م فخرج برفقة تركان خاتون والدة محمود إلى أصبهان لتنصيب إبنها محمود سلطاناً، وعندما انتصر بركيارق على تركان خاتون وحُسِمت الأمور لصالحه ونُصّب سلطاناً أقام عند بركيارق وعيّن له أتابكاً ثم ما لبث أن قتله محمد طبر واستولى على جميع مناطق أران التي تقع من ضمنها كنجة وعندما عُزل مؤيد الملك بن نظام الملك عن وزارة السلطان بركيارق خرج إلى الأمير أنر وحرّضه على خلع طاعة السلطان بركيارق، فعيّنه محمد طبر وزيراً له، فجمع مؤيد الملك الأتباع من النظامية إلى جانب محمد طبر الذي أعلن خروجه عن طاعة السلطان بركيارق وخطب لنفسه وضرب الطبل(٣).

ووقعت بين السلطان بركيارق ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨ هـ / ١٠٩٤- ١١٠٤م واخوه محمد طبر بن ملكشاه خمس معارك تراوحت بين الربح والخسارة لكل منهما، وسأقوم يتناول هذه المعارك وبيان نتائجها.

---

(١) الراوندي ، راحة الصدور ، ص٢٢٣، البنداري، دولة آل سلجوق ، ص٨٦- ٨٧، منجم باشي ، جامع الدول ، ص ٧٠.
(٢) هو أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان الملقب غياث الدين، وكان هو وأخوه سنجر من أم واحدة؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٧١.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٤٨، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٣، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٠-٧١.

المعركة الأولى: سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م

بدأت أحداثها عندما خرج محمد طبر برفقة وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك من كنجة إلى الري وكان عدد المرافقين لمحمد طبر من جند قليل، أما بركيارق فقد كان متوجهاً من خراسان إلى قهستان وكان مجد الملك أبو الفضل القمي (البلاساني) هو المستولي على إدارة شؤون دولة السلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ/١٠٩٤- ١١٠٤م الذي كان مكروهاً بين أفراد أمراء جيش السلطان بركيارق؛ وسبب هذه الكره(١)؛ أنّ الباطنية أكثروا من قتل أكابر الأمراء في الدولة السلجوقية فاتهموا مجد الملك أنه من وضع الباطنية وحرضهم على قتل هؤلاء الأمراء، وصحب ذلك دعاية تبناها الأمير برسق، والأمير اينانج بيغو آخربك ألصقت التهمة بمجد الملك فزاد الفتور بين أفراد الجيش ، بل إنّ أمير آخر، والأمير بلكابك سرمز شحنة مدينة أصفهان، وطغايرك اتفقوا جميعهم على مطالبة السلطان بركيارق بتسليم مجد الملك وأقام هؤلاء الأمراء في مدينة بستجانس بالقرب من همذان وأرسلوا إلى السلطان بركيارق قائلين، (إن سُلّم إلينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة، وإن مُنعّنا فارقنا وأخذناه قهراً)(٢).

وهنا يود الباحث الإشارة إلى أنّ ابن الأثير أورد هذه الرسالة على لسان الأمير أنر عندما أعلن خروجه على السلطان بركيارق سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م ووردت أيضاً في الرسالة التي أرسلها أمراء جيش السلطان بركيارق عندما طالبوه بإرسال مجد الملك البلاساني وتسليمه إليهم، ونظراً لتشابه النص الوارد في الرسالتين، واتفاق الرسالتين في الهدف وهو تسليم مجد الملك البلاساني، فإنّ النص الذي أورده سبط ابن الجوزي يكون هو الأقرب للدقة بسبب أن النص الوارد على لسان الأمير أنر يتناقض مع نفسه فهو يقول: (أنه مملوك ومطيع، وإن سلم إليه مجد الملك البلاساني، وإن لم يسلمه إليه فهو عاصي خارج عن الطاعة)(٣).

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٢-٥٣، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٢٤-٢٢٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٦-٧٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨-٢٨٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٥،

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨.

فالأمير أنر اعترف أنه عبد ومملوك، لكنه خلع عصا الطاعة وطالب بتسليم مجد الملك البلاساني، وسواء سُلم إليه ام لم يُسلم فهو خارج عن الطاعة، فما الفائدة إذن من المطالبة بتسليمه، كذلك فإن أمراء جيش السلطان بركيارق طالبوا بنفس مطالبة الأمير أنر.

أمام إستمرار مطالبة الأمراء العسكريين بتسليم مجد الملك إليهم، أرسل مجد الملك البلاساني إلى السلطان بركيارق رسالة يقول له فيها: (المصلحة أن تحفظ أمراء دولتك، وتقتلني أنت لئلا يقتلني القوم، فيكون فيه وهنٌ على دولتك)(١) فهذه الرسالة يتبين فيها أمران:

الأول: إدراك مجد الملك البلاساني لأهمية ومكانة الأمراء العسكريين وتأثيرهم داخل الدولة السلجوقية. وإمكانية تضعضع أوضاع الدولة في حال ظل هؤلاء على نفورهم وتفرقهم عن السلطان بركيارق، إضافة إلى أنهم يشكلون خطراً كبيراً داخلياً باعتبارهم الأمراء العسكريين الذين يحظون بمكانة كبيرة بين الجند، وهذا ما تم عند بداية الصراع بين السلطان بركيارق وأخوه محمد طبر.

الثاني: أن مجد الملك البلاساني يعرف حقيقة الأوضاع الأمنية الداخلية للسلطان بركيارق بحيث أصبح عاجزاً عن توفير الحماية وأنه سوف يقتل لا محالة على أيدي الأمراء العسكريين وفي هذه الحالة فإنه يفضل أن يُقتل على يد السلطان بركيارق على أن يُقتل على يد الأمراء العسكريين.

رفض السلطان بركيارق في البداية تسليم مجد الملك البلاساني ثم أرسل إلى الأمراء العسكريين يعلن موافقته تسليمه مقابل تعهدهم بالحافظ على سلامة مجد الملك وان يُسجن في إحدى القلاع فوافق الأمراء على هذه المبادرة، لكن مجد الملك لقى حتفه قبل وصوله إلى الأمراء على يد الغلمان الذين تسلموه من السلطان بركيارق أما الأمراء العسكريين فقد اتجهوا إلى أخوه محمد طبر، وعاد السلطان بركيارق إلى الري ليس معه سوى مائتا فارس، وتعرض معسكره للنهب من قبل العسكر(٢).

وقرر محمد طبر التوجه نحو الري وكان السلطان بركيارق قد سار إليها وعندما وصلها جاءه الأمير ينال بن أنوشتكين الحسامي وهو من أكابر الأمراء، وعز الملك منصور بن نظام

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٠.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٢، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٧-٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٧١-٧٣.

الملك فوصله الخبر بتوجه أخيه محمد طبر إلى الري فقرر السلطان بركيارق مفارقتها والتوجه نحو أصبهان لكن أهلها لم يستقبلوه فتوجه نحو خوزستان، وعندما وصل محمد طبر إلى الري وجد بها زبيدة خاتون والدة السلطان بركيارق فأخذها مؤيد الملك بن نظام وزير محمد طبر وسجنها في قلعة الري، وأخذ خطتها بخمسة آلاف وكان مؤيد الملك حاقداً عليها لأنها كانت السبب في إقصائه عن وزارة إبنها السلطان بركيارق ٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩١-١١٠٤م وقد أشار مستشارو وأعوان الوزير مؤيد الملك عليه بعدم التخلص منها قائلين: (العسكر محبون لولدها، وإنما استوحشوا منه - أي السلطان بركيارق - لأجلها، ومتى قُتِلَتْ عدلوا عليه، فلا تغتر بهؤلاء الجند فإنهم غدروا بمن أحسن إليهم أوثق ما كان بهم)(١).

لكن مؤيد الملك، لم يأخذ بنصيحتهم وأمر بخنقها، وكان عمرها عند قتلها أثنين وأربعين سنة، وكان عدداً من الأمراء قد كاتبوا محمد طبر وراسلوه ليدخلوا في طاعته وهم سعد الدولة كوهرائين(٢). الذي خلع طاعة السلطان بركيارق، والأمير كربوغا صاحب الموصل، وجكرمش صاحب الجزيرة، وسرخاب بن بدر صاحب كنكور ووصلوا إلى محمد طبر، فأرسل سعد الدولة كوهرائين إلى بغداد ليطلب من الخليفة العباسي المستظهر إعلان الخطبة لمحمد طبر وتم ذلك ولقب محمد طبر بغيات الدنيا والدين(٣).

لكن الخطبة لمحمد طبر لم تستمر طويلاً ففي سنة ٤٩٣هـ /١٠٩٩ م أُعيدت الخطبة للسلطان بركيارق الذي بدأ يجمع الأنصار والمؤيدين فقد سار من خوزستان إلى واسط وانضم إليه الأمير صدقة ابن مزيد صاحب الحلة، وعندما وردت الأخبار أن السلطان بركيارق قاصد بغداد، أرسل سعد الدولة إلى محمد طبر ووزيره مؤيد الملك يطلب منهم النجدة فأرسلا إليه الأمير كربوغا صاحب الموصل، وجكرمش صاحب الجزيرة (جزيرة ابن عمر) ثم ما لبث جكرمش أن عاد إلى بلده بحجة نقص الأموال، وأما الأمراء الذين ظلوا مع سعد الدولة كوهرائين فقد اتفقوا

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨-٢٨٩، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٦، ابن العبري، تاريخ الدول ص٣٤٢-٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧١.

(٢) أحد الخدم الأتراك الذي ملكهم أبو كاليجار بن سلطان الدولة، دخل بغداد مع أبي نصر بن أبو كاليجار، واعتقل معه من قبل طغرلبك، ثم دخل في خدمة ألب أرسلان ومن بعده ابنه ملكشاه الذي منحه واسط وشحنكية بغداد سقط عن فرسه وقتل على يد غلام خراساني من جيش محمد طبر سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م وكان مع بركيارق في أثناء صراعه مع اخوه محمد طبر، ابن الجوزي، المنتظم ج١٧، ص٥٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٤٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٩، ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص٣٤٢-٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧١.

على مكاتبة السلطان بركيارق وتحولوا عن ولائهم لمحمد طبر وأرسلوا إلى السلطان بركيارق: (أخرج إلينا فما فينا من يقاتلك)، وكان الأمير كربوغا هو من تولى إقناع الأمراء بذلك فقد قال لسعد الدولة كوهرائين: (إننا لم نظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل)(١).

ويلاحظ هنا من الحديث الذي دار بين الأمير كربوغا وسعد الدولة كوهرائين، أن تحوّل ولاء هؤلاء الأمراء عن محمد طبر سببه ؛عدم حصولهم على المكاسب التي توقعوا أن يجدوها عند محمد طبر وكذلك التنافر بين الأمير كربوغا الذي كان صاحب الرأي في إقناع الأمراء بالعودة إلى السلطان بركيارق وبين وزير محمد طبر مؤيد الملك وعندما دخل السلطان بركيارق بغداد قُطِعت خطبة محمد طبر وأُعيدت الخطبة له رابع عشر رجب من سنة ٤٩٣هـ /١٠٩٩م وقد وقع توتر في العلاقة بين السلطان بركيارق والخليفة المستظهر فعندما أُرسلت الخلع إلى السلطان بركيارق مع وزير الخليفة عميد الدولة بن جُهير احتجزه السلطان بركيارق، وأرسل وفداً إلى الخليفة المستظهر مكون من القاضي أبو القاسم الزينبي، وأبي الحسن الدامغاني، وأبي منصور حاجب الباب وطلب أن يوصلوا رسالة إلى الخليفة المستظهر نصها: (قد عرفتم ما نحن فيه من الإضافة ومطالبة العسكر، وهذا الوزير ابن جهير قد تعرض هو وأبوه في ديار بكر والجزيرة، والموصل أيام جلال الدولة، وجبوا أموالها وأخذوا ارتفاعها وينبغي أن يُعاد كل حق إلى صاحبه)(٢).

فذهبوا إلى الوزير ابن جهير بداية وعرضوا عليه الكتاب الموجه إلى الخليفة المستظهر فرد قائلاً: (أنا مملوك ولا يمكنني الكلام إلا بإذن مولاي)(٣) ثم توجهوا إلى الخليفة فرد الخليفة برسالة شديدة اللهجة والتهديد إلى السلطان بركيارق قال فيها: (فلا يغرنك إمساكنا عن مقابلة الفلتان فوحق السالف من الأباء المتقدمين بحكم رب السماء لئن قُصّر في أن يُعاد شاكراً وبالحباء موفوراً لنفعلنَ!)(٤) وعندما وصلت الرسالة إلى السلطان بركيارق أمر بالإفراج عن الوزير ابن جهير، واعتذر وزير السلطان بركيارق عبد الجليل بن علي الدهستاني منه وقال على لسان

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٣.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٣.
(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧ ص٥٣.
(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٣.

السلطان بركيارق: (السلطان يقول لك إننا أثقلنا عليك كما يثقل الولد على والده لضرورات دعت)(١).

فالخليفة المستظهر استغل الخلاف والصراع الدائر بين أفراد البيت السلجوقي لإظهار قوة وهيبة الخلافة واستعادتها فهو يدرك حاجة السلطان بركيارق له من أجل إعادة الخطبة له وقطعْ خطبة أخيه محمد طبر، وبعد أن أصلح السلطان بركيارق الحال مع الخليفة المستظهر، اتجه من بغداد لقتال أخيه محمد طبر، فالتقاه في مكان قريب من همذان على نهر اسبيذروذ ومعناها النهر الأبيض، رابع رجب من سنة ٤٩٣هـ /١٠٩٩م وكانت الهزيمة من نصيب السلطان بركيارق الذي هرب من المعركة، واتجه إلى الري وبدأ يبحث عن الحلفاء ليحشدهم ويعود لملاقاة أخيه محمد طبر الذي بدأ خطره يزداد بعد انتصاره عليه(٢).

وبدأ اتباع السلطان بركيارق يردون عليه، فلجأ الى مراسلة الأمير الداذ حبشي بن التونتاق - صاحب أكثر خراسان وطبرستان وجرجان- مستفيدا من حاجة الأخير لدفع السلطان سنجر بن ملكشاه الذي خطّط لغزوه. فلقي طلب بركياروق الموافقة، فسار إليه ليلتقيا بعساكر سنجر، وتم اللقاء خارج النوشجان.

وكان النصر بداية اللقاء للسلطان بركيارق وجيشه وحليفه الداذ بن التونتاق، لكنّ إنشغال عساكر السلطان بركيارق والداذ بن التونتاق جعل النصر ينقلب لصالح عسكر سنجر بن ملكشاه، حيث قُتِل الداذ بن التونتاق وهرب السلطان بركيارق إلى جرجان ثم إلى دامغان وعاد يكاتب ويراسل من يعتقد أنهم يرغبون في أن تؤول أمور السلطنة إليه، ليحثهم على مناصرته ومؤازرته. فبدأ الأتباع يفدون عليه وكان أول القادمين الأمير جاولي سقاووا ثم الأميران زنكي والأبكي ابنا برسق، ثم سار إلى همذان، فراسله الأمير أياز(٣)، وسبب مراسلة الأمير إياز للسلطان بركيارق، التنافر الذي وقع بين مؤيد الملك بن نظام الملك والأمير إياز، فقد اتهم الأمير إياز الوزير مؤيد

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٣.
(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٥٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٤-٢٩٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧، ابن العبري، تاريخ الدول ص٣٤٢-٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٣-٧٤.
(٣) الأمير أياز: كان من جملة مماليك السلطان ملكشاه، ثم تبناه الأمير أخر وورثه بعد موته فعظم شانه، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٧.

الملك بأنه قد حرّض وزير الأمير أخر على سمّه وقتله وزادت الشكوك عندما هرب وزير الأمير أخر بعد قتله(١).

وكان عدد العساكر مع الأمير إياز خمسة آلاف فارس جعلهم تحت تصرف السلطان بركيارق الذي كان يجمع الأنصار والحلفاء لمحاربة أخيه محمد طبر.

المعركة الثانية: وقعت المعركة الثانية بين السلطان بركيارق وأخيه محمد طبر ثالث جمادى الأخرى من سنة ٤٩٤هـ /١١٠٠م وفي هذه المعركة بدأ العسكر في جيش محمد طبر يستأمنون إلى السلطان بركيارق، وكان أول المستأمنين الأمير سرخاب بن كيخسرو، صاحب آوه، ثم تبعه بقية العسكر الذين أخذوا يستأمنون إلى السلطان بركيارق، وعندما وقعت المعركة كان النصر حليف السلطان بركيارق، فهرب محمد طبر وأُسِر وزيره مؤيد الملك بن نظام، فقتله السلطان بركيارق انتقاماً لمقتل والدته زبيدة خاتون، وتحريضه لأخيه محمد طبر على خلع طاعة السلطان بركيارق(٢).

بعد أن انتصر السلطان بركيارق في هذه المعركة على أخيه محمد طبر سار إلى الري وكان معه عدد كبير من الأمراء والجنود ينوف على مائة ألف مقاتل، وبالرغم من أنّ هذا العدد كان سبب نصره وتفوقه على أخيه محمد طبر، إلا أنهم تحولوا بعد وصوله إلى الري إلى عامل إنكسار، فقد حدث نقص في المؤن والغذاء، وعجز السلطان بركيارق عن تأمين احتياجات هؤلاء الجنود المقاتلين وسد العجز، فبدأ الأمراء يتفرقون بجنودهم، فعاد دبيس بن صدقة إلى أبيه أمير الحلة وعاد الأمير إياز إلى همذان بحجة أنه يريد أن يصوم رمضان ثم يعود، لكنه في الحقيقة كان يدرك العجز الذي كان يعانيه السلطان بركيارق، ووصلته أخبار حشد محمد طبر وأخيه سنجر الجيوش عازمين على محاربة السلطان بركيارق واستغلال الحالة التي أصبح عليها من نقص المؤن، وتفرق الأمراء والجنود عنه، كذلك تزامن مع هذه الحالة التي يعانيها السلطان بركيارق، خروج الأمير مودود بن إسماعيل بن ياقوتي عليه وكان بأذربيجان، فوجه إليه السلطان بركيارق الأمير كربوغا آخر من تبقى لديه من الأمراء بعشرة آلاف مقاتل(٣).

---

(١) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٩٦-٣٠٣، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٧-٨٨

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٣-٣٠٤، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣. منجم باشي، جامع الدول، ص٧٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٦، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٥-٧٦.

أما محمد طبر فإنه بعد هزيمته من قبل السلطان بركيارق، توجه إلى جرجان، وراسل أخيه سنجر بن ملكشاه - وهما أخوين لأم واحدة- طالباً منه أن ينجده بالمال والرجال، واتفقا وتحالفا ضد السلطان بركيارق، فسار سنجر إلى جرجان بمن معه من أمراء العساكر والجيش والتقى محمد بن طبر في جرجان وسارا نحو السلطان بركيارق، وانضم إليهم النظامية، أما السلطان بركيارق فقد سار إلى همذان عندما علم بمسير أخويه محمد طبر وسنجر، وبعث إلى الأمير إياز فوجده قد راسل محمد طبر، ثم راسل الأمراء أبناء برسق الذين لم يحضروا عندما علموا بتحول الأمير إياز إلى محمد طبر، فتوجه السلطان بركيارق نحو العراق فراسله الأمير إياز بعد أن رفض محمد طبر قبوله وسار مع السلطان بركيارق ودخل العراق، وأصبح عدد العساكر مع السلطان بركيارق كبيراً فلم يكن يجد عند دخوله بغداد ما ينفقه على نفسه وجنوده، فطلب مساعدة الخليفة لينجده ببعض المال وبعد مفاوضات سانده الخليفة بخمسين ألف دينار(١)

لكنّ هذا المال لم يكن كافياً ليسد احتياجات السلطان بركيارق والجيش المرافق له، فبدأ البحث عن مصدر آخر لتأمين المال اللازم لسد العجز الذي يعانيه والذي كان سبباً في تأزيم علاقته مع عدد من أصحاب المناطق مثل الأمير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة، الذي قطع خطبة السلطان بركيارق، وخطب لمحمد طبر بسبب مطالبة السلطان بركيارق له بإرسال الأموال إليه، وقد أرسل إليه السلطان بركيارق يدعوه إلى الحضور إليه، فإمتنع واشترط تسليم وزير السلطان بركيارق أبو المحاسن الدهستاني، فلم يقبل السلطان بذلك، وانضم الأمير صدقة إلى محمد طبر وسيطر على الكوفة وانتزعها من نائب السلطان بركيارق عليها ووصل محمد طبر وأخوه سنجر إلى بغداد، أما السلطان بركيارق فقد مرض وأشرف على الموت لكنه عُوفي(٢).

المعركة الثالثة: رابع ربيع الأول سنة ٤٩٥هـ /١١٠١م تتميز هذه المعركة بميزتين رئيسيتين:

الأولى: أنها لم يقع فيها قتال ولا سفك دماء، وإنما أسفرت عن صلح بين السلطان بركيارق وأخيه محمد طبر وبالتالي يمكن اعتبارها بداية الانقسام في الدولة السلجوقية.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٥-٧٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧-٣٠٩، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٦-٧٧.

الثانية: أن الأسباب المؤدية لها لم تكن من أحد طرفي النزاع (السلطان بركيارق وأخيه محمد طبر)، وإنما كان المحرك الأساسي لها الخليفة الذي بعث رسالة إلى محمد طبر يطلب فيها مناصرته له لقتال السلطان بركيارق، فرد محمد طبر بأنه سوف يخرج للقاء السلطان بركيارق. وعندما التقى الجيشان بقرب نهاوند وكانا متكافئيَن في العدد؛ أربعة آلاف لكل منهما، توسط الأمراء بينهما لعقد صلح، وكان الوسيط من طرف محمد طبر الأمير بلداجي، ووسيط السلطان بركيارق كل من الأمير إياز، والوزير الأعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني، وعُقد صلح بن الطرفين تضمن ما يلي:

١- أن يكون بركيارق سلطاناً ومحمد طبر ملكاً.

٢- يُضرب لمحمد ثلاث نوب

٣- خُصص لمحمد طبر المناطق التالية: حيره وأعمالها، وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل.

وبعد إبرام الصلح سار السلطان بركيارق إلى مرج قراتكين ثم إلى ساوة، ومحمد طبر إلى آسد آباد(١).

المعركة الرابعة: في جمادى الأولى سنة ٤٩٥هـ /١١٠١م وكان المبادر في فسخ الصلح وإلغاء بنوده محمد طبر، وعاقب الأمراء الذين سعوا في الصلح، ثم أمر بضرب النوب الخمس، ووكل بضربها الأمير ينال بن أنوشتكين الذي كان مع السلطان بركيارق ثم فارقه ودخل في طاعة محمد طبر الذي سار إلى الري وأقام فيها. أما السلطان بركيارق فقد توجه إلى الري، وكان عدد الجنود في المعسكرين متقارباً في العدد إذ بلغ عشر آلاف مقاتل لكل منهما وكان الفوز حليف السلطان بركيارق في هذه المعركة، فهرب محمد طبر إلى أصبهان وتبعه السلطان بركيارق بجيش كبير قرابة الخمس عشر ألف فارس، وحاصر البلد، وضيّق عليه فارتفعت الأسعار وقلت الأموال فاقترض محمد طبر من أعيان البلد ليفي بالتزامات جنده واضطر فيما بعد لأخذ ما عندهم بالشدة، وكان الحصار في إزدياد، فأدرك انه لا قدرة له، فهرب من أصبهان ليجمع جيشاً ويعود لحرب

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣١، منجم باشي، جامع الدول ص٧٧-٧٨.

أخيه السلطان بركيارق، واستخلف على البلد عدداً من الأمراء الكبار وخرج، فعلم بركيارق بخروجه فسّير وراءه الأمير إياز في عسكر كبير ليلقي القبض عليه(١).

وهنا اختلفت الروايات فهناك من يقول أنّ الأمير إياز أدرك محمد طبر فاستعطفه وخاطبه قائلاً: (أنت تعلم أنني لي في رقبتك عهود وأيمان ما نقضت، ولم يكن مني إليك ما تبالغ في أذاي) فعاد عنه، وتركه وأخذ خيلاً وعلمه والجتر وهناك من يذكر أنه سار خلفه لكنه لم يدركه(٢).

المعركة الخامسة، سنة ٤٩٦ هـ/١١٠٢م

عندما هرب محمد طبر من اصفهان، اتجه إلى اذربيجان حيث يقيم مودود بن إسماعيل بن ياقوتي، الذي كان أخو كوهر خاتون زوجة محمد طبر، وكان يريد الثأر من بركيارق الذي قتل والده إسماعيل، وعندما وصل إلى أردبيل، بلغه خبر وفاة مودود فإنحاز عسكر مودود إليه ودخلوا في جملة عسكره أمّا السلطان بركيارق فقد توجه إلى محمد طبر الذي كان قد وصل أذربيجان. وعندما وصل السلطان بركيارق إلى منطقة باب خوي من أذربيجان وقع القتال بينهما، وكانت الغلبة لجيش السلطان بركيارق الذي سار إلى زنجان، أما محمد طبر فقد انهزم إلى أرجيش(٣) من بلاد أرمينية، وسار منها إلى خلاط(٤) ثم توجه إلى آني. ثم إلى تبريز(٥).

في عام ٤٩٧هـ /١١٠٣م بادر السلطان بركيارق بن ملكشاه إلى إطلاق مبادرة سلام بينه وبين أخيه محمد طبر بن ملكشاه، فقد وجد أن كثرة الحروب أرهقت ميزانية دولته، وأشغلته عن أعداء الدولة السلجوقية سواء الداخلية (والمتمثل بالدولة الفاطمية التي ناصبت السلاجقة العداء منذ دخولهم بغداد برئاسة السلطان طغرلبك سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م وحاولت القضاء عليهم)، أو أعدائها الخارجيين وعلى رأسهم الصليبين الذين استغلوا فترة إنشغال الأمراء السلاجقة وتصارعهم فيما بينهم على رئاسة الدولة السلجوقية، فأخذوا يسيطرون على المدن والثغور الإسلامية ومنها بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٨م. إضافة إلى مطامع جيران السلاجقة المتطلّعين للسيطرة على أراضي الدولة مثل خراسان والعراق، وقد كان قدر خان بن جبريل بن عمر صاحب سمرقند يخطط للسيطرة عليها بالتعاون مع كندغدي أحد أمراء سنجر بن ملكشاه الذي راسل قدرخان

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٣-٣٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٨-٧٩.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٩.
(٣) أرجيش: مدينة قديمة من نواحي أرمينية الكبرى قرب خلاط وأكثر اهلها أرمن نصارى. الحموي، معجم، ج١، ص١٤٤.
(٤) خلاط، هي قصبة أرمينية، الحموي، معجم، ج٢، ص٣٨١.
(٥) تبريز: أشهر مدن أذربيجان، الحموي، معجم، ج٢، ص١٣.

وشجعه على التحرك للسيطرة على خراسان والعراق، وبيّن له أنّ العداء المستحكم بين سنجر وبركيارق من جهة، وبين بركيارق ومحمد طبر من جهة أخرى قد جعل الفرصة سانحة في نظره لضم خراسان والعراق لمناطق سمرقند وسيطرة قدرخان(١)، إضافة إلى أنّ الأموال كانت قد شحت عند السلطان بركيارق وزاد كذلك طمع العساكر ومطالبتهم، فرأى أن الصلح خير وسيلة لإصلاح حال الدولة، فأرسل القاضي أبا المظفر الجرجاني الحنفي، وأبا الفرج أحمد ابن عبد الغفار الهمذاني المعروف بصاحب قراتكين، إلى أخيه محمد طبر المقيم قرب مراغة حيث وصلا إليه وذكرا ما آلت إليه أوضاع البلاد نتيجة الصراع والتناحر وطمع الأعداء بالسلاجقة، فوجد ذلك عند محمد طبر كل ترحيب، فأرسل رسلاً من عنده وحلف كل منهما للآخر ووضعا بنود الصلح المتضمنة ما يلي:

أولاً: أن لا يذكر اسم السلطان بركيارق مع أخيه محمد طبر في المناطق التي آلت إلى محمد طبر.

ثانياً: أن تكون المراسلات والمكاتبات بينهما من خلال وزيريهما.

ثالثاً: ترك حرية فتح المناطق لكل منهما بشرط أن لا تكون من ضمن المناطق المخصصة للآخر.

رابعاً: أن لا يعترض السلطان بركيارق أخاه محمد طبر في ضرب الطبل.

خامساً: تم تحديد المناطق التابعة لكل واحد منهما على النحو التالي:

يكون لمحمد طبر من النهر والمعروف باسبيذروذ إلى باب الأبواب، وديار بكر، والجزيرة والموصل، والشام، ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة صدقة.

فتمت الموافقة من جانب السلطان بركيارق على هذه البنود، وأمر محمد طبر أتباعه بتسليم أصبهان إلى أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه، وأرسل السلطان بركيارق إلى الخليفة العباسي المستظهر يخبره بالصلح ويطلب منه إقامة الخطبة له فأجاب الخليفة وأرسل الخلع والعهد بالسلطنة للسلطان بركيارق، وللأمير إياز ولوزيره (السلطان بركيارق) أبي منصور المُيْبذي(٢).

وفاة السلطان بركيارق سنة ٤٩٨هـ / ١١٠٤م.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨، ص٣٤٧.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٨١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦-٣٧٢، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٨١-٨٢.

بعد عام من توقيع الصلح بين السلطان بركيارق وأخيه محمد طبر ٤٩٧هـ /١١٠٣م، مرض السلطان في أصبهان بالسل، وسار نحو بغداد وعندما وصل إلى يزدجرداشتد عليه المرض، فأقام فيها مدة أربعين يوماً، وعندما أدرك أنه الموت، عّين ابنه ملكشاه الثاني ولي عهده في السلطنة، وعيّن الأمير إياز أتابكاً له، وأخذ العهد والمواثيق على الأمراء، وأمرهم أن يسيروا إلى بغداد.

وعندما توجهوا إليها وساروا مسافة قريبة تقدر بحوالي الإثنى عشر فرسخاً، توفي السلطان بركيارق، وبلغهم الخبر فعادوا إلى يزدجرد، وجهز الأمير إياز مراسم نقل جثمان السلطان بركيارق إلى أصبهان، وأوكلت مهمة مرافقة الجثمان إلى الوزير الخطير الميمندي، أما الأمير إياز، فبعد أن جهز مراسم السلطنة برفقة الأمير إيلغازي بن أرتق (شحنة بغداد) عزم على قصد بغداد لأخذ الخلع من الخليفة العباسي المستظهر وإعلان الخطبة لملكشاه الثاني بن بركيارق الذي كان عمره آنذاك أربع سنين وثمانية أشهر، فوصلوا بغداد وتولى الأمير ايلغازي مخاطبة الخليفة في الخطبة للملكشاه الثاني فأُجيب إلى ذلك وتمت الخطبة له ولقب ملكشاه الثـاني بجـلال الدولة لقب جده ملكشـاه الأول بـن ألب أرسلان(١).

الصراع على ولاية العهد في أعقاب وفاة السلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤م.

كان محمد طبر بن ملكشاه أبرز المنافسين لأخيه السلطان بركيارق وأهم المتطلعين إلى السلطنة، وعندما وصلته الأخبار بوفاة أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه كان يحاصر الموصل التي أصبحت من جملة المناطق التي آلت إليه بموجب الصلح المعقود بينه وبين أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه، وإمتنع أميرها جكرمش من تسليمها لمحمد طبر وظلّ على ولائه للسلطان بركيارق وظل ممتنعاً عن تسليمها حتى وصله خبر وفاة السلطان بركيارق، فدخل في طاعة محمد طبر الذي سار إلى بغداد بعد أن أخذ عزاء أخيه السلطان بركيارق. وهنا لا بد من القول أن الأوضاع كانت مهيأة لقبول محمد طبر في بغداد وإعلان الخطبة له، دخل محمد طبر بغداد وكان

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٨-٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٠-٣٨١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧-٨٨، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣-٣٤٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٢-٨٣.

معه جملة من الأمراء الذين دخلوا في طاعة الأمير جكرمش أمير الموصل والأمير سكمان القطبي الذي يعود نسبه إلى قطب الدولة اسماعيل بن ياقوتي بن طغرلبك داؤد(١).

وكان صاحب الحلة سيف الدولة صدقة قد أرسل ابنيه: (دبيس، وبدران) إلى محمد طبر يطلب منه القدوم إلى بغداد بعد أن تواترت الأخبار عن وفاة السلطان بركيارق وجهّز جيشاً قوامه خمسة عشر ألفاً، أما الأمير إياز فعندما سمع بقدوم محمد طبر إلى بغداد ومعه الأمراء وعودة صدقة الأسدي والأمراء الذين كانوا برفقته، استشار من معه من أمراء الجيش في شأن سلطنة ملكشاه الثاني، فوجدهم باقين على عهدهم مدافعين عن السلطان ملكشاه الثاني وحقه في السلطنة، لكنّ وزيره أبا المحاسن أشار عليه بخلاف ذلك قائلاً (يا مولانا الأمير،لا تصغ إلى قولهم، فإنهم يكونون أعدى عدوك بعد انقلاب الحال، والرأي أن تصالح السلطان محمد، فإنه يكرمك ويزيد في إقطاعك إذ لا اعتماد على رجالنا، ومع ذلك أنت تعلم بما نحن فيه من قلة المال)(٢).

فتردد الأمير إياز من القبول بمشورة وزيره أبي المحاسن وأخذ يحاول التأكد من ولاء أمراء الجيش والعسكر، فوجد صدق نصيحة الوزير، فأرسله إلى السلطان محمد يطلب الأمان ويعرض الدخول في طاعته، فقبل محمد طبر ذلك ومنح الأمان للأمير إياز ووزيره أبي المحاسن والسلطان ملكشاه الثاني باستثناء الأمير ينال بن أونشتكين، والأمير صباووة، وحضر منح عهد الأمان جمعٌ من الفقهاء والعلماء وحضر عنده الأمير إياز ودخل في طاعته وأصبح من جملة أمرائه لكن هذا الحال لم يدم طويلاً فبعد دخول السلطان محمد طبر بغداد قتل الأمير إياز بعد أن دعاه إلى وليمة(٣) وقد تم ذكر تفصيل ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة عند الحديث عن دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد(٤).

بعد أن تخلص السلطان محمد طبر من الأمير إياز، عيّن قسيم الدولة أقسنقر البرسقي شحنة لبغداد، وأقطع الكوفة للأمير قايماز وحُمِلت إليه الخلع من دار الخلافة بواسطة وزير الخليفة المستظهر ابن جهير(٥) ثم سافر السلطان محمد طبر إلى أصفهان، ثم عاد إلى بغداد سنة ٥٠١هـ /

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية ص٧٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٣-٣٨٥، ابن العبري، تاريخ الدول ص٣٤٣-٣٤٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٣-٨٥.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٥-٣٨٦، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٣٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨٤، ص٣٨٧، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٥-٨٦.

(٤) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة (دور الأمراء العسكريين في ولاية العهد) ص١٢٤- ١٣٥.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٩١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٣٨٧،

١١٠٧م وقد ساءت العلاقة بينه وبين سيف الدولة صدقة صاحب الحلة وجرت بينهما حرب انتهت بمقتل سيف الدولة، ثم عاد إلى اصبهان وبقي حتى سنة ٥٠٩هـ /١١١٥م حيث عاد إلى بغداد، وأقطع الموصل وأعمالها للأمير جيوش بك وجعله أتابكاً لولده مسعود بن محمد طبر(١).

واتسم عهد السلطان محمد طبر بإحكام القبضة الأمنية والإنصراف إلى ضبط الأمور الداخلية للدولة السلجوقية، ومحاربة أعدائها الداخليين وعلى رأسهم الباطنية(٢). حيث لم يظهر للسلطان محمد طبر من يخرج عليه من أسرة آل سلجوق باستثناء الأمير منكبرس بن بوري برس بن ألب أرسلان ابن عم السلطان محمد طبر والذي كان في أول أمره مقيماً بأصبهان ثم احتاج إلى الأموال والأقوات نتيجة ظروف ألمت به فاتجه إلى نهاوند، وعندما وصلها سانده مجموعة من الأمراء والعسكر، فملك نهاوند وقطع خطبة السلطان محمد طبر ٤٩٨هـ /١١٠٤م وخطب لنفسه، وبعد انتصاره وملكه نهاوند، راسل الأمراء بني برسق يطلب منهم مؤازرته ومناصرته وكان أميرهم الأكبر الأمير زنكي بن برسق محبوساً عند السلطان محمد طبر فأرسل إليهم يحذرهم من طاعته ويطلب منهم أن يدبروا مكيدة للقبض على الأمير منكبرس، فأرسلوا كتاباً إليه يظهرون فيه موافقتهم ودخولهم في طاعته، فسار إليهم وكانوا في خوز ستان فقضبوا عليه وأرسلوه إلى السلطان محمد في أصبهان، فحبسه، وأطلق الأمير زنكي بن برسق وأقطعه وإخوته دينور وغيرها(٣).

فيكون السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ /١١٠٤- ١١١٧م أوفر أمراء بني سلجوق حظاً إذ لم يخرج عليه أحداً من أفراد الأسرة السلجوقية ويشكل خطراً حقيقياً على منصبه كسلطان للسلاجقة وخلال مدة حكمة التي امتدت من سنة ٤٩٨/١١٠٤م إلى سنة ٥١١هـ /١١١٧م لم يظهر ما يهدد سلطانه بل كان عهده اكثر استقراراً قياساً إلى من سبقه من سلاطين السلاجقة.

٣٩٦، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٦.

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٧-ابن الجوزي، المنتظم،ج١٧، ص١٠٧، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٩-٨٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٣٤،٤٣٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٠-٩٢.

(٢) الباطنية: مصطلح تطلقه المصادر الإسلامية السنية على الشيعة الإسماعيلية النزارية المشهورين بالحشاشين وهي جماعة ظهرت بعد عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م، بسبب الخلاف على الإمامة في الدولة الفاطمية بين القائلين بإمامة نزار بن الخليفة المستنصر الفاطمي وهم الذين عرفوا بالباطنية والحشاشين، وبين التيار المؤيد لإمامة المستعلي بن المستنصر ليكون خليفة من بعده وهم الذين اشتهروا باسم الطيبية، انظر، فرهاد دفتري، الإسماعيليون، تاريخهم، وعقائدهم، ترجمة سيف الدين قصير، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٢م، ص٥١٥-٦٥٨، وكارل هيليتبيرأند، صراع السلطة بين السلاجقة وإسماعيلي ألموت ضمن كتاب فرهاد دفتري، الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين قصير، دار المدي، دمشق، ١٩٩٩م، ص٢١١-٢٢٥.

(٣) ابن الأثير، ج١١، ص٣٩٨-٣٩٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٨٧-٨٨.

ويورد ابن العمراني رواية تذكر أنه في سنة ٥٠٨هـ /١١١٤م أصدر السلطان محمد طبر أمراً يطلب فيه أن يذكر اسم ابنه محمود على المنابر بعد اسمه، وضرب الدراهم والدنانير باسمه وكانت الخطبة للخليفة المستظهر بالله ثم لولي عهده (عمدة الدنيا والدين وعدة الإسلام والمسلمين أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين) ثم لأخيه وشقيقه وتاليه وذخيرة الدنيا والدين(أبي الحسن عبد الله بن أمير المؤمنين) ثم لمحمد بن ملكشاه ثم لابنه محمود(١).

وهذا يعني وفقاً لرواية ابن العمراني اليتيمة أن السلطان محمد طبر راسل الخليفة المستظهر في تعيين ابنه محمد ولياً للعهد أولاً ثم بعد أن تمت الموافقة والقبول من قبل الخليفة أصدر أمره بأن يخطب له على المنابر ويضرب اسمه على العملة ولم يحدث خلال تعيين ولي العهد ما كان يحدث عند تعيين أولياء العهد فيمن سبق السلطان محمد طبر من سلاطين السلاجقة، بل سار الأمر طبيعياً دون أي إشكالات تُذكر، إذ نجد أنّ السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ / ١١٠٤- ١١١٧م اتجه الى عقد مصاهرة سياسية مع أخيه سنجر بن ملكشاه، فقد طلب يد ابنته لولي عهده محمود وتم الزواج ما بين سنة ٥٠٩-٥١٠هـ /١١١٥-١١١٦ م تقريباً(٢).

وسبب تسمية الباحث للمصاهرة التي تمت بين السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ /١١٠٤-١١١٧م وأخيه سنجر بن ملكشاه بالزواج السياسي تعود للأسباب التالية:

أولاً: أن سنجر بن ملكشاه يعدّ أبرز أفراد الأسرة السلجوقية بعد السلطان محمد طبر، فأراد السلطان محمد طبر أن يربط ابنه وولي عهده بأخيه سنجر كإجراء احترازي يضمن على الأقل - حسب تفكير السلطان محمد طبر - عدم إنقلاب سنجر بن ملكشاه على ابن أخيه محمود بن السلطان محمد طبر وانتزاع السلطنة منه.

ثانياً: أن السلطان محمد طبر وسنجر هم أخوة أشقاء لأم واحدة وسبق أن كان لهم تحالفات ضد أخيهم السلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ / ١٠٩٤ - ١١٠٤م خلال فترة الصراع التي كانت بينهم قبل أن يتم التصالح بينهم واقتسام أراضي الدولة(٣).

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.
(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨.
(٣) انظر: تفصيل ذلك ص ١٧٩- ١٨٠ من هذا الفصل .

ظلت الأمور تسير كما خطط لها السلطان محمد طبر ٤٩٨-٥١١هـ /١١٠٤- ١١١٧ م إلا أنّ القدر عاجله حيث توفي سنة ٥١١هـ /١١١٧م نتيجة مرض أصابه، ولم يمهله طويلاً فقد ابتدأ مرضه في شعبان وتوفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة من نفس السنة ٥١١هـ /١١١٧م وعندما أحس بدنو أجله، أحضر ولي عهده ابنه محمود وقبّله وأمره أن يجلس على سرير السلطنة وكان عمره - أي ولي العهد - يزيد على أربعة عشرة سنة أما والده السلطان محمد طبر، فتوفي عن عمر يناهز ستاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر، وخلف من الأبناء: محمود ولي عهده (أكبر أبنائه) ومسعود، وطغرل، وسليمان، وسلجوق، وكلٌ منهم تولى السلطنة سوى سلجوق(١).

الصراع على ولاية العهد في أعقاب وفاة السلطان محمد طبر سنة ٥١١هـ /١١١٧م

بعد أن توفي السلطان محمد طبر سنة ٥١١هـ /١١١٧م تسلم ابنه محمود رئاسة السلطنة باعتباره ولي العهد، وكان المدبر لدولته والمستولي عليها الوزير الربيب أبا منصور، وتمت الخطبة للسلطان محمود بن محمد طبر ثالث عشر محرم من نفس السنة، بعد أن خاطب الوزير الربيب أبو منصور الخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ /١٠٧٥-١٠٩٤م في ذلك فأجاب.

أما سنجر بن ملكشاه فكان مقيماً بخراسان عندما وصله خبر وفاة أخيه السلطان محمد طبر وتسلم ابن أخيه محمود (زوج ابنته) رئاسة السلطنة، فجلس للعزاء بأخيه، ثم عزم على قصد العراق والسيطرة على المناطق التي بحوزة ابن أخيه السلطان محمود بن محمد طبر(٢).

وعندما سمع السلطان محمود بن محمد طبر بعزم عمه على قصده، أرسل وفداً محملاً بالهدايا إلى عمه سنجر بن ملكشاه مكوناً من شرف الدين انو شروان بن خالد، وفخر الدين طغارك بن اليزن، وحملهما عرضاً يشمل التنازل لعمه سنجر عن مازندران، وأن يؤدي إليه كل سنة ٢٠٠ ألف دينار لكن سنجر رفض هذه المبادرة وأصر على موقفه بقصد الري رغم محاولة شرف الدين انو شروان ثنيهِ عن موقفه وتجنب الحرب والقتال، فرد سنجر قائلاً: إنّ ولد أخي صبي، وقد تحكم

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٨-٢٠، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧،ص١٧٧-١٧٨٩، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٥٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١١-١١٣.

(٢) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١١، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٧٨، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٥٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٤، ٨٨-٨٩ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٩-٥٥٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢٠-١٢١، ابن العبري، تاريخ الدول، ٣٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٧-١٠٢.

عليه وزيره والحاجب ـ يقصد ـ علي بن عمر بن سرمة) وعندما وصلت الأنباء إلى السلطان محمود برفض عمه سنجر للمبادرة، وإصراره على التوجه لأخذ المناطق التي بيده وترأس السلطنة بدلاً عنه، جهّز جيشاً وجعل عليه الأمير علي بن عمر بن سرمة أمير حجّابه(١)قوامه عشرة آلاف فارس، إضافة إلى عدد كبير من الأمراء وأمرهم بالمسير للقاء جيش عمه سنجر الذي كان الأمير أنر على مقدمته، وقد إتّبع الأمير علي بن عمر بن سرمة خطة جعلت الأمير أنر ينسحب من لقائه، فعندما تقارب الجيشان، أرسل الأمير علي بن عمر إلى الأمير أنر يذكّره بوصية السلطان محمد طبر بتعظيم سنجر وإشراكه في كل امر، وأن السلطان محمد طبر أوصى بذلك ظاناً أن سنجر سيحفظ السلطنة لولده وأخذ العهد على الأمراء بذلك، وبيّن للأمير أنر أنّ قدومه إلى بلاد السلطان محمود يُعدّ تعدٍ على حق السلطان محمود وأنّ فرسان السلطان محمود لو كانوا أقل فإنهم هم الغالبون، فعاد الأمير أنر منسحباً بمن معه، وتعرض جيشه للاعتداء والنهب، وكان السلطان محمود قد وصل إلى الري وأشار عليه من معه بالإقامة فيها لمنع جنود خراسان وهم المناصرين لسنجر من تجاوزها، لكنه لم يأخذ بنصيحتهم وسار إلى جرجان، فوصلته الإمدادات حيث ورد عليه الأمير منكبرس من العراق بعشرة ألاف فارس والأمير منصور بن صدقة، والأمراء البجكية، فساروا معه إلى همذان للقاء عمه سنجر، فالتقيا قرب ساوة وإستولى عسكر السلطان محمود على الماء قبل وصول عسكر سنجر إليها ليحولوا دونها، وكان جيش سنجر قوامه عشرون ألف فارس وعدد من الفيلة إضافة إلى الأمراء الذين ساندوه وقدموا معه إلى ساحة القتال مثل صاحب سجستان ولد الأمير أبو الفضل، وصاحب يزد علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صهر السلطان محمد وسنجر حيث تزوج باختهما، أما عسكر السلطان محمود فقوامه ثلاثون ألفاً وفيه من الأمراء، الأمير علي بن عمر، والأمير منكبرس وأتابكه غزغلي، وبنوبرسق، وسنقر البخاري، وقراجه الساقي وعند اللقاء كان عسكر السلطان محمود ينظر بعين الضعف لعسكر عمه سنجر الذي ضعفت عزائم جنده عندما رأوا عدد جيش السلطان محمود، فكان ذلك سبباً لهزيمتهم في بداية المعركة، لكنّ سنجر رفض الهزيمة ولجأ الى استخدام الفيلة التي جعلت خيول السلطان محمود تصاب بالذعر، فإنهزم جيش محمود وأسرَ أتابكه غزغلي وقتلهُ، وأقيمت

---

(١) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١١، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٧٨، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٥٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٨٤، ٨٨-٨٩ ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٩-٥٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢٠-١٢١، ابن العبري، تاريخ الدول، ٣٥٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٧-١٠٢.

الخطبة له في بغداد في السادس والعشرين من جمادى الأولى وقُطِعت خطبة السلطان محمود بن محمد طبر، ورغم أنّ سنجر بن ملكشاه انتصر في هذه المعركة، إلا أن أغلب العساكر كانت إلى جانب السلطان محمود حتى بعد هزيمته، فأرسل إلى ابن أخيه آخذاً بنصيحة والدته التي قالت له: (قد أستوليت على غزنة وأعمالها، وما وراء النهر، وملكت ما حد ّعليه، وقررت الجميع على أصحابه، فأجعل ولد أخيك كأحدهم) لكن سنجرعندما أرسل إلى السلطان محمود يعرض عليه الصلح رفض الأمراء الذين كانوا معه الصلح إلا بعد أن يعود سنجر إلى خراسان، فرفض وسار إلى كرج، ثم قبل عرض الصلح وتقرر بينهما على ما يلي:

١- يكون محمود بن محمد طبر ولي عهد عمه السلطان سنجر ويخطب له بعده.

٢- إعادة جميع المناطق التي كانت بيد محمود بن محمد طبر إليه باستثناء الري حتى لا يفكر محمود بالخروج على عمه سنجر[١].

وهنا يود الباحث الإشارة إلى أنّ تصالح السلطان سنجر بن ملكشاه ٥١٣-٥٥٢هـ /١١١٩-١١٥٨م مع ابن أخيه محمود بن محمد طبر وتوزيع المناطق بينه وبين أبناء أخيه محمد (محمود، طغرل، سلجوق) قد أدى بشكل غير مباشر إلى تقسيم الدولة السلجوقية، فقد إقتطع السلطان سنجر لنفسه مازندران(٢) وطبرستان(٣)، وقومس(٤)، والدامغان(٥)، والري، ودوباوند(٦) وأعمالها

ومنح طغرل بن محمد طبر، ساوة، وآبة(٧)، وسارق، وسامان(٨) وقزوين(٩). وأبهر(١٠) وزنجان(١١)، وجيلان(١)، والديالم والطالقان(٢) ولسلجوق بن محمد طبر، ولاية فارس بأسرها(٣)

---

[١]ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١١-٢١٢، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٧٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٨٨-٩٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٨-٥٥٣، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٧-١٠١.

[٢] مازندران: هي بلاد مجاورة لجيلان وديلمان، وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، الحموي، معجم، ج٤، ص١٣.

[٣] طبرستان: مجموعة بلدان تسمى بهذا الاسم وأغلبها جبال، ومن بلدانها دهستان، جرجان، واستراباذ، وآقل وهي قصبتها، الحموي، معجم، ج٤، ص١٣.

[٤] قُومس: كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان وهي بين الري ونيسابور ومن مدنها المشهورة بسطام وبيار، الحموي، معجم، ج٤، ص٤١٤.

[٥] الدامغان، بلد كبير بين الري ونيسابور، وهو قصبة قومس، الحموي، معجم، ج٢، ص ٤٣٣.

[٦] دباوند: كورة من كور الري بينها وبين طبرستان، وهي بين الجبال، الحموي، معجم، ج٢، ص٤٣٦.

[٧] آبَهْ: بلدة تقابل ساوة تعرف بين العامة بأوه، أهلها شيعة، وأهل سنة بينها حروب على المذهب، الحموي، معجم، ج١، ص٥٠.

[٨] سامَانُ: قرية بنواحي سمرقند، إليها ينسب ملوك بني سامان بما وراء النهر، الحموي، معجم، ج٣، ص١٧٢.

[٩] قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة عشرة فرسخاً وإلى أبهر إثنا عشر فرسخاً، الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٢.

[١٠] أبهر: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان، وهمذان من نواحي الجبل، الحموي، معجم، ج١، ص٨٨.

[١١] زَنجان: بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان، وهي قريبة من أبهر وقزوين، الحموي، معجم، ج٣، ص١٥٢.

بأسرها(٣) وشطر من اصفهان(٤) من الخور. كذلك سيطر بعض الأمراء على عدد من المناطق مثل الأمير دبيس بن صدقة بن منصور الذي استولى على البصرة وأعمالها وما أضيف إليها من البطائح، وهيت والأنبار، وأعمال الفرات والرحبة إضافة إلى أن الموصل ونصيبين والخابور تغلب عليها أيضاً بعض الأمراء فأصبحت الدولة مقسّمة على الرغم من وجود سلطانٍ واحدٍ والخطبة له قائمة(٥) فكان هذا التقسيم مؤذناً بالصراع بين أبناء السلطان محمد طبر الذين تولى أمرهم الأتابك والأمراء فأصبحوا يحركونهم على العصيان والحرب فيما بينهم، وابتدأ هذا الصراع منذ وفاة والدهم السلطان محمد طبر سنة ٥١١هـ /١١١٧م، وكان أول الخارجين على السلطان محمود بن محمد طبر أخاه مسعود بن محمد طبر سنة ٥١٢هـ /١١١٨م، حيث حّركه بعض الأمراء وأتابكه الأمير جيوش بك على العصيان وطلب السلطنة فسار في جيش كبير إلى بغداد فأرسل إليه السلطان محمود بن محمد طبر جيشاً بقيادة عماد الدين منكبرس ثم انضم إليه دبيس صدقة صاحب الحلة فأدرك أتابكه الأميرجيوش بك أنه لا قدرة لمسعود وجيشه على القتال، فأرسل يطلب الصلح وأن يزاد إقطاع مسعود فتم الصلح وزيدت له أذربيجان(٦).

ثم خرج على السلطان محمود بن محمد طبر أخوه طغرل بن محمد طبرسنة ٥١٣هـ /١١١٩م، وكان الدور الأكبر في خروجه إلى أتابكه الأمير كنتغدي فأرسل إليه السلطان محمود بن محمد طبر شرف الدين انو شروان بن خالد يحمل إليه خلعاً وعرضاً بزيادة إقطاعه، وكان السلطان محمود خلفه ليقبض على طغرل وكنتغدي، لكن الخبر وصل إليهما فهربا إلى قلعة

ص١٥٢.

(١) جيلان: اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وهي قرى في مروح بين جبال، الحموي، معجم، ج٢، ص٢٠١.

(٢) الطالقان، بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبليخ بينها وبين مروالروذ ثلاث مراحل، وقال الاصطخري: أكبر مدينة بطنجارستان طالقان والأخرى، بلدة وكورة بين فزوين وأبره وبها عدة قرى يقع عليها هذا الاسم، الحموي، معجم، ج٤، ص٦-٧.

(٣) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مُكران، الحموي، معجم، ج٤، ص٢٢٦.

(٤) أصفهان، هناك من يفتح الهمزة، وهناك من يكسرها، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي من نواحي الجبل، الحموي، معجم، ج١، ص٢٠٦-٢٠٨.

(٥) ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١١، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٧٢، الحسيني، أخبار الدول السلجوقية، ص٨٤-٩٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٨-٥٥٣، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٢٠-١٢٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٩٧-١٠١.

(٦) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٩٦-٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٣٩-٥٤٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١٤-١١٧، منجم باشي، جامع الدول، ص١١٥.

سرجهان، وتحصنا بها فسار السلطان محمود إلى الري أما طغرل وكنتغدي فسارا بعد ذلك إلى كنجة وجمعا جيشاً كبيراً واستحكم العداء بينهما وبين السلطان محمود.

ثم خرج على السلطان محمود أخوه مسعود للمرة الثانية سنة ٥١٤هـ /١١٢٠م بتحريض من دبيس بن منصور صاحب الحلة وأتابكه الأمير جيوش بك فسار السلطان محمود إليهم وقاتلهم وهزمهم وعفى عن أخيه مسعود وأشركه في ملكه(١). وهكذا نجد أن تقسيم المناطق والولايات زاد من مطامع الأتابك والأمراء الذين استغلوا صغر سن الأمراء السلاجقة أبناء السلطان محمد طبر فأذكوا نار الخلاف والنزاع رغبة في إرضاء مصالحهم وزيادة إقطاعاتهم وإزداد الأمر بعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ /١١٣٢م وتعيين ابنه داؤد ولياً للعهد، حيث تحارب سلجوقشاه بن محمد طبر صاحب فارس و خوزستان مع أخيه مسعود بن محمد طبر، ووتحالف مع الخليفة العباسي المسترشد ٥١٢-٥٢٩هـ /١١١٨/١١٣٥م ضده ثم اصطلحوا وتحالفوا ضد السلطان سنجر الذي خرج من الري قاصداً بغداد واتفقوا على أن يكون العراق لوكيل الخليفة، والسلطنة لمسعود بن محمد طبر وولاية العهد لسلجوقشاه بن محمد طبر، وقطعت خطبة السلطان سنجر(٢). فتحرك السلطان سنجر يرافقه ابن اخيه طغرل بن محمد طبر نحو العراق لإعادة الأمور إلى نصابها فالتقى بمسعود وسلجوقشاه وجيوشهم بعد أن تخلف الخليفة العباسي المسترشد عن القدوم قرب الدينَور وهزمهم وقبض على مسعود وعفى عنه وعيّنه على كنجه، وعين ابن أخيه طغرل بن محمد نائباً له وسلطاناً على العراق وفارس وعاد إلى خراسان(٣).

أثر الصراع ولاية العهد على الدولة السلجوقية

---

(١) الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ص٩٦-٩٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٥٤٧-٥٤٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١١٤-١١٥، منجم باشي، جامع الدول، ص١١٦-١١٧.

(٢)ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١٦-٢١٨، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٦٣-٢٧١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٩٩-١٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٧٤-٦٧٨، البنداري، دولة آل سلجوق،ص١٤٥- ١٥١، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٥٣، منجم باشي، جامع الدول، ص١٠٣-١٠٤.

(٣)ابن العمراني، تاريخ الخلفاء، ص٢١٦-٢١٨، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٢٦٣-٢٧١، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٩٩-١٠٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٧٤-٦٧٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص١٤٥-١٥١ ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٥٣، منجم باشي، جامع الدول، ص١٠٣-١٠٤.

أ- توقف الفتوحات

أدى الصراع على ولاية العهد وعرش السلطنة السلجوقية إلى انصراف السلاجقة عن مشروعهم التوسعي الذي بدأ منذ انتصارهم في معركة داندنقان سنة ٤٣٢هـ /١٠٤٠م والذي انطلق على يد السلطان طغرلبك وإخوته جغربك داؤد، وإبراهيم ينال حيث شرعوا في بسط نفوذهم وسيادتهم على العديد من المناطق مثل نيسابور سنة ٤٣٢هـ /١٠٤٠م وبلخ وهراة(١) بنفس السنة ، ثم في سنة ٤٣٣هـ /١٠٤١م أخضعوا جرجان وطبرستان(٢) وفي سنة ٤٣٤هـ /١٠٤٢م اخضعوا خوارزم(٣)، وخراسان والري وبروجرد وهمذان(٤)، وقزوين وبلاد الجبل(٥) حتى غدت الدولة السلجوقية دولة مترامية الأطراف وحولوا السلاجقة من قبائل لاجئة متنقلة لدى الدولة الغزنوية إلى دولة واسعة الرقعة، وقد ساعد على هذا التوسع - عدا التفوق العسكري وضعف الدويلات التي بسط السلاجقة نفوذهم على مناطقهم وأبرزها الدولة الغزنوية- وحدة الصف السلجوقي، وقلة الخلافات ولا أقول انعدامها التي تركزت حول ولاية العهد والسلطنة(٦) ، إضافة إلى إحكام الدولة ممثلة بالسلطان طغرلبك قبضتها على الأمور، وبوفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢- ١٠٩٢ م تكون الدولة السلجوقية قد وصلت إلى مرحلة توقف الفتوحات.

وهنا يود الباحث تناول رقعة الدولة في عهد السلطان ملكشاه بن ألب ارسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م.

تولى السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان رئاسة الدولة السلجوقية سنة ٤٦٥هـ /١٠٧٢م كأول سلطان يصل إلى عرش السلطنة من خلال ولاية العهد، ومنذ وصوله إلى رئاسة السلطنة، شرع في مواصلة المشروع التوسعي الذي بدأه السلاجقة منذ تأسيس دولتهم سنة ٤٣٢هـ /١٠٤٠م.

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٨٣.
(٢) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٤٩٦-٤٩٧.
(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٥٠٦.
(٤) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٥٠٦-٥٠٧
(٥) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٥٥٦.
(٦) انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص١٣٧- ١٤٣.

فخلال الفترة ٤٦٥-٤٦٧هـ /١٠٧٢-١٠٧٤م وصل السلطان ملكشاه إلى بلاد أرّان والأبخاز، وأخذ الجزية من ملك الروم(١) واستولى على كاشغر وترمذ وسمرقند، وخلال الفترة ٤٧٠-٤٧١هـ /١٠٧٧-١٠٧٨م أقطع السلطان ملكشاه أخاه (تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان) الشام وما يفتحه في تلك النواحي، وكان هدف ملكشاه من وراء هذا الإقطاع هو فتح الطريق باتجاه مصر، وذلك بالسيطرة على السواحل الشامية، وقد بدأ تتش ينفذ مخطط ملكشاه من خلال مساعدته لإقسيس صاحب دمشق ضد قوات أمير الجيوش التي قصدت دمشق فكان تدخل تتش سبباً في تراجع هذه القوات واندحارها، ومَلَكَ تتش بعدها دمشق بعد أن قتل إقسيس صاحبها(٢).

وفي سنة ٤٧٢هـ /١٠٧٩م ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي حلب ودخل في طاعة السلطان ملكشاه ثم سنة ٤٧٣هـ /١٠٨٠م فتح انطرطوس، وعدد من الحصون وفي سنة ٤٧٧هـ /١٠٨٤م عادت انطاكية إلى حظيرة السلاجقة بعد أن كانت بيد الروم منذ سنة ٣٥٨هـ /٩٦٨م وفي عام ٤٧٨هـ /١٠٨٥م إنضمت ميافارقين وجزيرة ابن عمر إلى سيطرة الدولة السلجوقية وفي السنة التي تليها سنة ٤٧٩هـ /١٠٨٦م دخلت الرها ومنبج إلى أملاك الدولة السلجوقية(٣).

وفي سنة ٤٨٢هـ /١٠٨٩م أخضع السلطان ملكشاه سمرقند وبخارى، ودفع ملك الروم إليه الجزية(٤).

وفي سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م أصدر السلطان ملكشاه أوامره إلى الأمير قسيم الدولة آقسنقر أمير حلب، والأمير بوزان أمير الرها أن يكونا بعساكرهما نجدة لتتش في مشروعه التوسعي، في السيطرة على المناطق الخاضعة للمستنصر العلوي في الشام ومن ثم التوجه إلى مصر، فلما

---

(١) الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠١-٢٠٣، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٩٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٥٧-٥٨

(٢) ابن القلانسي أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق،نشر أمدروز، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م،ص١١٢، ص١٩٢، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، ابن القلانسي ، ذيل، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٣، الحسيني، إخبار الدولة السلجوقية، ص٦٣-٦٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١١١-١١٥، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧١-٧٢، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٣٧٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٤٣.

(٣) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧١-٧٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٨، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧١-٧٢، ٧٥-٧٦، ابن سبط الجوزي، مرآة الزمان، ص، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٠-٥١.

(٤) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٦٧-٧٣، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص١٧١-١٧٢، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧١-٧٢، ٧٥-٧٦، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٦٢، منجم باشي، جامع الدول، ص٥١-٥٣.

وصلا إليه أخضع تتش حمص، ثم سار إلى طرابلس وكان صاحبها جلال الدولة بن عمار من قبل السلطان ملكشاه فأرسل إلى وزير الأمير أقسنقر واسمه زرين كمر ليكون وسيطاً لدى تتش وأرسل إليه المناشير وكتب التوليه من السلطان ملكشاه إليه وثلاثين ألف دينار، وكانت المناشير التي أرسلها جلال الدولة بن عمار سبباً في وقوع الاختلاف بين تتش والأميرين بوزان وآقسنقر.

فقد رفض آقسنقر مساندة تتش في قتال ابن عمار التزاماً واحتراماً للكتب التي يحملها من قبل السلطان ملكشاه إذ قال مخاطباً تتش (لا أقاتل من هذه المناشير بيده، فأغلظ له تاج الدولة وقال: هل أنت إلا تابع لي؟ فقال أقسنقر أنا تابعك إلا في معصية السلطان) وترك تتش ورحل عائداً إلى بلاده حلب وتبعه الأمير بوزان عائداً إلى الرها. وفي سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م أراد السلطان ملكشاه أن يُكمل مشروعه التوسعي بالتوجه نحو إخضاع الحجاز وجنوب الجزيرة العربية (اليمن) فطلب من جبق أمير التركمان صاحب قرميسين التوجه إلى اليمن تحت رئاسة سعد الدولة كوهرائين، فاختار رسق الدولة الامير ترشك ليكون قائد الحملة، وكان طاعناً في السن فوصلوا إلى اليمن وسيطروا عليها وملكوا عدن، لكن الأمير ترشك مرض بالجدري فتوفي واضطرت الحملة للعودة إلى بغداد(١).

وبنفس السنة التي دخلت فيها اليمن في سلطة ملكشاه ٤٨٥هـ /١٠٩٢م توفى (أي السلطان ملكشاه) تاركاً وراءه دولة واسعة الرقعة دون أن يُكمل مشروعه التوسعي في إخضاع مصر وبلاد المغرب لسلطانه(٢).

وهنا يود الباحث الإشارة إلى أن السلطان ملكشاه رغم توسع الدولة في عهده وإضافة العديد من المناطق إليها وامتلاكه لمشروع توسعي كان يريد له الوصول إلى القارة الأفريقية وإدخالها ضمن أملاك السلاجقة في عهده، إلا أنه أوجد في الدولة السلجوقية بذرة الإنقسام من خلال تعيينه لإبنه محمود ولياً للعهد ليتولى عرش السلطنة من بعده، وتكمن خطورة هذا القرار في أنّ السلطان ملكشاه تجاوز العرف السلجوقي في تعيين الابن الأكبر ولياً للعهد، وبدأت الصراعات

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧١-٧٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٠٣-٢٠٤، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٩.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٦، ص٢٩٩-٣٠٠، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٧١-٧٣- ابن الاثير، الكامل، ج١٠، ص٢١١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٧١، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص٤٨٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٩.

على رئاسة الدولة السلجوقية بين أبنائه بركيارق، ومحمود، وتكش بن ألب أرسلان فدخلوا في صراع على الزعامة مما أدى إلى انقسام الدولة السلجوقية وانحسار رقعتها.

ب- انقسام الدولة السلجوقية

أصاب الإنقسام الدولة السلجوقية نتيجة الصراعات والحروب التي قامت بين المتطلعين للسلطنة من أفراد الأسرة السلجوقية وتحديداً بين بركيارق وأخيه محمود، ثم بين بركيارق وعمه تتش بن ألب أرسلان سنة ٤٨٦هـ /١٠٩٣م، ثم بين بركيارق وأخيه محمد طبر والتي امتدت من سنة ٤٩٢-٤٩٧هـ /١٠٩٨ - ١١٠٣م وانتهت بالتصالح واقتسام الدولة السلجوقية(١) وإنهاء حالة الحرب التي عاشتها الدولة السلجوقية مدة خمس سنوات. وهنا يود الباحث الإشارة للمناطق التي سيطر عليها كل من الأخوين المتحاربين في أثناء الحروب التي دارت بينهما.

أولاً: المناطق الخاضعة للسلطان بركيارق بن ملكشاه قبل الصلح:

الري، الجبل، طبرستان، خوزستان، فارس، ديار بكر، الجزيرة، الحرمين الشريفين.

ثانياً: المناطق الخاضعة لمحمد طبر قبل الصلح.

- أذربيجان، بلاد أرانية، أرمينية، أصبهان، العراق، باستثناء تكريت والبصرة، أما منطقة البطائح فكان يخطب فيها أحياناً لبركيارق وأحياناً لمحمد طبر.

- خراسان، كانت الخطبة فيها لسنجر بن ملكشاه ولأخيه محمد طبر وهي من حدود جرجان إلى ما وراء النهر(٢).

أما المناطق الخاضعة للسلطان بركيارق بعد الصلح فهي:

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص١٠-٨٥، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٤-٢٢٨، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٤-٧٨، ابن الأثير الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٣٧١، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨١-٨٩، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢-٨١

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٨٥، الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٩-٣٧٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٧-٨٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٨١-٨٢.

- الري، والجبل، طبرستان، خوزستان، فارس، الحرمين الشريفين والعراق باستثناء أرض سيف الدولة صدقة(١).

والأراضي الخاضعة لمحمد طبر بعد الصلح فهي:

المنطقة الممتدة من النهر المعروف باسبيذروذ(٢)، إلى باب الأبواب(٣) وديار بكر(٤)، والجزيرة، والموصل، والشام، إضافة إلى بلاد سيف الدولة صدقة.

وتجدر الإشارة إلى أن تولية السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان لأخيه تتش بن ألب أرسلان على الشام وما يفتحه في تلك المناطق سنة ٤٧١هـ /١٠٧٨م كان الهدف منه فتح الطريق إلى بلاد مصر والمغرب، وعندما وجد السلطان ملكشاه أن نفوذ تتش زاد عما هومخطط له، أرسل حملة إلى منطقة الجزيرة الفراتية وبلاد الشام الشمالية بهدف الحد من توسع تتش، فقام بالسيطرة على حرّان وعيّن عليها محمد بن مسلم ابن قريش العقيلي واستولى على الرُها وسلمها للأمير بوزان، وأقطع حلب لقسيم الدولة آقسنقر، وإنطاكيا للأمير ياغي سيان(٥).

وبهذه الطريقة التي اتبعها السلطان ملكشاه يكون قد حقق أمرين:

الأول: أمن خطر تتش من خلال توزيع مناطق بلاد الشام الشمالية على أمرائه الذين أوكل لهم مهمة متابعة الفتوحات في بلاد الشام والجزيرة الفراتية.

الثاني: بسط النفوذ السلجوقي وتأمين الثغور الشامية ضد الخطر الصليبي.

وظلت الأمور تسير كالمعتاد إلى أن توفي السلطان ملكشاه وسنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢مم حيث توسعت المناطق التي سيطر عليها تتش وانضم إليه أمراء ونواب السلطان ملكشاه الذين أوجدهم أصلاً للحد من توسع تتش فدخلوا في طاعة تتش عندما قام النزاع بين أبناء السلطان ملكشاه على

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٧، ص٨٥،الحسيني، أخبار الدولة السجلوقية، ص٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٧٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص٨٤-٨٧، منجم باشي، جامع الدول، ص٨١.

(٢) اسبيذروذ: معناها النهر الأبيض: اسم لنهر مشهور من نواحي أذربيجان مخرجه من عند بارسيس ويصب في بحر جرجان، الحموي، معجم، ج١١، ص١٧٢-١٧٣.

(٣) باب الأبواب: مدينة على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلين، الحموي، معجم، ج١، ص٣٠٣.

(٤) ديار بكر: هي بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفص بن دعمي ابن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا، وآمد، وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت، وجيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السجل، الحموي، معجم، ج٢، ص٤٩٤.

(٥) محمود الرويضي، إمارة الرها الصليبية، رسالة دكتواره منشورة، ط١، ٢٠٠٢، وزارة الثقافة، عمان، ص١٥٧-١٥٨، وسيشار إليه لاحقاً هكذا، الرويضي، إما الرها.

السلطنة(١) إلى أن تمكن بركيارق بن ملكشاه من القضاء عليه وقتله سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م، لكن خطر تتش لم ينتهي بقتله، فقد أخذ على الأمراء العهد لأبنه دقاق الذي كان سائراً نجدة لإبيه في أثناء حربه مع بركيارق بن ملكشاه سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م وعندما وصل إلى هيت، بلغه خبر وفاة والده فعاد إلى حلب وملكها ولحق به الأمير جناح الدولة الحسين بن أيتكين زوج والدته إضافة إلى إخوته الصغار: (بهرام، وأبي طالب) وهنا لعب جناح الدولة دوراً في استمالة قلوب الجنود المغاربة الذي كانوا يحرسون قلعة حلب وحثهم على المطالبة بالامير دقاق ليكون هو المدبر لشؤون حلب بعد أن استبد الوزير ابو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي الذي استنابه تتش في حلب قبيل خروجه للقاء السلطان بركيارق بن ملكشاه(٢) بالأمور وكان هو صاحب التدبير بينما رضوان وأتابكه جناح الدولة لا يقوون على فعل شيئ وصوّر ابن الأثير استبداد الوزير أبي القاسم الخوارزمي بالأمور بقوله: (... وكانوا كلهم ـ يقصد رضوان وأتابكه جناح الدولة، وأخواه الصغيران أبو طالب، وبهرام أبناء تتش ـ كالأضياف لتحكمه بالبلد)(٣).

فأثمرت خطته عن تجميد صلاحيات الوزير وتقليصها بعد ان استقطب جنود القلعة (حلب) التي كان الوزير أبو القاسم الخوارزمي نائباً فيها من قبل تتش، وإستطاع تنحيته عن إدارة شؤون الدولة وإعلان الخطبة لرضوان، وتولى الأمير جناح الدولة إدارة شؤون الدولة وتصريفها(٤).

أما الملك دقاق بن تتش أخو الملك رضوان، فقد راسله الأمير ساوتكين الخادم سراً حيث كان مستناباً في قلعة دمشق ورغّبه في القدوم إلى دمشق وتولّي رئاستها، فخرج الأمير دقاق سراً من حلب قاصداً دمشق دون علم أخيه الأمير رضوان الذي أرسل خلفه عدد من الفرسان للحاق به وإرجاعه لكن الأمير دقاق استطاع الوصول إلى دمشق حيث أجلسه الأمير ساوتكين في رئاسة دمشق وتولى أخذ العهد له من الجنود وأمراء الجيش وتمت رئاسة دمشق للأمير دقاق بن تتش سنة

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٧-١٤٦، الراوندي، راحة الصدور، ص٢٠٣، الحسيني، أخبار السلجوقية، ص٧٤-٧٨، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٦٩-٣٧٠، البنداري، دولة آل سلجوق ص٨١-٨٩، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٣، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٠-٧١.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق ص١٣١، الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٨-٢٢٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص ٢٤٤-٢٤٨، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٠-٥٢، ص٦٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٦.

(٤) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٠، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٦-٢٤٧، ابن العبري، تاريخ الدول، ص٣٤٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٥٠-٥٢، ص٦٦.

٤٨٨هـ /١٠٩٥م وتزوج الأمير ساوتكين بوالدة الأمير دقاق الخاتون صفوة الملك(١)وإستبد بالأمور، أما الأمير رضوان أمير حلب فقد ظلّت مطامعه تراوده تجاه مهاجمة دمشق وضمها إلى أملاكه وإدخالها تحت سيطرته منتظراً الفرصة المواتية لتحقيق هدفه، فجاءت بغياب الأمير دقاق والعسكر والأمراء أمثال ياغي سيان، ونجم أيل غازي، تحالف مع الأمير سقمان بن أرتق فتوجها نحو دمشق، وكان بها الوزير زين الدولة محمد بن الوزير أبي القاسم، وعدد قليل من الجنود إضافة إلى أهل البلد فأغلقوا أبواب المدينة ودافعوا عنها وقُتِل حاجب الأمير رضوان بحجر أصابه من منجنيق أهل البلد، فعادوا إلى مخيمهم، ثم وصلتهم الأخبار بعودة الأمير دقاق وجيشه إلى دمشق، فرحل الأمير رضوان وتتبعهم الأمير دقاق بجيشه وتقارب الفريقان لكن الأمير رضوان فضل الانسحاب والعودة إلى بلده حلب(٢).

وفي سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م وقع خلاف بين الأمير جناح الدولة حسين والأمير رضوان أمير حلب، نتج عنه خروج الأمير جناح الدولة حسين إلى حمص حيث كان يقيم بها نائبه قراجه فتسلمها منه وشرع في تحصينها ونقل أهله إليها واستقر فيها وجاء الأمير ياغي سيان صاحب أنطاكية على أثر خروج الأمير جناح الدولة حسين إلى حمص وتولى ما كان يتولاه الأمير جناح الدولة من أمور عسكرية وإدارية، فأصبح المدبر لأمر العسكر وأهل حلب وشرع في إذكاء نار الفتنة والخصومة بين الأخوة (رضوان ودقاق) أبناء تتش، فشجع الأمير رضوان على التوجه نحو دمشق وانتزاعها من أخيه الأمير دقاق الذي رحب بالعرض فساروا من حلب قاصدين دمشق(٣) حتى وصلوا شَيْرز(٤). فوقع اختلاف بين أمراء الجيش (جيش الأمير رضوان، وجيش الأمير ياغي سيان) ترتب عليه توقف الجيش عن مواصلة مسيرته وعودة كلٌ إلى جهته.

ولم تقتصر تحالفات الأمير رضوان ضد أخيه الأمير دقاق صاحب دمشق على الاستعانة بالأمراء مثل ياغي سيان، بل تجاوز ذلك إلى التحالف مع الدولة الفاطمية ممثلة بالخليفة المستعلي

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٠-١٣١، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٧-٢٤٨، منجم باشي، جامع الدول، ص ٦٧.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣١-١٣٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٦-٢٤٨، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٧.

(٣) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٩-٢٧٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٧-٦٨.

(٤) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها، وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص، وهي قديمة، الحموي، معجم، ج٣، ص٣٨٣.

(٤٨٧-٤٩٥ هـ / ١٠٩٤-١١٠١م) ووزيره الأفضل بن بدر الجمالي، فقد وافق الأمير رضوان على مضمون الكتابين اللذين بعث بهما كل من الخليفة المستعلي ووزيره الأفضل والمتضمنين الدخول في طاعة الخليفة المستعلي والخطبة له، ولوزيره الأفضل، ثم للأمير رضوان من بعدهما مقابل دعم الخليفة المستعلي ووزيره الأفضل للأمير رضوان في الاستيلاء على دمشق وانتزاعها من يد أخيه الأمير دقاق أمير دمشق، واستمر هذا التحالف قرابة الأربع جُمَع وهي مدة إعلان الخطبة للخليفة المستعلي (٤٨٧-٤٩٥هـ /١٠٩٤-١١٠١م) وسبب عدم استمرار التحالف هو تدخل الأميران ياغي سيان، والأمير سقمان بن أرتق لدى الأمير رضوان حيث بينا له مساوئ فعله وخطره ونصحاه بضرورة إبطال التحالف، فقبل بالنصيحة وأبطل الخطبة للمستعلي ووزيره الأفضل(١).

بناءً على ما تقدم، يمكن القول أنّ انتصار السلطان بركيارق بن ملكشاه ٤٨٧-٤٩٨هـ /١٠٩٤ - ١١٠٤م على عمه تتش بن الب أرسلان وقتله سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤ م ينظر له من ناحيتين:

الأولى: أنه كان ضرورة أمام بركيارق نتيجة الخطر الذي شكله عمه تتش باستيلائه على مناطق واسعة وإزدياد أتباعه ومؤيديه، فكان لا بد من التحرك لمواجهته والتخلص من خطره.

الثانية: أن مقتل تتش فتح الباب أمام ظهور منافسين آخرين للسلطان بركيارق على رئاسة السلطنة مثل: عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان سنة ٤٨٨هـ /١٠٩٥م وأخيه محمد طبر بن ملكشاه سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٨م، إضافة إلى أن مقتل تتش هيأ فرصة للصراع بين أبنائه الأمير رضوان أمير حلب والأمير دقاق أمير دمشق حيث لعب الأمراء والأتابك دوراً بارزاً في اشعال نار الفتنة والصراع بينهما بما يضمن تحقيق أهدافهم ونفوذهم.

والمراقب لمجريات الأحداث بعد مقتل تتش به ألب أرسلان سنة ٤٨٧هـ /١٠٩٤م يجد أن دخول ابنيه في نزاع فيما بينهما حول حلب ودمشق قد أوقف التوسع في الساحل الشامي الذي أوكل السلطان ملكشاه بن الب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢- ١٠٩٢م مهمة فتحه ومواصلة الفتوحات نحو مصر والمغرب بعد ذلك إلى والدهم تتش بن ألب أرسلان، خاصّة أن صراع الأميرين

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٩-٢٧٠، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٧-٦٨.

رضوان ودقاق قد اشتعل في فترة إنشغل السلطان بركيارق عنهما بنفسه، حيث واجه عصيان عمه أرسلان أرغون سنة ٤٨٨هـ /١٠٩٥م، ومن ثم دخل في حرب طويلة مع أخيه محمد طبر بن ملكشاه استمرت قرابة الخمس سنوات ٤٩٢-٤٩٧هـ / ١٠٩٨-١١٠٣م مما جعل الأمراء و الأتابك أصحاب الأمر والنهي عليهما، فالصراع هو في حقيقته صراع نفوذ ومصالح بين الأمراء، ودليل ذلك أن الأخوين ـ أي أبناء تتش الأمير رضوان والأمير دقاق ـ كانا يقيمان معاً في حلب، وكان الأمير رضوان بمثابة ولي عهد والده تتش بن ألب أرسلان ودليل هذا ما أورده ابن الأثير في حوادث سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥ م حيث قال: (كان تاج الدولة تتش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان، وكتب إليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قُتِل فيه، يأمره أن يسير إلى العراق، ويقيم بدار المملكة...)(١)

يُفْهم من هذه الرواية أن تتش كان يرتب الأمور لجعل ابنه الأمير رضوان ولياً للعهد من بعده في حال استولى على مقاليد السلطنة حيث أنّ هذه الرسالة كان تتش قد بعث بها من بلاد الجبل أثناء مسيره للقاء السلطان بركيارق بن ملكشاه، وقد سارت الأمور على ما يرام بين الأخوة في البداية حتى بدأت مكاتبة الأمير ساوتكين للأمير دقاق يُحّفزه على التوجه نحو دمشق والإستيلاء عليها، ثم بدأت بعد ذلك الصراعات بين الأخوة إلى أن وصلت حد قيام الأمير رضوان أمير حلب بالتحالف مع الخليفة المستعلي ٤٨٧-٤٩٥هـ /١٠٩٤-١١٠١م، ضد أخيه الأمير دقاق من أجل السيطرة على دمشق وانتزاعها منه(٢)، وهذا كان فرصة ثمينة للخليفة المستعلي الذي رحب بالتحالف رغبة في مد نفوذ الفاطميين داخل حدود الدولة السلجوقية التي كانت تعصف بها الصراعات.

ج-إنحسار رقعة الدولة السلجوقية

اعتمد السلاجقة في إقامة دولتهم على نشأتهم القتالية التي هيأت لهم سُبل السيطرة على مناطق واسعة، وإخضاعها لسلطانهم حتى غدا التوسع وفتح المناطق لإضافتها لسلطة الدولة نهجاً

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٤٦.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٣، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٦٩-٢٧٠، ابن ميسر، المنتقى، ص٦٤، منجم باشي، جامع الدول ص٦٧٩-٢٧٠.

سار عليه كل سلطان من سلاطين السلاجقة العظام (طغرلبك، ٤٣١-٤٥٥هـ /١٠٣٩-١٠٦٣م، ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٧٢م ملكشاه ٤٦٥-٤٨٥هـ /١٠٧٢-١٠٩٢م) بإعتبارها أحد العوامل التي تجلب لهم ولأولياء عهدهم الشرعية والشعبية، إضافة لأهميتها في ميزان القوى الدولي باعتبار أن المناطق الواسعة دلالة على قوة الدولة، فالسلاجقة عاشوا في محيط من القوى المتنافسة والمتطلعة دائماً إلى السيطرة على مناطقهم - أي السلاجقة - وتتمثل هذه القوى المختلفة عن بعضها إيديولوجيا بالدولة الفاطمية الإسلامية والتي تتبنى المذهب الشيعي المختلف عن المذهب السني الذي يتبناه ويدعمه السلاجقة، وأما القوى الأخرى والتي تختلف كلياً عن الإيديولوجية الدينية لكل من السلاجقة والدولة الفاطمية فتمثلت بالحملات التي انطلقت من أوروبا سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م وشكلت خطراً على السلاجقة من خلال استيلائهم على العديد من المناطق والمدن الخاضعة لهم مثل مدينة الرها سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٧م، وبيت المقدس سنة ٤٩٢هـ /١٠٩٩م مستغلين فترة الصراع التي نشبت في الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ /١٠٩٢م، والتي أدت إلى انقسام الدولة وتفككها فيما بعد(١).

بدأت أولى محاولات سلخ أجزاء من أراضي الدولة السلجوقية عنها في فترة مبكرة من نشأتها سنة ٤٥٥هـ /١٠٥٨م وذلك سعياً لإسقاطها والتخلص منها، وإبتدات هذه المحاولات على يد الدولة الفاطمية التي استغلت طموح إبراهيم ينال ونزوعه للسلطنة فبدؤوا بمكاتبته من خلال حليفهم أرسلان البساسيري، على أنّ داعي الدعاة الفاطمي(٢) يذكر أن إبراهيم ينال وهو بالموصل بعث كتاب إلى أرسلان البساسيري وحليفه قريش بن بدران ظاهره دعوتهما للدخول في طاعة السلطان طغرلبك، وباطنه طلب النصرة والتأييد من الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ /١٠٣٥-١٠٩٤م) على أخيه السلطان طغرلبك من أجل انتزاع السلطنة منه، فاستغل الخليفة الفاطمي ذلك لينجز مخططه بإخضاع العراق لسلطته متحالفاً مع إبراهيم ينال واعداً إياه بدعمه ومساندته(٣) وتبرز أهمية تحالف إبراهيم ينال مع البساسيري من ناحيتين بالنسبة للدولة الفاطمية:

---

(١) انظر: الرويضي، إمارة الرها، ص١٧٨-١٨٦.

(٢) المؤيد في الدين، داعي الدعاة ص١١-١٢.

(٣) المؤيد في الدين، داعي الدعاة، ص١٧٥- ١٧٦، ابن القلانسي، تاريخ دمشق ص٨٧-٨٨، ابن العمراني تاريخ الخلفا، ص١٩٢-١٩٦ ابن الجوزي، المنتظم ج١٦، ص٣٠-٣١، الراوندي، راحة الصدور، ص١٧١، الحسيني، أخبار الدولة

الأولى: من ناحية التوقيت جاء في فترة تغلغل البساسيري في العراق وإعلانه الخطبة للخليفة المستنصر الفاطمي وإخراج الخليفة العباسي القائم بأمر الله من بغداد وكاد أن يقضي على الدولة السلجوقية في بداية عمرها.

ثانياً: أنّ تحالف إبراهيم ينال مع الدولة الفاطمية هو بمثابة انقلاب عسكري داخلي على الدولة السلجوقية جاء بإتفاق من الدولة الفاطمية المتطلعة للقضاء على دولة السلاجقة من خلال أرسلان البساسيري الذي تولى عملية الاتصال والتحالف بإبراهيم ينال باعتباره مطّلعاً على طبيعة العلاقة القائمة بين إبراهيم ينال والسلطان طغرلبك بحكم وجوده في العراق وسيطرته عليه إبان قدوم السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م، ولم تتوقف محاولات الفاطميين للقضاء على الدولة السلجوقية بعد قتل البساسيري على يد السلطان طغرلبك سنة ٤٥١هـ /١٠٥٩م بل ظلت تتطلع إلى الاستيلاء على ما تيسر لها من أراضي الدولة السلجوقية فاتخذت طابع شن الهجمات على المناطق الخاضعة لها.

وفي سنة ٤٦٢هـ /١٠٧٠م جاء أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مدينة صور محاصراً لها فاستنجد أميرها من بني عقيل القاضي عين الدولة بن أبي عقيل بمقدم الأتراك بالشام الذي سار لحصار مدينة صور التي كانت لأمير الجيوش فعاد عنها، ثم عاد مرة أخرى بنفس السنة وحاصرها براً وبحراً حتى نال الجوع والغلاء من أهلها ثم فك حصاره وعاد عنها بعد أن يأس منها(١) .

وفي سنة ٤٧٨هـ /١٠٨٥م وصل أمير الجيوش إلى الشام، محاصراً لدمشق، وكان فيها تاج الدولة تتش فدافع عنها فاضطر أمير الجيوش إلى العودة إلى مصر(٢) وفي سنة ٤٨٢هـ /١٠٨٩م سيطر جيش الدولة الفاطمية على مدينة صور وصيدا وعكا(٣).

السلجوقية، ص ١٩-٢١ ،ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٦٣٩-٦٤٠، البنداري، دولة آل سلجوق، ص ١٧- ٢٠، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ص١٠٨-١١١، منجم باشي، جامع الدول، ص٢٠-٢١.

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص٩٨-٩٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٦٠-٦١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص١٤٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل ، ج١٠ ،ص١٧٦.

وفي سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م استغل الفاطميون النزاع القائم بين أبناء تاج الدولة تتش الأميرين رضوان أمير حلب والأمير دقاق أمير دمشق، فراسلوا الأمير رضوان ليدخل في طاعتهم ويخطب للخليفة المستعلي بأمر الله ولوزيره الأفضل بن بدر الجمالي ولنفسه ـ أي الأمير رضوان ـ من بعدهم مقابل نصرتهم له في استيلائه على دمشق وانتزاعها من أميرها دقاق(١).

أما الطرف الآخر والذي ناصب السلاجقة العداء، وعمد إلى شن الهجمات على أراضيهم وسلخها عن جسم الدولة السلجوقية فيتمثل بالهجمات الصليبية التي ابتدأت في بلاد الشام سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م.

دخل الصليبيون إلى أراضي الدولة السلجوقية من خلال قونية(٢) فتولى الأمير قلج أرسلان الدفاع عنها ومقاومتهم لكنه هُزِمَ فواصل الصليبيون مسيرهم إلى أنطاكية فحصروها واستولوا عليها وكان بها الأمير ياغي سيان الذي اتبع خطة في الدفاع عن أنطاكية تمثلت بحفر خندق حول المدينة وجعل النصارى الرجال خارج المدينة حتى إذا حاصرها الصليبيون يكونون في مواجهتهم، وعندما وصل الصليبيون ووجدوا النصارى خارج المدينة جعلوا إقامتهم في معسكرهم طوال فترة الحصار التي استمرت تسعة أشهر دون أن يستطيع الصليبيون أن يدخلوا، فلجأوا إلى شراء ذمة أحد حراس أبراج المدينة بالمال والإقطاع حيث دخل من خلال شباك البرج ما يقارب الخمسمائة مقاتل وضربوا البوق عند حلول الفجر وعندما تسائل ياغي سيان عن سبب ضرب البوق أخبروه أن القلعة قد مُلكت وكان في الأصل من البرج وليس من القلعة فخرج ياغي سيان هارباً وخرج نائبه فدخل الصليبيون وملكوا المدينة، وبعد ذلك أرسلوا إلى صاحب حلب ودمشق رسالة تطمينية بأنهم لا ينوون التوجه نحو بلادهم، والهدف من هذه الرسالة أن لا يُرسل أحداً منهم نجدة لمساعدة أهل انطاكية(٣).

وبعد سقوط أنطاكية ٤٩١هـ /١٠٩٧م استولى الصليبيون على معرة النعمان رغم مقاومة أهلها الشديدة في البداية إلا أنهم ملكوها وإستباحوها وساروا بعد ذلك إلى عرقة(٤) فلم يقدروا عليها وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ سقوط هذه المدن نتج عنه أثر تمثل بقيام بعض أمراء المدن بتسليمها صلحاً خشية من المد الصليبي الذي بدأ باجتياح المدن السلجوقية فقد أقدم منقذ صاحب

---

(١) قونية: أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها وبأقصرى سكنى ملوكها، الحموي، معجم، ج٤، ص٤١٥
(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٥، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٥. ابن ميسر،المنتقى، ص٦٥
(٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج١٠ ، ص٢٧٥- ٢٧٦
(٤) عرقة: مدينة من نواحي الروم، الحموي، معجم، ج٤، ص١١٠.

شيزر على مراسلة الصليبين، ومصالحتهم فدخلت المدينة تحت سلطانهم وبنفس الطريقة بسطوا سيطرتهم على حمص حيث صالحهم أميرها جناح الدولة(١)وأدى سقوط الرها إلى ضعف الدولة السلجوقية بنظر الصليبين الذين أدركوا هشاشة دفاعها نتيجة الإنقسام الذين كانت تعيشه الدولة لدرجة عجز سلطانها والأمراء عن إرسال نجدة للمدن والثغور التي تواجه خطر الصليبين، مما شجعهم على مواصلة إخضاع المدن والثغور لسيطرتهم، كذلك الأمر بالنسبة للفاطميين الذين كانوا ينتظرون وصول الدولة السلجوقية إلى هذه المرحلة ليتمكنوا من إخضاع المدن القريبة لهم مثل بيت المقدس.

هذه الحالة سهلت مهمة الصليبين أكثر فقد شن الفاطميون هجوماً استحوذوا فيه على بيت المقدس الذي أقطعه تتش للأمير سقمان بن أرتق التركماني فسار إليه الأفضل بن بدر الجمالي، وكان فيه من الأمراء سقمان وإيلغازي بن أرتق وابن عمهما سونج، وابن أخيهما ياقوتي فحاصرها وهدم جزءاً من سوره فقاوم أهل البلد وبعد حصار ومقاومة استمرت أربعين يوماً ثم ملك بعدها بيت المقدس ومنح أهلها الأمان فخرج الامير إيلغازي إلى العراق، واتجه الأمير سقمان إلى الرها وعين الأفضل نائباً له على بيت المقدس يُعرف بإفتخار الدولة ثم سار إليه الصليبيون بعد أن فشلوا في السيطرة على عكا وحاصروه فاستولوا على المدينة واستباحوها أسبوعا ثم منحوا أهلها الأمان. وعندما وصلت الأنباء بذلك إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية اجتمع المستنفرون الذين كانوا قد جاءوا من الشام ومن نواحي العراق وتداولوا حال بيت المقدس وأفعال الصليبين فقرر الخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-٥١٢هـ /١٠٩٤-١١١٨م، إرسال وفداً يضم عدداً من القضاة إلى السلطان بركيارق لتباحث الأمر وإرسال نجدة فخرج الوفد فلما وصلوا إلى حلوان بلغهم قتل مجد الملك البلاساني عادوا دون تحقيق أي نتيجة(٢).

وبناءً على هذا يمكن القول أن بيت المقدس ضاع نتيجة انشغال أمراء السلاجقة عنها بالنزاع على كرسي السلطنة، وكذلك ضعف الخلافة الفاطمية التي كان شغلها الشاغل التناحر مع السلاجقة والتصارع معهم ويمكن الإستعانة بقول لإبن الأثير يوضح حالة الانقسام التي كان عليها سلاطين السلاجقة والتي أدت إلى ضياع البلاد وفساد العباد حيث يقول: (...اختلف السلاطين على ما نذكره، فتمكن الفرنج من البلاد)(٣).

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٥-١٣٦-١٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٨.
(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٦-١٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٨-٢٨٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٤.

وقد حاول الفاطميون استرداد بيت المقدس حيث جمع الأفضل جيشاً وسار إلى عسقلان لمحاربة الصليبين لكنه لم ينتصر فعاد منهزماً(١).

وملك الصليبيون سنة ٤٩٤هـ /١١٠٠م يافا، ومدينة سروج من بلاد الجزيرة ومدينة الرُها التي كان الإستيلاء عليها سهلاً لأن أغلبية أهلها كانوا من الأرمن فكاتبهم الصليبيون ففتحوا لهم المدينة وحاول الأمير سقمان بن أرتق استرداد سروج لكنه لم يوفق في ذلك حيث هُزِمَ من قبل الصليبيين ثم ملكوا حيفا، وأرسوف(٢) وقيسارية(٣) وطرسوس، وفي سنة ٤٩٧هـ /١١٠٣م إستولى الصليبيون على جبيل(٤) وعكا وفي سنة ٤٩٩هـ /١١٠٥م ملك الصليبيون سرمين من أعمال حلب(٥)

وفي سنة ٥٠٣هـ /١١٠٩م استولى الصليبيون على طرابلس وبيروت وبانياس، وفي سنة ٥٠٤هـ /١١١٠م ملكوا صيدا وفي سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م(٦) ملكوا رفنية(٧) .

يمكن القول أن الصليبين ملكوا مدن وأراضي الدولة السلجوقية مستغلين حالة الإنشقاق والصراع التي كان عليها أمراء الدولة السلاجقة الذين عجزوا عن الدفاع والمقاومة أمام الصليبين بإستثناء بعض المحاولات الفردية التي قام بها بعض أمراء السلاجقة مثل الأمير داؤد بن سليمان بن قتلمش الذي شرع في جمع الأتباع وإعلان الجهاد عندما ظهر الصليبيون في بحر القسطنطنية سنة ٤٩٠هـ /١٠٩٦م حيث يعد أول ظهور لهم إذ تتابع ظهورهم بعد هذا التاريخ، وقد قاوم الأمير داؤد بن سليمان بن قتلمش بمعونة أخيه الصليبين في البداية لكن ذلك النصر لم يستمر فقد هزمه الصليبيون وواصلوا مسيرهم نحو مدن وأراضي الدولة السلجوقية(٨).

كذلك لعب الأمير سقمان بن أرتق والأمير جكرمش أمير الموصل دوراً بارزاً في مقاومة الصليبين خلال الفترة ما بين ٤٩٥-٤٩٧هـ /١١٠١-١١٠٣م ومقارعتهم لكن قلة الإمدادات وعدم

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٦-١٣٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٨٦.

(٢) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، الحموي، معجم، ج١، ص١٥١.

(٣) قيسارية: مدينة على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، الحموي، معجم، ج٤، ص٤٥١.

(٤) جُبيل: بلد في سواحل دمشق في شرقي بيروت، الحموي، معجم، ج٢، ص١٠٩.

(٥) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٨، ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ابن الأثير، الكامل ج١٠، ص٣٢-٣٢٥، ٣٤٤، ٣٧٢-٣٧٣.

(٦) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٤٧، ١٦٣، ١٦٨، ١٩٢، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٤٧٥-٥١٢،

(٧) رفنية: كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر، وقال قوم: رفنية بلدة عند طرابلس من سواحل الشام، الحموي، الحموي، معجم، ج٣، ص٥٥.

(٨) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٤، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢٧٤-٢٧٥

وصول النجدة إليهم من بقية المدن السلجوقية أدت إلى عدم نجاحهم في تحرير المدن والأراضي الواقعة في قبضة الصليبيين (١).

تأثير الصراع على ولاية العهد على الدولة السلجوقية من الناحية الاقتصادية.

شهدت الدولة السلجوقية منذ وفاة السلطان طغرلبك سنة ٤٥٥هـ /١٠٦٣م صراعاً على ولاية العهد استمر حتى نهاية الدولة السلجوقية سنة ٥٩٠هـ /١١٩٣م وكان أحد أبرز الأسباب التي أدت إلى إنقسامها وضعفها، وقد عاشت الدولة السلجوقية في أعقاب وفاة كل سلطان من سلاطينها مرحلة انتقالية يتخللها صراع وتنافس بين الأمراء السلاجقة على عرش السلطنة، لكن هذه الصراعات لم تستمر طويلاً وبالتالي فإن دراسة الآثار الاقتصادية لهذه الصراعات على الدولة من ناحية الميزانية وعلى المواطنين من ناحية ارتفاع الأسعار وقلة المؤن والأعلاف لا يبدو ذا أهمية قياساً للأوضاع الاقتصادية التي أصبحت عليها الدولة السلجوقية خلال الصراع الطويل الذي استمر قرابة الخمس سنوات ٤٩٢-٤٩٧هـ /١٠٩٨-١١٠٣م بين أبناء السلطان ملكشاه (بركيارق وأخوه محمد طبر) والذي كرّس المتصارعون خلالها موازنة الدولة للصراع والتطاحن الذي قام بينهم؛ مما نتج عنه إفلاس الخزينة وإفراغها من الأموال حتى عجزت الدولة عن دفع رواتب وأعطيات وأرزاق الجند مما إضطر السلطان بركيارق إلى الإستدانة سنة ٤٩٤هـ /١١٠٠م من الخليفة العباسي المستظهر ٤٨٧-١٢هـ /١٠٩٤-١١١٨م وبعد مماطلة ومراجعة بينه وبين الخليفة العباسي المستظهر استقر الأمر بينهما على أن يُقدم الخليفة مبلغ خمسين ألف دينار(٢) وهذا المبلغ المبلغ الذي قدمه الخليفة العباسي رغم قلته فإنه أدى إلى تراجع مكانة السلطنة السلجوقية عند الخلافة العباسية التي كانت تستغل فرصة النزاع والصراع بين الأمراء السلاجقة في محاولة من الخلافة لإستعادة نفوذها الذي فقدته بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م، وهذه ليست المحاولة الأولى والوحيدة من الخلافة لاستعادة نفوذها وقوتها، ففي أثناء سعي تركان خاتون أرملة السلطان ملكشاه لتنصيب إبنها محمود سلطاناً، لجأ الخليفة العباسي إلى فرض شروطه ومطالبه من أجل منح الإعتراف بمحمود بن ملكشاه سلطاناً للسلاجقة(٣)وأمام استمرار حاجة السلطان بركيارق بركيارق للأموال، فإنه اتجه إلى الإستيلاء على الأموال التي كانت بأيدي الناس ونهبها وتطاول

---

(١) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٤٦، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٤٣-٣٤٤، ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص١٣٩، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٣) الراوندي، راحة الصدور، ص٢١٦-٢١٧، ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٢١٤-٢١٥، منجم باشي، جامع الدول، ص٦٢. ص٦٢.

عليها وما يعنيه ذلك من التضييق على العامة(١) إضافة إلى اسلوب الحصار الذي اتبعه الأخوان المتحاربان في أثناء الحرب الدائرة بينهم حيث نتج عن هذا الأسلوب ارتفاع الأسعار وانعدام الأقوات وكذلك كان لسياسة العساكر في النهب والسلب والتخريب أثر واضح على العامة من مواطنين وتجار(٢)، ولم يقتصر لجوء السلطان بركيارق للاستدانة عليه فقط، بل اضطر أخوه محمد طبر إلى اللجوء إلى نفس الأسلوب بعد أن أفلست خزائنه واستنزفت موارده نتيجة الصراع الذي دخل فيه مع أخيه السلطان بركيارق(٣). حيث استدان من أهل أصبهان عندما حصره السلطان بركيارق فيها سنة ٤٩٥هـ /١١٠١م بعد المعركة الرابعة بينهما والتي أنهزم فيها محمد طبر واتجه إلى أصبهان، حيث أضطر محمد طبر أمام ضغط حصار أخيه السلطان بركيارق إلى الاستدانة من أعيان البلد لسد متطلبات الجند، لكنها لم تكفي لسد حاجته فأضطر إلى إتباع اسلوب الشدة والعنف لإستخراج الأموال منه وارتفعت نتيجة لذلك الأسعار وضاقت الحال على الناس(٤

---

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٠١، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٦.
(٣) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٣-٣٣٤، منجم باشي، جامع الدول، ص٧٩.
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١٠، ص٣٣٣- ٣٣٥.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة ولاية العهد عند السلاجقة العظام خلال الفترة من سنة ٤٣١-٥١١هـ/١٠٣٩-١١١٧م. وبعد البحث في مسألة ولاية العهد ودراستها خلُصت الدراسة إلى النتائج التالية:

أولاً: إستطاع السلاجقة تأسيس دولة مترامية الأطراف بفضل شجاعتهم العسكرية وضعف الدول التي جاوروها، لكنهم فشلوا في إرساء قواعد الحكم للسلطنة وولاية العهد فكان ذلك سبباً عجّل في ضعف دولتهم ثم نهايتها.

ثانياً: بدأ التنافس على ولاية العهد من داخل الأسرة السلجوقية الحاكمة وإبتدأه إبراهيم ينال الأخ غير الشقيق للسلطان طغرلبك في فترة مبكرة من عمر الدولة السلجوقية سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م لكن تعامل السلطان طغرلبك مع هذا الطموح بشكل حاسم أجّل فترة الصراع دون أن يعتبر السلطان طغرلبك بذلك ويُرسي دعائم وأسس إنتقاء ولي العهد، فنجده يرتكب خطأً فادحاً بتعيين إبن أخيه سليمان بن جغربك داؤد سن ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ولياً للعهد فأحيا بذلك الصراع من جديد داخل الأسرة السلجوقية التي عاد أبرز دُعاتها ألب أرسلان للتطلع للسلطنة وإقصاء ولي العهد الصغير أخيه سليمان بن جغربك داؤد ويترأس عرش السلطنة السلجوقية سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م.

ثالثاً: شكّلت ولاية العهد من الناحية النظرية المدخل الطبيعي لترؤس السلطنة أو الخلافة؛ ولهذا كانت مطمعاً ومغنماً سعى إليه المتطلعون للرئاسة وزعامة الدولة، لكنها من الناحية العملية لم تكن كذلك فلم يصل إلى رئاسة السلطنة في الدولة السلجوقية خلال فترة الدراسة ٤٣١-٥١١هـ/١٠٣٩-١١١٧م من أولياء العهود إلاّ السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م، امّا أغلب السلاطين الذين تولوا رئاسة الدولة السلجوقية خلال فترة الدراسة فقد قاموا بإقصاء أولياء العهود الذين تم تعيينهم والمناداة بهم وتربعوا على عرش السلطنة بفضل قوتهم العسكرية وتحلفاتهم التي قاموا بها مع القوى المختلفة والمؤثرة.

رابعاً: كانت ولاية العهد الشرارة التي إنطلقت منها أغلب الثورات في الدولة السلجوقية والتي لم تقتصر على فترة معينة وإنما بدأت علامتها منذ سنة ٤٤١- ٥١١هـ / ١٠٤٩-١١١٧م وظلت تتزايد حتى أصبحت سمة ترافق تعيين ولي العهد وإنتقال السلطة .

خامساً: لعب كل من الوزراء والخواتين دوراً بارزاً في ولاية العهد وتعيين السلطان، لكن هذا الدور ضَعُفَ أمام دور أمراء الجيش العسكريين الذين شكلوا الفيصل في صراعات ومعارك ولاية العهد والسلطنة.

سادساً: وجد بعض الوزراء وأمراء الجيش والخواتين في تنافس أمراء السلاجقة على ولاية العهد والسلطنة فرصة للتخلص من خصومهم السياسيين والعسكريين ممن يؤيدون أحد الأمراء ضدهم.

سابعاً: لم يستفدْ السلاطين السلاجقة الذين جاؤوا بعد السلطان ملكشاه من التجربة الناجحة للسلطان ألب أرسلان ٤٥٥-٤٦٥هـ /١٠٦٣-١٠٧٢م الذي إستطاع إيصال ولي عهده إبنه ملكشاه إلى رئاسة السلطنة ليكون بذلك أول ولي للعهد يصل إلى رئاسة الدولة السلجوقية من خلال ولاية العهد فحقق بذلك سابقة بين السلاطين السلاجقة وأولياء عهودهم .

قائمة المصادر والمراجع العربية والمعرّبة والفارسية .

المصادر

١. ابن الأثير، عزالدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيرو ت، ١٩٦٦م.

٢. الأزدي، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م)، **أخبار الدول المنقطعة**، ، ط١، تحقيق، عصام هزايمة ، محمد محافظة ، محمد طعاني، علي عبابنة، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية ، إربد، ١٩٩٩م.

٣. البنداري، الفتح بن علي بن محمد البنداري، (ت ٦٤٣هـ /١٢٤٥) ، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ط٣، تحقيق لجنة إحياء التراث في دار الأفاق الجديدة ، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م.

٤. البيهقي، علي بن زيد (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٨م) ، **تاريخ بيهق**، ترجمة يوسف الهادي، دار إقرأ، دمشق، ٢٠٠٤م.

٥. البيهقي، محمد بن الحسن (ت٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) ، **تاريخ البيهقي**، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت ، دار الطباعة ، القاهرة، ١٩٥٦م.

٦. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج٥، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م.

٧. ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا ، دار الرشيد، بغداد، ١٩٩٢م .

٨. الجويني، عبدالملك بن عبدالله (ت٤٧٨هـ /١٠٨٥م)، **غيّاث الأمم في التيات الظُلَم**، ط١، تحقيق: مصطفى حلمي، و فؤاد أحمد ، دار الدعوة، القاهرة، د.ت.

٩. الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر بن علي (ت٦٢٢هـ / ١٢٢٥م)، **أخبار الدولة السلجوقية**، تصحيح، محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ١٩٨٤م.

١٠. الحموي، ياقوت ، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، **معجم البلدان** ، ٥ أجزاء ، دار صادر بيروت ، بيروت ، ١٩٧٩م.

١١. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ /١٠٧٠م)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطّانها العلماء من غير أهلها وواردیها** ، ط١، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

١٢. ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ،١٩٧٤م.

١٣. خواندمير، غياث الدين بن همام ، (ت٩٤٢هـ / ١٥٣٩م) ، **دستور الوزراء** ، ترجمة حربي أمين ، وفؤاد الصياد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

١٤. الذهبي، محمد بن أحمد عثمان (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، **سير أعلام النبلاء** ، ط١١، ٢٥جزءاً ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٩٦م .

١٥. الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت٦٠٢هـ / ١٢٠٤م) ، **راحة الصدور وآية السرورفي تاريخ الدولة السلجوقية**، ترجمة عبدالنعيم حسنين وفؤاد الصياد وإبراهيم الشواربي ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٠م.

١٦. سبط بن الجوزي، يوسف بن قزا أوغلي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) ، **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**، حوادث (٤٤٠- ٤٩٠هـ / ١٠٤٨-١٠٩٦م) ، تحقيق، قاسم يزبك ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، بيروت، لبنان، جامعة القديس، ١٩٨٤م.

١٧. السُبكي، عبدالوهاب بن علي (ت٧٧١هـ /١٣٦٩م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود الطناحي، وعبدالفتاح حلو، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة، د.ت.

١٨. الشيرازي، هبة الله بن موسى بن داؤد (ت ٤٧٠هـ /١٠٧٧م) ، **سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة** ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

١٩. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ، **الوافي بالوفيات**، تحقيق مجموعة من الأساتذة ، دار فرانز شتاينر ، بيروت ، ١٩٩٧م.

٢٠. ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **تاريخ الزمان**، ترجمة إسحاق رملة، ١٩٨٦م، دار الشروق، بيروت.

٢١. ابن العديم، محمد بن علي (ت٦٦٠هـ / ١٢٦١م) ، **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق، ١٩٨٨م.

٢٢. العظيمي، محمد بن علي الحلبي ، (ت٥٥٦هـ /١١٦١م) ، **تاريخ حلب** ، إبراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤م.

٢٣. العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، **خريدة القصر وجريدة أهل العصر** ، قسم فضلاء أهل أصفهان ، تحقيق عدنان آل طعمة ، مرآة التراث .د.ت.

٢٤. ابن العمراني، محمد بن علي، (ت٥٨٠هـ /١١٨٤م) ، **الأنباء في تاريخ الخلفاء** ، تحقيق قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

٢٥. الفارقي، أحمد بن يوسف (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ، **تاريخ الفارقي** ، تحقيق بدوي عبدالطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية . د.ت.

٢٦. قزويني، حمدالله بن أبي بكر بن أحمد مستوفي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) ، **تاريخ كزيدة** ، إعتناء، عبدالحسين نوائي ، مؤسسة إنتشارات أمير كبير ، طهران، ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م.

٢٧. ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ، **ذيل تاريخ دمشق**، نشر أمدروز، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨م.

٢٨. الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ /١٢٩٧م) ، **مختصر التاريخ من أول الزمان إلى ظهور دولة بني العباس** ، تحقيق مصطفى جواد ، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧٠م.

٢٩. الكرديزي ،عبدالحمد الضحاك ، د.ت، **زين الأخبار** ، ترجمة عفاف زيدان ، ١٩٨٢م.

٣٠. كرماني، ناصر الدين ، (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) ، **نسائم الأسحار في لطائم الأخبار** ، تحقيق، جلال الدين حسيني ، طهران، د.ت.

٣١. الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ /١٠٥٨م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ط٢، تحقيق: خالد العلمي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٣٢. ____________________، **قوانين الوزارة وسياسة الملك**، ط١،تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة ، للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٧٩م.

٣٣. منجم باشي، احمد بن لطف الله (ت١١١٣هـ /١٧٠٢م) ، **جامع الدول** ، تحقيق أوكول، دار الكتب الأكاديمية ، أزمير ، ٢٠٠٠م .

٣٤. ابن الموصلايا، أمين الدولة العلاء بن الحسن (ت ٤٩٧هـ / ١١٠٤م)، **رسائل امين الدولة**، تحقيق عصام عقلة، مركززايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٣م.

٣٥. ابن ميسّر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت ٦٦٧هـ / ١٢٧٨م) ، **المنتقى من أخبار مصر**، إنتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨١٤هـ /١٤١١م) ، تحقيق أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١م.

٣٦. اليزدي، محمد بن محمد بن عبدالله بن النظام الحسيني ، (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) ، **العراضة في الحكاية السلجوقية** ، ترجمة عبدالنعيم محمد حسنين ، و حسين أمين ، بغداد ، ١٩٧٩م.

المراجع:

١. إقبال، عباس، (١٩٨٤)، **الوزارة في عهد السلاجقة**، ترجمة أحمد كمال الدين ، جامعة الكويت، الكويت.

٢. باسيل، فكتور، **منهج البحث عن المعرفة عند الغزالي**، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، د.ت.

٣. بول، استانلي لين، (٢٠٠٦)، **تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك والامراء والأشراف في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري،** ط١ ، ترجمه للفارسية، عباس إقبال، ترجمه عن الفارسية مكي طاهر، بيروت، الدار العربية للموسوعات.

٤. جحا، فريد، (١٩٨٦)، **أبوحامد الغزالي ، سيرته، مؤلفاته، مصادر دراسته، أقوال العلماء فيه، مكانته في التاريخ،** دمشق، دار طلاس للدراسات والنشر.

٥. خريسات، محمد، (٢٠٠٥)، **الدولة الأموية من النهوض إلى السقوط** ، اربد، دار حمادة للطباعة والنشر.

٦. الرويضي، محمود، (٢٠٠٢)، **إمارة الرُها الصليبية،** ط١، رسالة دكتوراة منشورة، عمان، الأردن، وزارة الثقافة.

٧. دفتري، فرهاد، (١٩٩٩)، **الاسماعيليون في العصر الوسيط،** ترجمة سيف الدين قصير، دمشق، دار المدى.

٨. زامباور، (١٩٥١)، **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي** ، أخرجه زكي محمد حسن بك وحسن أحمد محمود ، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول.

٩. طلفاح، مضر عدنان، (٢٠٠٨)، **دار الخلافة ودار المملكة، دراسة في العلاقة بين الخلافة العباسية والدولة البويهية (٣٣٤- ٤٤٧هـ/ ٩٤٦- ١٠٥٥م) وأثرها في الفكر السياسي السني،** ط١، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

١٠. عاقل، نبيه ، (١٩٧٢)، **خلافة بني أمية،** سلسلة كتب تاريخ الإسلام ٢، دمشق.

١١. عطوان حسين، (١٩٩١)، **نظام ولاية العهد ووراثة العهد في العصر الأموي** ، بيروت، دار الجيل.

١٢. محبوبة، عبدالهادي محمد رضا، (١٩٩٩)، **نظام الملك الطوسي، دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله،** القاهرة، الدار المصرية اللبنانية .

١٣. المعاضيدي، خاشع، (١٩٦٨)، **دولة بني عقيل في الموصل (٣٨٠- ٤٨٩هـ /٩٩٠-١٠٩٥م)،** ط١، بغداد، مطبعة شفيق.

١٤. مؤنس، حسين، (١٩٨٧)، **أطلس تاريخ الإسلام،** ط١، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي.

المقالات :

١. بيّات، فاضل مهدي، (١٩٨١)، السياسة السلجوقية في العراق. **المؤرخ العربي،** (ع١٨): ص ٩٧- ١٢١.

٢. __________ ، (١٩٨٤)، علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية ٤٢٩-١٠٣٨هـ / ٤٤٧-١٠٥٥م. **آداب المستنصرية** ، (ع٩): ص ٢٥٧-٢٧٥.

٣. عقلة، عصام مصطفى، (٢٠٠٨)، السفارات المتبادلة بين السلاجقة والبيزنطيين في عهد السلطان طغرلبك (٤٣٢- ٤٥٥هـ / ١٠٤٠- ١٠٦٣م). **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، مجلد ٢، (ع٢): ص٦٢- ٨٠.

٤. ___________، (٢٠٠٧)، المرأة والسلطة في الإسلام الخواتين السلجوقيات (٤٤٧-٥١١هـ / ١٠٥٥-١١١٧م) أنموذجاً. **دراسات** ـ العلوم الإجتماعية والإنسانية، مجلد ٣٤، ص٧٩٣-٨٠٧.

الرسائل الجامعية:

- الجالودي، عليان، (١٩٩٦)، **تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (٤٤٧-٥٩٠هـ /١٠٥٥- ١١٩٣م)** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

COVENANT MANDATE DURING THE GREAT SELJUK'S ERA AND THE SULTANATES OF IRAQ AND PERSIA

(١١١٩-١٠٣٩A.D./ ٥١١-٤٣١ H)

By

Abdulhadi Nayef Ali Al-Qaedeh

Supervised

Dr. Mohammad Abdul-Qader Khreisat, Prof.

ABSTRACT

This study tackles the issue of covenant mandate since the foundation of the Seljuk state till the year ١١١٧ A.D./ ٥١١H. It aims at tracking the emergence of the covenant mandate during Seljuk's sovereignty, the method the Seljuk followed in accessing this competitive position which engendered great contest among the Seljuk princes, brought out a rift in the state earlier establishment stages during the period (٤٤٠-٤٥٠ H/ ١٠٤٨-١٠٥٨ A.D.) and continued till the end of this study timeframe. The obvious reason behind this rift refers to the fact that the crown prince was the only heir to the sultanate- at least theoretically- in the events of the Sultan's death or sickness.

After in-depth research in the field of Seljuk's covenant mandate, this study finds out that the Seljuk's succeeded in establishing an extended state due to their military vigor supported by the neighboring countries' enervation. Yet, they failed in setting rules for the sultanate governance and covenant Mandate. Likewise, the ruling Seljuk princes aspiring to access the throne engage into battles and conflicts which accelerated the collapse of their state and distanced it from the political scene. The Seljuk history witnessed the first incident of the Seljuk's contest to access the throne when Ibrahim Yanal contested with his half-brother, Sultan Tagarlbak, to access the crown prince position .

The study also proves that since the crown prince position was theoretically a natural bridge to access the Khilafeh or the sultanate, it became the target for the covetous aspiring for presidency and sovereignty.

Yet in practice, the situation was not so; the only Seljuk crown prince who succeeded in accessing the throne was Sultan Malekshah Bin Alb Arsalan since most of the sultans who became the rulers of the Seljuk accessed the throne by excluding the appointed crown princes. Thus, the covenantmandate was the spark that set off most revolts during the Seljuk ruling era.

Though were not restricted to a certain period, revolts became prominent between (٤٤١-٥١١ H/ ١٠٤٩-١١١٧ A.D.). They intensified later on to become an attribute associated with the events of appointing a crown prince and transferring sovereignty.

The study also shows that both ministers and Sultan's wives played aprominent role in naming crown princes and appointing sultans. Their role,however, diminished with the growing authority of the military leaders. Moreover, some ministers, military force leaders, and Sultan's wives take advantage of the Seljuk princes' contest over crown prince positions and sovereignty to get rid of their military and political opponents who supported their unfavorable princes.

Moreover, this research proves that that the Seljuk sultans who succeeded Sultan Malikshah did not benefit from the successful experience of Sultan Alp Arslan ٤٥٥-٤٦٥ AH / ١٠٦٣-١٠٧٢ AD who succeeded in making his son Malekshah access the throne which marked a precedent event through which Malekshah became the first crown prince who ruled the Seljuk . The study also tackles the jurists' stand point regarding

Seljuk’s crown prince positions through shedding light on their relation with the Seljuk leaders.